

مَدِينَةُ الْقُدْسِ

وَمُخْتَلَفَاتُهَا

تَأليف

الشيخ الجليل

محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني

رضوان الله عليه ٥٨٨ هـ

انتشارات بهار

متشابه القرآن و مختلفه

قد رُفِعَ في ملكي (الاصغر محمد حسني الكاظمي)

تأليف

الشيخ الجليل



محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ره)

وكان فراغه من تأليفه

سنة سبعين و خمسمائة هجرية

١٣٢٨/١/١ هـ ق

چاپخانه شرکت سهامی مطبع کتاب

« بسم الله الرحمن الرحيم »

أحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين
قال محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني رضي الله عنه سألتهم وفقكم الله للخيرات املاء كتاب
في بيان المشكلات من الايات المتشابهات وما اختلف العلماء فيه من حكم الايات ولعمري ان لهذا
التحقيق بجرأ عميقاً ولا يكاد يوجد منه الا الفاظ في كتب كبار المتكلمين او نكت في بعض تفاسير
المحققين العدليين وقلما يحضر ذلك للمطالين فأجبتكم الى ذلك مع تقسم الفكر و
ضيق الصدر وشغل القلب ووعناء السفر وفقدان الكتب فمنها ما ابتدأناه، ومنها ما سبقنا
اليه فحذرناه، ومنها ما وجدناه مختلاً فحققناه، والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى
يقترن به ما يدل على المراد منه لا لتياسه وقال ابن عباس المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ
وقال مجاهد المحكم ما لم يشبهه معناه والمتشابه ما اشتبهت معانيه وقال الجبائي المحكم
ما لا يحتمل الا وجهاً واحداً والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً وقال جابر المحكم ما يعلم
تعيين تأويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله وقيل ما لا ينتظم لفظه مع معناه الا بزيادة او
حذف او نقل وسمى متشابهاً لانه يشبه المحكم وقيل لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد
والمتشابه في القرآن انما يقع فيما اختلف الناس فيه من امور الدين نحو قوله (واضله
الله على علم واضلهم السامري) ومنها ان يحتمل معنيين او ثلاثاً او اكثر فيحمل على
الاصوب (مثل يد الله مغلولة) (وتجرى بأعيننا) ومنها ما يزعم فيه من مناقضة نحو (فقضيهن سبع
سموات في يومين) وقوله (في أربعة ايام) وقوله (في ستة ايام) ومنها ما هو محكم فيه غرضه
مثل قوله (ليس كمثله شيء) وما يتبع ذلك من الغوامض التي يحتاج الى بيانها ويستخلص
منها اما بموضوع اللغة او بمقتضى العقل او بموجب الشرع والحكمة في انزال المتشابه
الحث على النظر الذي يوجب العلم دون الاتكال على الخبر من غير نظر وذلك انه لو
لم يعلم بالنظر ان جميع ما يأتي به الرسول صلعم حق لجوز ان يكون الخبر كذباً

وبطلت دلالة السمع وفائدته ثم ان به يتميز العالم من الجاهل كما قال (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) ثم انه منزل على لغة العرب ومن عاداتهم الاستعارة والمجاز والتعريض واللمح وقد يكون محكماً من وجه ومتشابهاً من وجه كالمعلوم والمجهول فتصح الحجة من وجه المعلوم دون المجهول والشبهة ماتصور بصورة الدلالة واسبابها كثيرة منها اتباع هوى من سبق اليه والثاني أن يدخل عليه شبهة قيتخياله بصورة الصحيح والثالث التقليد والرابع ترك النظر والخامس نشوء على شيء صار الفه فيصعب عليه مفارقتها وغير ذلك وأسأل الله المعونة على اتمامه وان يوفقني لاتمام ما شرعت فيه من كتاب اسباب نزول القرآن فان بانضمامهما يحصل جل علوم التفاسير انه ولى ذلك والمنعم بطوله .

باب ما يتعلق بابواب التوحيد

قوله تعالى: «هو الذي خلق لكم ما فى الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات» (٢١/٢٧) الظاهر يقتضى انه خالق الارض قبل السماء لان ثم للتعقيب والتراخى وقال فى موضع: (انتم اشد خلقاً أم السماء بناها، والارض بعد ذلك دحاها) ليس بينهما تناقض لانه تعالى خلق الارض قبل السماء غير مدحوة فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك ودحوها بسطها ومنه ادحية النعام لانها تبسطها التبييض فيها ويجوز ان لا يكون معنى ثم وبعد فى هذه الايات للترتيب فى الاوقات والتقديم والتأخير فيها انما هو على جهة تعداد النعم والاذكار بها كما يقول القائل لصاحبه أليس قد أعطيتك ثم حملتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله اخلصتك لنفسى ويقال بعد بمعنى مع نحو قوله (عنى بعد ذلك زعيم) ويقال بمعنى قبل نحو قوله (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر)

قوله سبحانه :

«ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره» (٣٠/٢٤) بلاد عامة تدعها ولا علاقة علق بها بل ان الله تعالى بمسكها حالاً بعد حال لا عظم دلالة على انه لا يقدر عليه سواه ولو اجتمعت الجن والانس على امساك تبنة فى الهواء أو اثبات تربة على الماء لمجزوا
بنى السماء فسواها بلا عمد ولم تمد باطناب ولا عمد

قوله سبحانه :

«خلق السموات بغير عمد ترونها» (٣١/٩) أى ليس لها عمد يسندها لأنه لو كان لها عمد لرأيتموها فلما لم تروها دل على أنه ليس لها عمد ولو كان لها عمد لكانت أجساماً عظيمة حتى يصب منها اقلال السموات ولو كانت كذلك لاحتاجت الى عمد آخر فكان يتسلسل فاداً لا عمد لها بل الله يمسكها حالاً بعد حال بقدرته التى لا توازيه اقدرة قادر، وقال مجاهد لها عمد لا ترونها وسأل الحسين بن خالد الرضا عليه السلام عن قوله (والسماء ذات الحجب) فقال عليه السلام محبوبة الى الارض وشبك بين اصابعه لعله عليه السلام أراد بذلك قوله (والارض مددونها وألقينا فيها رواسي) لأنه لو كان لها عمد لكانت أجساماً عظيمة كثيفة لأنه لا يقل مثل السموات والارض الا ما فيه الاعتمادات العظيمة ولو كانت كذلك لرأيناها ولادى الى التسلسل .

قوله سبحانه :

«وهو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء» (١١/٩) ظاهر الآية يقتضى أن العرش الذى تعبد الله الملائكة بحمله كان مخلوقاً قبل السموات والارض وقد اختاره المرتضى وقال الجبائي فى الآية دلالة على أنه كان قبل السموات والارض الملائكة لأن خلق العرش على الماء لا وجه له حسنه إلا أن يكون فيه لطف لمكلف أو يمكنه الاستدلال به فلا بد إذاً من حى مكلف وقال الرماني لا يمتنع ان يتقدم خلق الله لذلك اذا كان فى الاخبار بتقدمه مصلحة المكلفين وهو اختيار الطوسى .

قوله سبحانه :

«ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب» (٣/١٨٢) وجه الاحتجاج بخلق السموات على الله تعالى ولم يثبت بعد انهم مخلوقة ان تعاقب الضياء والظلام يدل على حدوث الاجسام ثم انها على تقدير كونها مخلوقة قيل الاستدلال به لان الحجة به قامت عليه من حيث انها لم تنفك من المعانى المجدنة .

قوله سبحانه :

«ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا» (٣٥/٣٩) استدلال الرماني بهذه الآية

على ان السماوات غير الافلاك لان الافلاك تنحرك وتدور والسماوات لا تنحرك ولا تدور وهذا غير مرضى لانه لا يمتنع أن يكون السماوات هي الافلاك وان كانت متحركة لان قوله : (يمسك السماوات والارض أن تزولا) معناه لا تزول عن مركزها الذي تدور عليه ولولا امساكه لموت لما فيها من الاعتمادات سفلا .

فصل

قوله تعالى : « رب المشرق والمغرب » (٩/٧٣) وفي موضع (رب المشرقين ورب المغربين) وفي موضع (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) اراد بالاول موضع الشروق والغروب لان المفعول من يفعل ويفعل اسم الموضع منهما كالذهب والمدخل اما المشرق والمغرب فيجوز فيهما كسر العين وفتحها واما الثاني عنى به مشرق الشتاء ومشرق الصيف وكذلك المغرب وذلك أن مشرق الشتاء قريب فالليل اطول من النهار وكذلك المغرب واما الثالث عنى به منازل الشمس في الشروق والغروب لان للشمس ثلاثمائة وستين منزلا تطلع كل يوم من منزل وتغرب في منزل وكذلك القمر لان القمر يجاوز المنازل في شهر والشمس تجاوزها في سنة .

قوله سبحانه :

« قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين » (٤١/٨) وقال (في أربعة أيام سواء للسائلين) وقال (خلق السماوات والارض في ستة أيام) اما قوله (في أربعة أيام) يريد مع اليومين الاولين لان خلق الرواسي وغير ذلك من تمام خلق الارض وذلك كما تقول خرجت من بغداد الى الكوفة في خمسة أيام والى مكة في ثلاثين يوما فيكون المبتدأ في جملة الثلاثين واما خلقهما في هذا المقدار مع قدرته ان يخلقهما في اقل من لمح البصر لان الامور جارية في التدبير على منهاج ولما علم في ذلك من مصالح الخلق في الترتيب ليبدل على صانع حكيم وفي اظهارهما كذلك مصلحة للملائكة وغيرهم .

قوله سبحانه :

« والله جعل لكم الارض بساطا » (٧١/١٨) وقوله (الذي جعل لكم الارض فراشا)

استدل ابو علي على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كرية الشكل وهذا انما

يدل على ان بعضها مسطوح لاجميعها والمنجمون معترفون بأن بعضها مسطوح .

قوله سبحانه :

«أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ» (٨٨/١٧) الآية لما كانت العرب منفردة عن الناس والسماء لهم سقفاً والارض لهم وطأ والجبال أمامهم وهى كهف لهم وحصن والابل ملجأهم فى الحبل والترحال أكلا وشرباً وركوباً وحملاتزلت الآية وليست الفيلة با دل على الله تعالى من البقرة ولا الطائوس من القردة فلذلك قرن الابل بالسماء والارض بالجبال .

قوله سبحانه :

«هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ (١١/٦٤) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ» (٤٠/٦٩) قال الجبائي معناه خلقكم من آدم و آدم من تراب وقال الطوسي معناه خلق أباكم الذى هو آدم وأنتم من ذريته وهو بمنزلة الاصل لنا من طين فلما كان اصله من الطين جاز ان يقول خلقكم من طين وقال غيره اى خلقكم من الارض والاول اقوى قال الحسن لم يخلق الله آدم الا للارض ان عصى وان لم يعص ولولم يعص لخرج على غير تلك الحال وقال غيره يجوز ان يكون خلقه للارض ولغيرها وان لم يعص وهو الاقوى لان ما قاله الحسن لا دليل عليه .

فصل

قوله تعالى : فى خلق آدم « خلقه من تراب » (٣/٥٢) وفى موضع (من طين لازب) وفى موضع (من حمأ مسنون) وفى موضع (من صلصال كالفخار) لا تناقض فيها لانها ترجع الى اصل واحد وهو التراب فجعله طيناً ثم صار كالحمأ المسنون ثم ييس فصار صلصالا كالفخار .

قوله سبحانه :

«خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا» (٣٩/٨) ونم يقتضى المعلة والتراخي وذلك يقتضى ان الله تعالى خلق الخلق من آدم ثم بعد ذلك خلق حواء الجواب ان ذلك وان كان مؤخراً فى اللفظ هو مقدم فى المعنى كقول القائل «قدرأيت ما كان منك اليوم ثم ما كان منك امس» او انه معطوف على معنى واحد كأنه قال (من نفس واحدة) بمعنى

وحد ها ثم جعل منها زوجها ففى واحدة معنى خلقها وحدها ولا يمتنع أن يكون المراد بقوله زوجها غير حواء بل يريد المزوج من نسل آدم من الذكور و الاناث فكأنه تعالى قال هو الذى خلقكم من نفس واحدة وهى آدم ثم جعل المزوج من نسل تلك النفس وهذا متأخر عن خلق النفس الواحدة التى هى آدم وان سبب دخول ثم للاعتداد بهذه النعمة والذكر لها على سبيل الامتنان انما كان بعد ذكر خلقها من نفس واحدة فكأنه قال هو الذى ذكر لكم واعتد عليكم بأنه خلقكم من نفس واحدة ثم عطف على هذا الاعتداد والامتنان ذكر نعمة أخرى وهى أن زوج هذه النفس المخلوقة مخلوقة منها فزمان الخلق للزوج وان كان متقدماً فزمان ذكره والاعتداد به غير زمان وجوده فلا يمتنع أن يكون الترتيب فى زمان الذكر والاعتداد غير الترتيب فى زمان الابداء والتكوين كقولنا «لى عليك من النعمة كذا اليوم ثم كذا المس» المراد بثم الواو وقد يستعمل الواو بمعنى ثم فثم بمعنى الواو وهو الجمع والانضمام نحو قوله (فاليوم مرجعهم ثم الله شهيد) معناه والله شهيد وقوله (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) .
قوله سبحانه :

«ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين» (٢٣/١٢) الآية فيها دلالة على أن الانسان هو هذا الجسم المشاهد لانه المخلوق من نطفة والمستخرج من سلاله دون ما يذهب اليه معمر وغيره من أنه الجوهر البسيط اوشى . لا يصح عليه التركيب والانقسام .
قوله سبحانه :

«خلقك من تراب» (١٨/٣٣) أى أصلك من تراب اذ خلق اياه من تراب وبصير الى التراب وقيل لما كانت النطفة يخلقها الله بمجرى العادة من الغذاء والغذاء نبت من تراب جاز أن يقال خلقك من تراب لان أصله من تراب كما قال من نطفة وهو فى هذه الحال خلق سوى حى لكن لما كان أصله كذلك جاز أن يقال ذلك والوجه فى خلق البشر وغيره من الحيوان ونقله من تراب الى نطفة ثم الى علقة ثم الى صورة ثم الى طفولية ثم الى حال الرجولية ما فى ذلك من الاعتبار الذى هو أدل تحد على تدبير مدبر مختار يصرف الاشياء من حال الى حال لان ما يكون بالطبع يكون دفعة واحدة كالكتابة التى يوجد ها بالطبايع من لا يحسن

الكتابة فاما انشاء الخلق حالا بعد حال دل على انه عالم مختار .

قوله سبحانه :

«واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم» (٧/١٧١) الآية تعلقت الحشوية بذلك والحقوا به الخبر «الارواح جنود مجندة» فقولهم باطل لانه قال «من بنى آدم» ولم يقل من آدم وقال «من ظهورهم» ولم يقل من ظهوره وقال «ذرياتهم» ولم يقل ذريته وأى ظهر يحتمل هذه الذرية وأى فضاء يتسع ولفظ الذرية انما يقع على المولود ولا يكون فى الصلب ذرية ويوجب أن يكون المأخوذ منهم ذرية آدم لصلبه ولا يدخل ابناء الابناء ومن بعدهم لان الذرية انما تطلق على ولد الصلب وماعداه مجاز يعرف ذلك بدليل آخر دون ظاهر اللفظ ومعلوم أن الولد يخلق من المنى وانما يحدث من الانسان حالا بعد حال ويستحيل من الاطعمة وكيف يجتمع فى صلب واحد جميع ما يكون من عقبه الى يوم القيامة من المنى والاشهاد انما يصح ممن يعقل ويكون الجواز عنه مستحيلا والله تعالى رفع القلم عن الصبي حتى يبلغ ولم يلزمه معرفته والذرية المستخرجة من ظهر آدم اذا خوطبت وقررت لا بد أن يكون كاملة العقول مستوفية التكليف لان ما لم يكن كذلك بقبح خطايهم وتقريرهم واشهادهم وان كانوا بصفة كمال العقل وجب أن يذكرها ولا بعد انشائهم او كمال عقولهم تلك الحال فان الله تعالى أخبرنا بأنه انما أقرهم وأشهدهم لثلايدعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك أو يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشأوا بين ايديهم وهذا يدل على اختصاص ببعض ذرية ولد آدم وهو الصحيح فانه خلقهم وبلغهم على لسان رسله معرفته وما يجب من طاعته فأقروا بذلك لثلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين وان الله تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والايات والدلائل فى غيرهم وفى انفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجرى ذلك مجرى قوله (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض انتيا طوعاً او كرهاً) .

قوله سبحانه :

«واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة» (٢/٧٥) قوله (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) ليس يوجب اللفظ ان يكون اخذ الميثاق عليهم فى وقت واحد ومكان

واحد بل يكون معناه أخذ ميثاق أمم النبيين بتصدق نبيها والعمل بما جاءهم به ويقال أخذ العهد بما نصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الساطعة الدالة على توحيد الله وعدله وصدق انبيائه ورسوله ويمكن أن يكون ذلك ما روى في تقرير الانبياء عليهم السلام على ولاية علي عليه السلام على ما بيناه في كتبنا .

قوله سبحانه :

« وَاذْخُلْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ » (٢/٢٨) هذا الميثاق هو المعنى في قوله (وَاذْخُلْنَا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله) الايات .

قوله سبحانه :

فطرة الله (٣٠/٢٨) وقوله (من النذر الاولى) وقوله (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) وقوله (لا تبدل لخلق الله) فليس فيها شيء من دعواهم انه مسح ظهر آدم واستخرج منه الذرية وأشهداها على نفوسها وأخذ أقرارها بمعرفته وقدينا فساد في الآية الاولى .

مركز تحقيق فقه الزمان

قوله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » (٢/٣٣) روى أن الله ألقى على آدم النوم وأخذ منه ضلعاً فخلق منه حواء وروى أنه خلقها من فضل طينته قال الرماني وجماعة من المفسرين ليس يمتنع ان يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد أن لا يكون جزءاً مما لا يتم كون الحي حياً الامم لان ماهذه صفة لا يجوز أن ينقل الى غيره أو يخلق منه حياً آخر حيث يؤدي الى أن لا يصل الثواب الى مستحقه لان المستحق لذلك الجملة باجمعها .

قوله سبحانه :

« ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » (٣٣/٤) لا يجوز أن يكون لسان واحد قلبان لا يؤدي الى ان لا يفصل انسان من انسانين كأنه ربما يريد بأحد قلبيه ما يكرهه بالقلب الاخر او يشتهي ما لا يشتهي الاخر او يعلم ما لا يعلم الاخر فيصير كشخصين وقال بعضهم يجوز أن يكون للانسان قلب كثير الاجزاء ويمتنع أن يريد ببعض الاجزاء ما يكرهه البعض

لان الارادة والكراهة ان وجدتا في جزء من القلب فالحالتان الصادرتان عنها يرجعان الى الجملة وهي جملة واحدة فاستحال وجود معنيين ضدين في حى واحد ويجوز ان يكون معنيان مختلفان او مثالان في جزئين من القلب ويوجبان الصفتين للحى الواحد وكذلك المعنيان في قلبين اذا كان مما يوجد منهما يرجع الى حى واحد الا ان السمع ورد بالمنع من ذلك .

قوله سبحانه :

«وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ» (٨/٦٤) لما كان الجمع على تشاكل وجمعت قلوبهم على تشاكل فيما تحبه وتنازع اليه كان قد اختلفت ومنه قيل هذه الكلمة تأتلف مع هذه ولا تأتلف .

قوله سبحانه :

«الامن أتى الله بقلب سليم» (٢٦/٨٩) اى سليم من الفساد والمعاصى وانما خص القلب بالسلامة لانه اذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد من حيث ان الفساد بالجراحة لا يكون الا عن قصد بالقلب الفاسد فاذا اجتمع مع ذلك جهل فقد عدم السلامة من وجهين وقيل سلامة القلب سلامة الجوارح لانه يكون خالياً من الاصرار على الذنب .

قوله سبحانه :

«ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى» ضيق الصدر يمنع من سلوك المعانى فى النفس لانه يمنع منه كما يمنع ضيق الطريق من السلوك فيه ولا ينطق لسانى اى لا ينبعث بالكلام وقد يتعذر ذلك لضيق الصدر وغروب المعانى التى تطلب للكلام وقيل فى قوله (وضاقت عليهم أنفسهم) بمعنى ضيق صدورهم بالهم الذى حصل فيها .

قوله سبحانه :

«ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة» (٢/٦٩) ظاهره يفيد الشك الذى لا يجوز على الله تعالى الجواب ان أو ههنا للإباحة يقال جالس الحسن او ابن سيرين والى الفقهاء أو المحدثين او دخلت للتفصيل ويكون معناها ان قلوبهم قست فمنها ما هو كالحجارة فى القسوة ومنها ما هو أشد قسوة منها نحو قوله (وقالوا

كونوا هوداً ونصارى) وفي معناه قال بعضهم كونوا هوداً وهم اليهود وقال بعضهم أو نصارى وهم النصارى ومثله (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا ياتئاً) أو هم قائلون أو دخلت على سبيل الإبهام فيعابر جمع إلى المخاطب وإن كان الله تعالى عالماً بذلك غير شك فيه والمعنى أنهما كاحدهذين لا يخرجان عنهما كقولهم «ما اطعمك إلا حلواً أو حامضاً» فيبهمون على المخاطب بما يعلمون أنه لا فائدة في تفصيله أو بمعنى بل نحو قوله (فارسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) قالوا كانوا مائة ألف وبضعاً وأربعين ألفاً وقوله (فكان قاب قوسين أو أدنى)

شعر

فوالله لأدري أسلمى تغولت أم البدرام كل إلى حبيب
أو بمعنى الواو نحو قوله (أن تاكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم) معناه وبيوت آبائكم وقوله
(ولا يبيدين زيتهم إلا ليعولنهن أو آبائهن الآية) جرير
نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر
قوله سبحانه :

«كذلك سلكناه في قلوب العجميين» (٢٦/٢٠٠) أنها كناية عن القرآن ومعناه
أقرناه في قلوبهم بأخطاره ببالهم ليقوم الحجة عليهم والله لطف يوصل به المعنى والدليل إلى القلب
فمن ذكره أدرك الحق به ومن أعرض عنه كان كمن عرف الحق وترك العمل به في لزوم
الحجة والفرق بين إدراك الحق بسلوكه في القلب وبين إدراكه بالاضطرار إليه في القلب
إن الاضطرار إليه يوجب الثقة به فيكون صاحبه عالماً به واما سلوكه فيكون مع
الشك فيه .

قوله سبحانه :

«لهم قلوب يعقلون بها» (٢٦/٤٥) إلى قوله (في الصدور) فيها دلالة على أن العقل
هو العلم لأن معنى يعقلون بها يعلمون بها مدلول ما يرون من العبرة وفيها دلالة على أن
القلب محل العقل والعلوم لأنه تعالى وصفها بأنها هي التي تعمى وانها التي تذهب عن
أقرار الحق فلولا أن التبيين يصح فيها لما وصفها بأنها تعمى كما لا يصح أن يصف اليد
والرجل بذلك .

قوله سبحانه :

« فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » رد على من قال ان العقل في الدماغ والصحيح ان محل العلم والعقل القلب لان الشاك في الشيء يجد التغيير من جهة القلب كما ان المريض يجد التغيير من جهته .

قوله سبحانه :

« اذ يريك موهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللهم في أعينهم » اي يتخيلونهم باعينهم قليلا من غير رؤية على الصحة لجميعهم و ذلك بلطف من الطافة تعالى مما يصدبه عن الرؤية من قنات يستر بعضهم ولا يستر بعضاً آخر قال ابن مسعود رأيناهم قليلا حتى قلت لمن كان الى جاني أنراهم سبعة رجال فقال هم نحو المائة وكانوا ألفاً .

قوله سبحانه :

« وجعلنا نومكم سباتاً » (٧٨/٩) السبات من صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه وهو النوم الطويل يقال لمن وصف بكثرة النوم أنه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم والسبات الراحة والدعة ومنه السبت المفرغ من الخلق قالت اليهود ابتداء الخلق يوم الاحد والفراغ في يوم السبت وقال النصارى بل كان يوم الاثنين الى السبت والفراغ يوم الاحد وقال المسلمون بل كان في يوم السبت والفراغ في يوم الخميس وجعلت الجمعة عيداً وقيل السبت القطع والمعلق فمعنى قوله (وجعلنا نومكم سباتاً) أي ليس بموت لان النائم قد يعتقد من علومه وقصوده واحواله اشياء كثيرة والله تعالى امتن علينا بالنوم المضاهي للموت وليس بمنخرج عن الحياة والادراك فجعل التأكيد بذكر المصدر قائماً مقام نفى الموت ووجه اخر أنه جعل نومنا ممتداً لما في ذلك من المنفعة والراحة والنوم اليسير لا يكسب شيئاً من الراحة بل يصحبه في الاكثر القلق والازعاج والهموم .

قوله سبحانه :

« واذا زأغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر » (٣٣/١٠) والقلب اذا زال عن موضعه مات صاحبه المراد انهم جبنوا ومن شأن الجبان عند الهول ان ينتفخ منخره والرية اذا

انتفعت رفعت القلب ونهضت به الى نحو الحنجرة ذكره القراء والكلبي و ابو صالح عن
ابن عباس والقلوب توصف بالوجيب في احوال الجزع شاعر
كأن قلوب أدلائها معانة بقرون الغباء
ويكون المعنى كادت القلوب من شدة الرعب تبلغ الحناجر فألغى ذكر كادت لوضوح
الامر فيها ولفظة كادت للمقاربة .

قوله سبحانه :

«ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء صم بهم
عمى فهم لا يعقلون» (٢/٦٦١) المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم الى الايمان
والطاعة كمثل الراعى الذى ينعق بالغنم وهو لا تعقل معنى دعائه انما تسمع صوته ولا
تفهم غرضه ويجوز أن يقوم قوله مقام الداعي لهم كما تقول العرب فلان يخافك خوف
الاسد وهذا المعنى مضاف الى الاسد شعر
فلست مسلماً مادمت حياً على زيد بتسليم الامير

مثل الذين كفروا كمثل الغنم التى لا تفهم ما أراد الناقى اضاف المثل الثانى الى
الناقى وهو فى المعنى مضاف الى المنعوق به تقول العرب طلعت الشعرى اى نجمها و
انتصب العود على الحرباء المعنى انتصب الحرباء على العود قال (كأن لون ارضه سماؤه)
أراد كأن لون سمائه ارضه قال ابو النجم: قبل دنوا النجم من جوزائه . ومثل الذين كفروا
ومثلنا او ومثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذى ينعق اى مثلهم فى الدعاء والتنبيه والارشاد
كمثل الناقى والغنم فحذف المثل الثانى اكتفاء بالاول مثل قوله « وجعل لكم سراييل
تقيكم الحر » واراد الحر والبرد ابو ذؤيب

عصيت اليها القلب انى لامرها مطيع فما أدري أرشد طلابها
أراد أرشداً غى ومثل الذين كفروا فى دعائهم الاصنام وعبادتهم لها كمثل الراعى الذى
ينعق بغنمه وينادى بها نداء ودعاء . ولا تفهم معنى كلامه فشبهه من يدعو الكفار من المعبودات
بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا نفع عند هافيه ولا مضرة .

فصل

قوله تعالى : «ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر» (٦/٧) لو أنزلنا ملكاً في صورته لقامت الساعة ووجب استيصالهم ثم قال (ولو جعلنا ملكاً لجعلناه رجلاً) أي في صورة رجل لأن أبصار البشر لا تقدر على النظر إلى صورة ملك على هيئته اللطيف الملك وقلة شعاع أبصارنا ولذلك كان جبريل يأتي النبي عليه السلام في صورة دحية الكلبي وكذلك الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم في صورة الأضياف حتى قدم اليهم عجالاً سمياً لأنه لم يعلم أنهم ملائكة وكذلك لما تسور المحراب على داود الملك كان على صورة رجلين يختصمان إليه .

قوله سبحانه :

«اذ قالت الملائكة يا مريم اقنتي» (٣/٣٧) الآية قال الجبائي ظهور الملائكة لمريم إنما كان معجزة لتركها عليه السلام لأن مريم لم تكن نبيه لقوله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم) وقال ابن الأخشيد كان ذلك إظهار النبوة عيسى عليه السلام كما كان ظهور الشهب والغمامة وغيرهما معجزة للنبي عليه السلام ويجوز عندنا أن يكون معجزة لها وكرامة وإن لم تكن نبيه لأن إظهار المعجزات عندنا إنما تدل على صدق من ظهرت على يده سواء كان نبياً أو إماماً أو صالحاً ، على أنه يحتمل أن يكون الله قال ذلك لمريم وقد يقال قال الله لها وإن كان بواسطة كما تقول قال الله كذا وكذا وإن كان على لسان النبي عليه السلام .

قوله سبحانه :

«ما كذب الفؤاد ما رأى» (٥٣/١١) إنما جاز أن تتصور الملائكة في صورة البشر مع نافية من الإيهام لأنه قد اقترن به دلالة وكان فيه مصالحة فجري مجرى السراب الذي يتخيل أنه ماء من غير علم بأنه ماء .

قوله سبحانه :

«عليها ملائكة غلاظ شداد» (٦١/٦٦) معناه غلاظ في الأخلاق شداد في القوى وإن كانوا أرقاق الأجسام لأن الظاهر من حال الملك أنه روحاني فخروجه عن الروحانية كخروجه

عن صورة الملائكة .

قوله سبحانه :

« لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون » (٢١/١٩) وقوله (سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون) قال جماعة ان الملائكة كلهم رسل الله وقال الرمانى فى قوله (جاعل الملائكة رسلا) ظاهر الاية يقتضى العموم وعمومه يقتضى أنهم لا يعصونه فى صغيرة ولا كبيرة .

قوله سبحانه :

« الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » (٢٢/٧٤) أدخل من للتبويض فدل على أن جميعهم لم يكونوا أنبياء كما انه لما قال (ومن الناس) دل على ان جميع الناس لم يكونوا انبياء وذهب اصحابنا الى أن فيهم رسلا وفيهم من ليس برسول فلو كانوا جميعاً رسلا لكانوا جميعاً مصطفىين لان الرسول لا يكون الا مختاراً مصطفى كذا قال ولقد اخترناهم على علم على العالمين فالرسل منهم لا يجوز عليهم فعل القبيح ولا دليل على ان جميعهم بهذه الصفة .

قوله سبحانه :

« قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها » (٢/٢٨) يدل على زيادة التثنية فى نفوسهم أنه يعلم الغيب وانما قالوا ذلك لما رأوه من الجان او قالوا استمظاهراً لفعلهم او ان الله كان قد اخبرهم او قالوا على وجه الايجاب وان خرج مخرج الاستفهام او على وجه التوجع والتألم وقيل انما سألوا على وجه التعريف والاستفادة وانما ارادوا بذلك غير الانبياء والمعصومين وكأنه تعالى قال (انى جاعل فى الارض خليفة) يكون له ولدون نسل يفعلون كبيت وكيت فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها) يريدون الولدو يحتمل ان يكون قوله (من يفسد فيها) يريدون البعض لا الكل كما يقال بنو شيان يقطعون الطريق اى بعضهم .

قوله سبحانه :

« سبحانه لا علم لنا » (٢/٣٠) يحتمل وجهين قال ابن عباس تنزيهاً لله ان يكون احد يعلم الغيب والثانى أنهم ارادوا ان يخرجوا الجواب مخرج التعظيم لله فكأنهم قالوا

تنزيهاً لك عن القبائح .

قوله سبحانه :

« كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » (٨٢/١٢) أى ملائكة لا يخفى عليهم شيء من الذى يفعلونه فيثبتون ذلك كله وعلمهم بذلك اما باضطرار كما تعلم انه يقصد الى خطابنا وامرنا ونهينا واما باستدلال اذارأوه وقد ظهر منه الامور التى لا تكون الا عن علم وقصد نحو ردالوديعة وقضاء الدين والكيل والوزن مما يتعمد فيه اهل الحقوق قال الحسن يعلمون ما تفعلون من الظاهر دون الباطن وقيل هو على ظاهر العموم لان الله يعلمهم اياه .

قوله سبحانه :

« عليها تسعة عشر » (٧٦/٣٠) كلام مجمل لا يعرف تسعة عشر آحاداً ام عشرات ام مائون ام الوف وكذلك قوله (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ابن عباس و قتادة والضحاك عدة الملائكة الموكلين بالنار فى التورية والانجيل تسعة عشر فكان ذكر هذا العدد تصديقاً للنبي عليه السلام .

قوله سبحانه :

« وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة » (٧٦/٣١) أى خزنة .

قوله سبحانه :

« فمالئ ان جاء بعجل حنيد » (١١/٧٢) فلما رأى أيديهم لاتصل اليه انما عرف انتفاء الشهوات عنهم وانهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون وليس لهم ذرية بالاجماع وبهذه الآية .

قوله سبحانه :

« ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم » (٢١/٣٠) بين انهم ليسوا بمجبولين على اعمالهم .

قوله سبحانه :

« من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال » (٢/٩٢) انما اخذ ذكر جبريل

ميكال من الملائكة ذكراً لفضلهما ومنزلتهما كما قال (فيها فاكهة ونخل ورمان) وكقوله
نعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) اولما تقدم من قصتهما قبلها وهذه الآية
لت فيهما وفيما جرى من ذكرهما ثم ان اليهود لما قال ان جبريل عدونا وميكال ولينا
صا بالذكر لئلا تزعم اليهود ان جبريل وميكال مخصوصان من جملة الملائكة وغير
خلين في جملتهم فنص الله عليهما لابطال ما يتأولونه من التخصيص.

قوله سبحانه :

«حتى اذا جاء احدهم الموت توافته رسلنا» (٦/٦١) قال الحسن هو ملك الموت
عوانه وانهم لا يعلمون آجال العباد حتى تأتيتهم ذلك من قبل الله بقبض ارواح العباد .

قوله سبحانه :

«قل يتوفاكم ملك الموت» (٣٢/١١) قال المحققون ان ملك الموت لا ينبغي ان
يكون واحداً لانه جسم والجسم لا يصح ان يكون في الاماكن الكثيرة في حالة واحدة و
يلوا هذه الآية انه اراد بملك الموت الجنس دون الشخص الواحد كما قال (والملك
في ارجائها) اراد جنس الملائكة .

قوله سبحانه :

« وما انزل على الملكين بيا بل هاروت وماروت » (٢/٩٦) المعلقان كيف
للمان السحر وكيف لا يراهما الا السحرة ويحمل ما على الجحد والنفي فكانه تعالى قال
واتبعوا ما تنزل الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان) ولا انزل الله السحر على
ملكين (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) ويكون قوله (بيا بل هاروت
ماروت) يعني رجلين من جملة الناس هذان اسمائهما وانما ذكرنا بعد ذكر الناس
يزاوتيينا ويكون المالكان المذكوران اللذان نفى عنهما السحر جبريل وميكائيل لان
مرة لليهود ادعت ان الله انزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمان عليه
سلم فاكذبهم الله بذلك ويجوز ان يكون هاروت وماروت كفرا وكان ابن عباس يقرأ
« ما انزل على الملكين » بكسر اللام ويقول متى كان العاجان ملكين انما كان ملكين
به جواب سيجي . انشاء الله تعالى

فصل

قوله تعالى : « فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » (١٨/٤٨) يدل على انه لم يكن من الملائكة لان الجن جنس غير الملائكة كما ان الانس غير جنس الجن وقوله الا ابليس استثناء من غير جنسه نحو قوله (فانهم عدوى لى الرب العالمين) وقوله (ومالهم به من علم الا اتباع الظن) ويكون الابعنى لكن وتقديره لكن ابليس ابنى واستكبر وكان من الكافرين .

قوله سبحانه :

« أهولاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم » (٣٤/٤٠) قال جماعة ان الملائكة من الجن فلو كانت كذلك لم يكن قوله (بل كانوا يعبدون الجن) ونفى عبادتهم اياه معنى وقال ابن عباس كان ابليس من الملائكة وقال الطوسى ان اخبارنا تدل على أن ابليس كان من جملة الملائكة وانما كفر بامتناعه من السجود وقال ابن جريج وقتادة فى قوله (وقالوا اتخذوا الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) الى قوله (ومن يقن منهم انى اله من دونه) عنى بالاله ابليس لانه الذى ادعى الالهية من الملائكة دون غيره وذلك يدل على انه كان من الملائكة وقيل انه من طائفة من الملائكة يسمون جنأ من حيث كانوا خزنة الجنة وقيل سموا بذلك لاجتنانهم عن العميون قوله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) ومن راعى هذه الطريقة قال من قال ان ابليس له ذرية وهم يتوالدون و ياكون و يشربون عول على خبر غير معلوم وهذا فاسد لان الله تعالى اثبت له الذرية فى قوله (افنتخذونه ذريته او اياه من دونى) .

قوله سبحانه :

« أبى واستكبر و كان من الكافرين » (٢/٣٢) يدل على بطلان قول من قال انه كان يعبد الله وانما جاز ان يأمره بالسجود له وان لم يأمره بالعبادة له لان السجود مرتب فى التعظيم بحسب ما يراد به .

قوله سبحانه :

«أَسْجِدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا» (١٧/٦٣) وقوله (خلقته من نار وخلقته من طين) (٧/١١) وجه الشبهة الداخلة على ابليس ان الفروع ترجع الى الاصول فتكون على قدرها في التكبير والتصغير فلما اعتقد ان النار اكرم اصلا من الطين جاء منه انه اكرم ممن يخلق من طين و ذهب عليه بجهله ان الجواهر كلها متماثلة و ان الله يصرفها بالاعراض كيف شاء مع كرم جوهر الطين وكثرة ما فيه من المنافع التي تقارب منافع النار او توفي عليها قال الجبائي الطين خير من النار لانه اكثر منافع للمخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها معاشهم ومنها يخرج انواع ارزاقهم لان الخيرية في الارض او في النار انما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب

قوله سبحانه :

«لَا تَحْتَسِبْ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا» (١٧/٦٤) اي لا تؤودهم الى المعاصي كما تقاد الدابة بعنكها اذا شد فيها حبل تجر به الا قليلا الذين لا يتبعونه و انما ظن ابليس هذا الظن بانه يغوى اكثر الخلق لان الله كان قد اخبر الملائكة انه سيجعل فيها من يفسد فيها فكان قد علم بذلك وقال الحسن لانه وسوس الى آدم فلم يجد له عزما فقال بنوا هذا مثله في ضعف العزيمة وهذا معترض لان آدم لم يفعل قبيحا ولم يترك واجبا

قوله سبحانه :

«لَا تَتَّبِعْهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ» (٧/١٦) لم يقل على وجه المداخلة وقال ابن عباس ولم يقل من فوقهم لان رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم ولم يقل من تحت ارجلهم لان الايمان منه يوحش وقال ابن عباس و قتاده و ابراهيم والحكم والسدي وابن جريج اي من قبل دنياهم و آخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم وقال مجاهد من حيث يبصرون وقل البلخي و أبو علي من كل جهة يمكن الاحتيال بها .

قوله سبحانه :

«لَا غَوْيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» (١٥/٣٩) اي لا خيبتهم من تناول الثواب قال الشاعر : و من يفولا يعدم على الفى لا يما . ثم استثنى وقال (الاعبادك منهم المخلصين) مع حرصه على

اغواء الجميع من حيث أنه ليس منهم وعلم انهم لا يقبلون منه وأنه ليس له عليهم سلطان الا بالاغواء فاذا علم ان منهم من لا يقبل منه صرفه عن ذلك اياه منه .
قوله سبحانه :

«وما كان له عليهم من سلطان» (٣٤/٢٠) وقوله (وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي) (١٤/٢٧) قال الجبائي ليس له عليهم قدرة على ضرر ونفع اكثر من الوسوسة والدعاء الى الفساد فاما على ضرر فلا لانه خاق ضعيف متداخل لا يقدر على الاضرار بغيره

قوله سبحانه :

«وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً» (٧٢/٦) وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا سافروا في وادي ناد والجن يعوذ بررب هذا الوادي ثم قالوا احبس عنا سفهاءكم فنقول الجن نحن لا نملك لكم ضرراً ولا نفعاً وهم يفرعون منا فكانوا يجتروا على الانس وبرهقوتهم ويخوفونهم وكيف يتسلط من لا يقدر على نفع ولا ضرر أو كيف يسلط الله على عبيده ليطلمهم عن الحق ثم يكلفهم ولا يجي منه فعل في غير محل القدرة وانه جسم شفاف وليس منه سوى ارادة المعاصي وتزيين الشهوات والدعاء الى المنكرات

قوله سبحانه :

«فوسوس اليه الشيطان» (٢٠/١١٨) وقوله (من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس) (١٢٤/٤) وسواس الشيطان دعاؤه الى معصية الله بقول خفي ويقارن دعاؤه انه يريد بذلك نفعه ويجوز ان يصل وسواسه الى قلب العبد بآلة لطيفة ويجوز ان يكون اذا تكلم بذلك في نفسه اعلمناه الله كما لو تحدث انسان في نفسه جازان يعلمه الله قال ربه وسوس يدعوا مخلصاً رب الفلق والوسوسة تكون من الجن والانس والشيطان اسم لكل بعيد من الخير قوله شياطين الجن والانس ورأى النبي عليه السلام رجلاً يتبع حماماً في طيرانه فقال شيطان يتبع شيطاناً

قوله سبحانه :

« واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس » (٨/٥٠) المعنى أن إبليس حسن للمشركين أعمالهم وحرصهم على قتال محمد ص وخرجهم من مكة وقوى نفوسهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم لأنهم خافوا بنى كنانة مما كان بينهم فأراد إبليس أن يسكن خوفهم (فلما ترائت الفئتان لكس إبليس على عقبيه) قال ابن عباس وقناده والسدى وابن اسحق ظهر لهم فى صورة سراقه ابن مالك بن جعشم الكنانى فى جماعة من جنده وقال لهم هذه كنانة قد اتتكم بجند لها فلما رأى الملائكة لكس على عقبيه فقال الحارث بن هشام الى اين يا سراق فقال انى أرى ما لا أرون وهو قول أبى جعفر وأبى عبد الله عليهما السلام وقيل انه رأى جبرئيل بين يدى النبی عليه السلام وقال أبو على الجبائى حوله الله على صورة انسان علماً للبنى عليه السلام فيما يخبر به وقال الحسن والبلخى انما هو يوسوس من غير أن يحول فى صورة انسان

قوله سبحانه :

« وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين » (٢٣/٩٩) وما جاء فى الحديث مرفوعاً أعوذ بالله من همزه ونفثه فالهمزات دفعهم بالاغواء الى المعاصى والهمز شدة الدفع ومنه سميت الهمزة للالف لانه يخرج من اقصى الحلق باعتماد شديد

قوله سبحانه :

« من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين اخوتى » (١٢/١٠١) (وقوله واما ينزغك من الشيطان نزع) (٧/١٩٩) نزع الشيطان وسوسته ودعاؤه الى معصية الله وإيقاع العداوة بين الناس

قوله سبحانه :

« يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان » (٧/٢٦) افتنان الشيطان يكون بالدعاء الى المعاصى من الجمة التى تميل اليها النفوس وتشتبهها وانما جازأن ينهى الانسان بصيغة النهى للشيطان لانه ابلغ فى التحذير من حيث يقضى انه يطلبنا بالمكروه ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهى لنا عن ترك التحذير منه

قوله سبحانه :

«انما يأمركم بالسوء والفحشاء» (٢/١٦٤) الامر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل

قوله سبحانه :

«ولانجد أكثرهم شاكرين» (٧/١٦) اخبار من ابليس ان الله تعالى لا يجد أكثر خلقه شاكرين قال ابو علي يمكن انه علمه من جهة الملائكة باخبار الله اياهم وقال الحسن انه اخبر عن ظنه ذلك كما قال و لقد صدق عليهم ابليس ظنه لانه لما غوى آدم قال ذريته هذا أضعف وظن انهم يسبحونه ويتابعونه

قوله سبحانه :

«قال فاهبط منها» (٧/١٢) قال ابو علي انما علم ابليس ان الله تعالى قال له هذا القول على لسان بعض الملائكة وقال ابن رقبه انه رأى معجزة تدل على ذلك

قوله سبحانه :

«ان كيد الشيطان كان ضعيفاً» (٤/٧٨) قال الجبائي وصف كيده بالضعف لضعف قوته لاوليائه بالاضافة الى نصرة المؤمنين وقيل الحسن أخبرهم انهم سيظهرون عليهم فلذلك كان ضعيفاً ويقال لضعف دواعي اوليائه الى القتال بانها من جهة الباطل اذ لانصير لهم وانما يقاتلون بما تدعو اليه الشبهة والمؤمنون يقاتلون بما تدعو اليه الحق

قوله سبحانه :

«انه ليس له سلطان على الذين آمنوا» (١٦/١٠١) قال الجبائي :

في الآية دلالة ان على الصرع ليس من قبل الشيطان لانه لو امكنه ان يصرعه لكان له عليهم سلطان واجاز ابو الهذيل وابن الاخشيد ذلك وقال انه يجري مجرى قوله كالذي يتخبطه الشيطان من المس لان الله تعالى قال انما سلطانه على الذين يتولونه وانما أراد به سلطان الاغواء والاضلال عن الحق

قوله سبحانه :

«دنتخبطه الشيطان من المس» (٢/٢٧٦) مثل عند الجبائي لاحقيقة له على وجه التشبيه بحال من تغلب عليه المرة السوداء فتضعف نفسه ويلج الشيطان باغوائه عليه

فيقع عند تلك الحال ويحصل به الصرع من فعل الله ونسب الى الشيطان مجازاً لما كان عند وسوسته وكان ابو الهذيل وابن الاخشيد يجيزان كون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض لان الظاهر من القرآن يشهد به و ليس في العقل ما يمنع منه وقال الجبائي لا يجوز ذلك لان الشيطان خلق ضعيف لم يقدره الله على كيد البشر بالقتل والتخيط ولوقوى على ذلك لقتل المؤمنين الصالحين والداعين الى الخير لانهم اعداؤه

: قوله سبحانه

«وانى أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» (٣/٣١) معناه الاستعاذة من طعن الشيطان للطفل الذى يستهل صارخاً فوقها الله عز وجل وولدها عيسى منه بحجاب كما روى ابو هريرة عن النبى عليه السلام وقال الحسن انما استعاذت من اغواء الشيطان

: قوله سبحانه

«انه يريدكم هو وقيومه من حيث لا ترونهم» (٧/٢٦) انما كانوا يروننا ولا نراهم لان ابصارهم احد من ابصارنا و اكثر ضوئاً من ابصارنا و ابصارنا قليلة الشعاع ومع ذلك اجسامهم شفافة واجسامنا كثيفة فصيح ان يروننا ولا يصح منا ان نراهم ولو تكشفوا الصبح منا ايضاً ان نراهم وقال ابو على فى الاية دلالة على بطلان قول من يقول انه يرى الجن من حيث ان الله عم ان نراهم قال وانما يجوز ان يروا فى زمن الانبياء بان يكشف الله اجسامهم وقال ابو الهذيل وابن الاخشيد يجوز ان يمكنهم ان يتكفوا فيراهم حينئذ من يختص بخدعتهم وهذا اقوى

: قوله سبحانه

«ومن الشيطان من يغوصون له ويعلمون عملا دون ذلك» (٢١/٨٢) وقوله (و آخرين مقرنين فى الاصفاد) (٣٨/٣٧) قال الجبائي كنف الله اجسامهم حتى تهيأ لهم تلك الاعمال معجزاً لسليمان قال لانهم كانوا يبنون له البنيان ويغوصون فى البحار ويخرجون ما فيها من اللؤلؤ وذلك لا يتأتى مع دقة اجسامهم

: قوله سبحانه

«لا يسمعون الى الملاء الاعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً» (٣٧/٨) وقوله

(مقاعد السمع) (٧٢/٩) وقوله (من استرق السمع) (١٥/١٨) انما جاز ان يقصدوا الاستراقاع
السمع مع علمهم بانهم لا يصلون وانهم يحرقون بالشهب لانهم تارة يسلمون اذا لم يكره
هناك من الملائكة شيء وتارة يهلكون كراكب البحر
قوله سبحانه :

«وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض» (٦/١٢٨) قال الزجاج
والرمانى وجه استمتع الجن بالانس انهم اذا اعتقدوا ان الانس يتعوذون بهم ويعتقدون
انهم ينفعونهم ويضرونهم او انهم يقبلون منهم اذا دعوه كان في ذلك تعظيم لهم وسرور
ونفع ذكر ذلك وقال البلخي ويحتمل ان يكون قوله استمتع بعضنا ببعض مقصوداً على الانس
قوله سبحانه :

«فل اوحى الى انه استمع ثم من الجن فقالوا اناسم عنا قرانا عجباً يهدي الى
الرشد فلما ناباه» (٧٢/١) يدل على ان فيهم مؤمنين .
قوله سبحانه :
«لم يطمئنن انسى قبلهم ولا جان» (٥٥/٥٦) في الآية دلالة على ان
للمؤمنين من الجن ازواجاً من الحور .

فصل

قوله تعالى : «وان من شيء الا يسبح بحمده» (١٧/٤٦) وقوله ألم تر ان
الله يسبح له من في السموات والارض (٢٤/٤١) لا يخلو ذلك من التسبيح المسموع او تسبيح
مجهول او من جهة الدلالة ولا يجوز الاول لانه جماد والفرق بين الجماد والحيوان
بالنطق واو اراد ذلك لقال ولكن لا تسمعون تسبيحهم ولم يقل ولا تفقهون ولا يجوز الثاني
لانه تشييت فساد ما لا يعقل وسوء اثبات ما لا يعقل ونفيه لانهم في الدلالة والجواز سواء في جميع
الابواب فلم يبق الا من جهة الدلالة ولا خلاف في ان جميع المخلوقات تسبح الله بالدلالة على ان
لها صانعاً ومن عادة العرب ان تجعل الدلالة قولاً ونطقاً وكلاماً واسارة والتسبيح

التقديس عما لا يجوز عليه في صفاته ولم يزل الله مقدساً منزهاً قبل خلقه فمن كان من العقلاء عارفاً به فتسبيحه لفظاً ومعنى وماليس بمأقل من الحيوان والجماد فتسبيحه ما فيه من الأدلة الدالة على وحدانيته وتنزيهه عما لا يليق به ورجوع التقديس الى ما لا يعقل ككفر الكافر يعود نقصه اليه من غير ان يضر الله منه شيء وكذلك قوله : (سبح لله ما في السموات) (وسبح الرعد بحمده) (يا جبال اوبي معه والطير) فيكون معناه اى يسبح اهلها كقوله (واستل القرية)

قوله سبحانه :

« فمكث غير بعيد فقال احطت بما اثم تحط به - الاية » (٢٧/٢٢) وقوله (فبعث الله غراباً) (٥/٣٤) وقوله (والطير محشورة كل له اواب) (٣٨/١٨) وقوله (قالت نملة) (٢٧/١٨) قال ابو علي لا يمتنع ان يكون الله خلق في هذه الحيوانات من المعارف ما تفهم به الامر والنهي والطاعة فيما يراد منها والوعيد على ما خالفت وان لم تكن كاملة العقل مكلفة وانها تخبر بذلك كما يخبر مراهقو صبياننا لانه لا تكليف الا على الملائكة والانس والجن وقال الطوسي هذا خلاف الظاهر لان الاحتجاج الذي حکاه عن الهدى احتجاج عارف بالله وما يجوز عليه مما لا يجوز قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ثم قال و زين لهم الشيطان اعمالهم ثم قال وصدهم عن السبيل ثم قال وهم لا يهتدون ثم قال الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم والمراد بقوله وقالت نملة اى انه ظهر منها دلالة القول لباقي النمل على التخويف من الضر بالمقام وان النجاة في الهرب الى مساكنها ويكون اضافة القول اليها مجازاً واستعارة كقول الشاعر في الفرس : (وشكى الى بعبرة ونجمم) او انه وقع من النملة كلام ذو حروف منظومة يتضمن للمعاني المذكورة مثل ما يقع من المجنون والصبي مع زوال التكليف والكمال عنهم و ذلك يكون معجزاً لسليمان عليه السلام وقالوا هو مثل ضربه الله على لسان النملة لامر اراده لانه لا يستحيى ان يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها لانه لما كان عاقبة النمل ان سليمان ان مر عليه حطمه وقيل النمل اسم رجل في ذلك الزمان كما تسمى بضب و كلب والمراد بقوله فبعث الله غراباً يبحث في الارض الهمة كما قال واوحى ربك الى النحل

قوله سبحانه :

« والطير صافات كل قد علم صوته و تسبيحه » (٢٤/٤١) قال مجاهد الصلوة

للإنسان والتسبيح لكل شيء، والصلوة الدعاء والدعاء إنما يكون لطلب ما يحتاج إليه والتسبيح هو التبعية مما لا يستحقه فأراد أن كلا من الطير قد علم ما يحتاج إليه ويطلبه و يدعو وما يجب عليه الاجتناب من مضاره ولا بد أن يكون لها إشارات وأسباب وتفهم بفهم بعضها عن بعض وذلك منطقهم

قوله سبحانه :

«ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض» (٢٢/١٨) وقوله : (والنجم والشجر يسجدان) (٥٥/٥) معنى السجود الذل والتواضع تسخييراً للخلاق قال سويد بن أبي كاهل : ساجد المنجز لا يرفعه - خاشع الطرف اسم المستمع وقال أمية : هو الذي سخر الأرواح ينشرها - ويسجد النجم الرحمن والشجر - وقال الطوسي : سجد هما ما فيهما من الآية الدالة على حدوثها وعلى وجوب الخضوع لله والتذلل له لما خلق فيهما من الأقوات المختلفة وفي النبات والثمار فلا شيء ادعى إلى الخضوع والعبادة لمن أنعم بهذه النعمة الجليلة مما فيه وقال مجاهد وابن جبير : سجد هما ظلالهما الذي يلقيانها بكرة وعشياً فكل جسم له ظل فهو يفتنى الخضوع بما فيه من دليل الحدوث وقال الحسن وقتادة وابن زيدان المؤمن يسجد لله طوعاً والكافر كرهاً يعني بالسيف. وقال أبو علي : سجد الكره بالتذليل والتصريف من عافية إلى مرض ومن غنى إلى فقر ومن حياة إلى موت . وقال الزجاج : المعنى أن فيمن يسجد لله من يسهل ذلك عليه وفيهم من يشق عليه فيكرهه كقوله حملته كرهاً ووضعته كرهاً وقيل : أن المؤمن يسجد لله طوعاً والكافر في حكم الساجد كرهاً بما فيه من الحاجة إليه والذلة التي تدعو إلى الخضوع لله تعالى .

قوله سبحانه :

وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا منه خضراً الآية (٦/٩٩) تدل على بطلان قول الطبايعية أن الماء الواحد والتربة يخرج الله منها ثماراً مختلفة وأشجاراً متباينة واختلافها يدل على بطلان قولهم .

قوله سبحانه :

«ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليرىكم من آياته» (٣١/٣٠) وجه الدلالة من ذلك أن المجرى لها بالرياح هو القادر الذي لا يعجز أن يرسلها في الوجوه التي يريدون المسير فيها ولو اجتمع جميع الخلق أن يجروا الفلك في بعض الجهات مخالفاً لجهة الرياح لما قدر وأعليه ودخل ابن ميثم على الحسن بن سهل وإلى جنبه

ملحد قد عظمه الناس فقال له قدرأيت بيباك عجباً قال وما هو قال رأيت سفينة تعبر الناس من جانب الى جانب بلا ملاح ولا ناصر فقال الملاحدان هذا أصلحك الله لمجنون قال وكيف ذاك قال خشب جماد لاهياة له ولا قوى ولا عقل كيف يعبر بالناس فقال ابن ميثم فايما أعجب هذا وهذا الماء الجارى يجرى على وجه الارض بمنة ويسرة بلا روح ولا حياة ولا قوى وهذا النبات الذى يخرج من الارض وهذا المطر الذى ينزل من السماء تزعم ان لا مدبر لها كلها وتنكر ان تكون سفينة تتحرك بالامدبر وتعبر الناس

قوله سبحانه:

« هو الذى يسيركم فى البر والبحر » (١٠/٢٣) نسبه الى نفسه اما فى البحر فلانه بالريح والله المحرك لهادون غيره واما فى البر فلانه كان باقداره وتمكينه و تسبيبه و قال رجل للمصدق عليه السلم ما الدليل على الله ولا تذكر لى العالم والجوهر والعرض فقال عليه السلم هل ركبت فى البحر قال نعم قال فهل عصفت بكم الريح حتى خفتم الفرق قال نعم قال فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين قال نعم قال فهل تتبعك نفسك ان ثم من ينجيك قال نعم قال فان ذلك هو الله تعالى قال تعالى فاذا مسكم الضر فاليه تجأرون . قوله سبحانه :

« انا جعلنا ما على الارض زينة لها » (١٨/٦) و لم يقل كل ما عليها فدخل فيها الحيات والعقارب ونحوها وقال ابن عباس وأبى زهره لها كانه يشير الى النبات خاصة و يقال من النبات والدواب لانه تدل على الوجدانية الا ترى انه اقسام بالثين والزيتون والشمس والقمر والطور والذاريات

فصل

قوله تعالى : « الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون » (٣٦/٨٠) اى من قدر على ان يجعل فى الشجر الاخضر الذى هو غاية الرطوبة نارا حامية مع تضاد النار للرطوبة لا يقدر على الاعادة . ثم قال (اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) (٣٦/٨١) لان من شأن القادر على الشئ ان يكون قادراً على جنس مثله

وجنس ضده

قوله سبحانه :

«أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ» (٧٠/٧٠)
لا يدل على أنه نار الشجر الامن قادر عليه لان الطبع غير معقول فلا يجوز أن يستند
الافعال ولو جاز ذلك لجاز في جميع افعال الله ولو كان الطبع معقولا لكان ذلك الطبع
ان يكون في الشجر والله الذي انشأ الشجر وما فيها فقد رجع الى قادر عليه وان كان بواء
ولو جاز ان تكون النار من غير قادر عليها لجاز ان يكون من عاجز ولو جاز ذلك
وقوع الفعل ممن ليس بقادر عليه منا

قوله سبحانه :

«هُوَ الَّذِي يَرْيَاكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا» (١٣/١٣) قال المحسن : خوفًا من الصور
التي تكون مع البرق وطمعًا في الغيث الذي يزيل الجذب والقحط و قال قتاده خ
للمسافر من اذاه وطمعًا للمقيم في الرزق به وقال مجاهد وينشئ السحاب الثقال الماء
ان السحاب ثقال بالماء وقيل خوفًا وطمعًا ليخافوا من عذابه بالنار ويطمعون في أن يت
ذلك مطر ينتفعون به

قوله سبحانه :

«وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ» (٥٥/٦) وقوله (وَأَنْزَلْنَا مِنْهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) (٥٧/٢٥)
انما جمع بينهما فيما من التسوية فالكتاب يتضمن علم السنن المسوي بين الشر
والمشروف والميزان يخرج تلك السنن الى العمل واما السماء فلما فيها من الكوا
السيارة وغيرها مسبباً لاصلاح العالم واما

قوله سبحانه :

«وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ» (١٥/١٩) خص الموزون دون المكيل بال
لان غاية المكيل تنتهي الى الوزن فكان الوزن أعم من الكيل ثم انه تعالى اراد بالموزون
المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصاً عنها ولا زائداً عليها يقال كلام فلان موزون
وافعاله مقدره موزونة وعلى هذا تأول المسلمون ذكر الموازين

قوله سبحانه :

«فمستقر ومستودع» (٦/٩٨) المستقر الموضع الذي يقر فيه الشيء ، وهو قراره و الذي يأوى اليه والمستودع المعنى المجهول في القرار كالولد في البطن والنطفة في الظهر .

قوله سبحانه :

«وجعلنا الليل لباسا» (٧٨/١٠) اللباس ساتر مما سار له واستتره والليل ساتر الاشخاص تهماس لها جسمه الذي فيه الظلمة .

فصل

قوله تعالى : «والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه» (٢٤/٤٥) ملك والحيات (ومنهم من يمشى على رجلين) مثل ابن آدم والطير (ومنهم من يمشى على اربع) كالبهايم والسباع ولم يذكر المشى على اكثر من اربع لانه كالذي يمشى اربع في رأى العين فترك ذكره لان العبرة تكفى بذكر الاربع . وقال البلخي : عند الفلاسفة ان ما زاد على الاربع لا يعتمد عليه واعتماده على اربع فقط .

قوله سبحانه :

«وجعلنا من الماء كل شيء حي» (٢١/٣١) وقوله (والله خلق كل دابة من ماء) (٢٤/٤٥) لان أصل الخلق من ماء ثم قلب الى النار فخلق البجن منها والى الريح فخلق ثمكة منها ثم الى الطين فخلق آدم منه وانما قال منهم تغليباً لما يعقل على ما لا يعقل ختلط في خلق كل دابة وقال الحسن من ماء اى من نطفة وجعل قوله كل دابة خاصاً بخلق من نطفة وقوله (وجعلنا من الماء كل شيء حي) وقد رأى أشياء موات منه كما يقول جعلت من هذا الطين صورة كل شيء فعلى هذا يجوز أن يكون جعلت صورة ير وكل سبع ولو قلت لم اجعل من هذا الطين الصورة كل طير لم يجز ان يكون هيئتها دل غير صورة الطير

قوله سبحانه :

«ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات» (٣٠/٤٥) اى بالمطر وارسال الرياح بكها واجراؤها في الجهات المختلفة بحسب ما يعلم فيه من المصلحة شمالاً وجنوباً ودبوراً ما قدر و اعليه فمن قدر على ذلك يعلم انه قادر لنفسه لا يعجزه شيء ، للعبادة خالصة .

قوله سبحانه :

« وفي عاد اذا ارسلنا عليهم الريح العقيم » (٥١/٤١) وقال (فكذبوه فاخذتهم الرجفة)
لاتناقض بينهما لانه غير ممتنع ان تنضم الى الريح صاعقة في اهلاك قوم عاد فيسوغ ان يخبر
في موضع انه اهلكهم بالريح وفي اخر انه اهلكهم بالصاعقة وقد يجوز ان يكون الريح
نفسها هي الصاعقة لان كل شيء صعد الناس منه فهو صاعقة وكذلك القول في الرجفة انه غير
ممتنع ان يقرن بالصاعقة الرجفة وقد يمكن أن يكون الرجفة هي الصاعقة لانهم صعدوا عندها .
قوله سبحانه :

« ما تذر من شيء ائت عليه الا جعلته كالرميم » (٥١/٤٢) قالوا ان الماء في عهد
نوح لما عم جميع الارض لم ينج من الغرق الا اصحاب السفينة كالريح المسخرة لما اعتصم
منها هود وصحبه بحيث لم تهب فيه هذه الريح المهلكة والله تعالى قادر على ان يخص بالريح
أرضاً دون أرض أو يكف عن هود (الجواب) انه غير ممتنع ان يكف عن هود وصحبه هبوبها
وتأثير اعتماداتها كما كف احراق النار عن ابراهيم يبردها في جسمه وان كان حاصلها فيها .
قوله سبحانه :

« اننا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها »
(٢٣/٧٢) وهذه الاشياء جمادات لا يصح تكليفها المراد عرضنا على اهل السموات واهل
الارض واهل الجبال كقوله (واسئل القرية) وقيل : المعنى في ذلك تفخيم شأن الامانة و
تعظيم حقها وان من عظم منزلتها انها لو عرضت على الجبال والسموات مع عظمها وكانت
تعلم بامرها لاشقت منها غير انه خرج منخرج الواقع لانه ابلغ في المقدور . وقال البلخي
معنى العرض والاباء ليس هو مما يفهم بظاهر الكلام بل انما أراد تعالى أن يخبر بعظم شأن
الامانة وانه وجد السموات مع عظمها لا تحتملها وان الانسان حملاً أي احتملها ثم خانها
وهذا كقولهم سألت الربيع وخاطبت الدار فقالت كذا وربما قالوا فلم تجب وقوله
(اثبتا طوعاً او كرهاً قلنا ائينا طائعين) وقوله (لقد جئتم شيئاً اذا تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً) قال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت سور
المدينة والجبال الخشع وقال آخر : فقال لي البحر اذ جيته وكيف يجير ضريراً
ومعنى الاباء الامتناع يقال هذه الارض تأبى الزرع والفرس اي لاتصلح لهما فيكون المعنى فابين
ان يحملنها اي لاتصلح لحملها لانه لا يصلح لحمل الامانة الا من كان حياً قادراً عالماً سمياً بصيراً .

قوله سبحانه

«فما بكت عليهم السماء والارض» (٤٤/٢٨) اي أهلها كقوله حتى تضع الحرب اوزارها ويقال السخا حاتم و ان الله اراد المبالغة في وصف القوم بسقوط المنزلة كما يقال كسفت الشمس لفقده واضلم القمر و بكاه الليل والنهار والسماء والارض . قال جرير :

الشمس طالعة ليست بكاسفة
تبكي عليك نجوم الليل والقمر
ويكون الاخبار عن فقد الانتصار والاخذ بالثار والعرب كانت لا تبكي على القتيل
الابعد الاخذ بشاره وبمعنى الاخلال عن الاختلال بعده .

بكت دارهم من أجلهم فتهلكت دموعي فاي الجاز عين الوم

وسئل ابن عباس او تبكيان على احد فقال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وقال المرتضى : البكاء كناية عن المطر والعرب تشبه المطر بالبكاء فيكون معنى الآية ان السماء لم تسق قبورهم لانهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه قال عدى بن حاتم في وفاة النبي عليه السلام .

ان الذي بكت السماء لفقده غميت علينا بعده الا نباه
والارض خاشعة لها بجبا لها والناس لاموتى ولا احياه

ابوذويب

كسفت لمصرعه النجوم وبدرها وتزعزت اركان بطن الابطح

فصل

قوله تعالى : «فلا تفعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره» (٤/١٣٩)

قال العجائبي في الآية دلالة على بطلان قول الاصم ونفاة الاعراض وقوله انه ليس ههنا غير الاجسام لانه قال حتى يخوضوا في حديث غيره فثبت غيراً لما كانوا فيه وهو العرض اختير متكلم لينظر ابن الراوندي في اثبات الاعراض فزادهم الناس و نكص المتكلم فلما بلغ الغاية حضر المتكلم فام ينظر الخليفة اليه لغضبه اليه فقال يا امير المؤمنين انشدك هل كنت قبل نكوصي على هذه الصفة ام تجدد حالة اخرى قال بل تجددت قال هي التي ينبغيها هذا الرجل و امير المؤمنين يعرف من نفسه وناظر بعضهم الصاحب في ذلك فقال الصاحب هل تحصل منا افعال قال نعم قال هي جواهر او اعراض ثبتت . وقال ابو الهذيل للاصم وهو

ينفى الحركة خبرنى عن قوله (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) و
عن قوله فى القاذف (فاجلدوهم ثمانين جلدة) ايهما اكثر قال حد الزانى بعشرين قال فما
تلك الزيادة هى نفس الجلد او نفس المجلود او الهواء او الخشب او ثم شئى غير هذا يسمى
الجلد قال لا أقول شيئاً من ذلك قال فكانك قلت لاشئى اكثر من لاشئى بعشرين .

قوله سبحانه:

«ولو قال لكم الذين كفروا والوالوالادبار» (٤٨/٢٢) فى هذه الآية دلالة على
انه يعلم ما لم يكن ان لو كان كيف يكون وفيه اشارة الى ان المعدوم معلوم وقال الموبد
لهشام بن الحكم: احول الدنيا شئى قال لا قال. فان اخرجت يدك من الدنيا فثم شئى بردها
قال ليس شئى يردك ولا شئى يخرج يدك قال فكيف اعرف هذا . قال يا موبد انت و
انا على طرف الدنيا فقلت لك يا موبد انى لا ارى شيئاً فقلت ولم لا ترى فقلت لانه ليس
ههنا ظلام يعنى فقلت يا هشام انى لا ارى شيئاً فقلت ولم لا ترى فقلت ليس لى ضياء أنظر
به فهل تكافات المسألتان فى التناقض قال نعم قال فاذا تكافاتا فى التناقض لم لا تكافا فى
الابطال ان ليس ثم شئى فاشار الموبد بيده ان اصبت .

قوله سبحانه:

«وقد خلقناك من قبل ولم يك شيئاً» (١٩/١٠) وقوله: (اولا يذكر الانسان انا خلقناه من
قبل ولم يك شيئاً) (١٩/٦٨) وقوله: (ام خلقوا من غير شئى) (٥٢/٣٥) وقوله: (هل
أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) (٧٦/١) وقوله: (كسر اب بقية يحسبه
الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً) (٢٤/٣٩) تعلق المثبتون بهذه الايات وقالت النفاة: انما
قال ولم يك شيئاً ولم يقل ولم يسم شيئاً والكون انما يتناول الموجود دون المعدوم والانسان
خلق من نقطة وآدم خلق من التراب وكلاهما موجودان وخلق الخلق من الالباء والامهات
ومعناه اخلقوا من غير اصل يرجعون اليه . ويقال: من غير شئى أى لغير شئى . ومعنى
الايات ان عادة العرب اذا أرادت الاخبار عن خسارة قدر شئى . تصفه بأنه لاشئى وليس
بشئى . لا يقصدون الى انه غير موجود لانهم يصفون الموجد بالحاضر بذلك كما يصفون المعدوم

قوله سبحانه:

«ان زلزلة الساعة شئى عظيم» (٢٢/١) قالت النفاة أى يكون شئى عظيم .

قوله سبحانه :

«ولا تقولن لشيء، اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله» (١٨/٢٣) وقوله: (انما قولنا لشيء، اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) (١٦/٤٢) فانه يسوغ للمثبتين ان يستدلوا بهما وكذلك قوله (والله على كل شيء قدير) الموجود لا يوصف بالقدرة عليه احد الا على سبيل الاعداء واشتهر عن اهل اللغة قولهم شيء، معدوم فلو كان لفظة شيء، لا يقع الا على موجود لكان هذا القول متناقضاً ويجرى ذلك مجرى قولهم موجود معدوم ونحن نعلم الصوت عند تقضيه والجسم بعد حجابيه .

قوله سبحانه :

«لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله» (٥٩/٢١) انما خرج مخرج المثل . قوله في عقبه (وتلك الامثال نضرب للناس) المعنى في خشوع الحجارة انه يظهر فيها مالم يظهر من حي مختار قادر كان بذلك خاشعاً كقوله جداراً يريد ان ينقض لان ما ظهر فيه من فعل الحيوان او ظهر من حي لدل على أنه يريد ان ينقض ليس ان الجدار يريد شيئاً في الحقيقة بل كناية عن كونه خاشعاً لله تعالى

قوله سبحانه :

«وان منها لما يهبط من خشية الله» (٢/٦٩) يريد بذلك التذلل تسخييراً . قال جرير : لما أتى خبر الزبير تراضعت سور المدينة والجبال الخشع ويقال يهبط من خشية الله كانه يفعل ذلك بغيره ممن يعقل لدلالته على الخالق فكانه يقول يدعوا الى خشية الله اذا نظر اليه قالوا سبحانه الله كما تقول العرب لعل لا ينطق اذا نطق عجباً له فقالوا سبحانه الله .

قوله سبحانه :

«تكاد السموات يتفطرن منه وتشق الارض وتنخر الجبال هداً» (١٩/٩٢) هذا كما تقول العرب هذا الكلام يفلق الصخر و يهد الجبال ويستنزل الوعول ، قال الشاعر :
ولو أن ما بي بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يسمع لمن هبوب
قال ابن عباس وقتاده والضحاك : يتفطرن من فوقهن من عظمة الله وجلاله قالوا ان السموات تكاد تنفطرن من فوقهن استعظاماً لله الكفر بالله والعصيان له مع حقوقه الواجبه

على خلقه وذلك على وجه التمثيل

قوله - بحانه :

«وانه اضحك وابكى» (٥٣/٤٤) والضحك والبكاء من فعل الانسان . و قوله (فليضحكوا قليلا ولابكوا كثيراً) وقوله (افمن هذا الحديث تعجبون و تضحكون و لا تبكون) وقوله (فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون) نسب الضحك والبكاء اليها و لو لم يكن فعلنا لم يحسن ذلك اما الآية الاولى فمعناها انه اضحك وابكى بان فعل سبب ذلك من السرور والحزن كما يقال أضحكني فلان وابكاني أي من سببها وقال الحسن : ان الله هو الخالق للضحك والبكاء والضحك تفتح اسرار الوجه عن سرور في القلب فاذا هجم على الانسان منه مالا يمكنه دفعه فهو من فعل الله وكذلك البكاء وقيل : اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر

فصل

قوله تعالى : «هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب» (١٠/٥) لما أخبر الله بهذه الاحوال عن النجوم كان أجرى العادة بأن يحدث أمراً عند طلوع كوكب او غروبه او اتصاله أو مقارنته لكن لا طريق لنا الى العلم بأن ذلك قد وقع ونبت ثم أن تلك العادة يجوز أن تختلف باختلاف الأزمان فلا يفعل ذلك لانه مختار فيها ولا تأثير للكواكب البتة لانها ليست بحية قادرة فتفعل بالاختيار ولا علة موجبة فتؤثر بالايجاب وأنما هي اجسام يسيرها الله كما يريد والدليل على نفى كون الفلك وما فيه من شمس وقمر وكوكب احياء الاجماع وأذا قطعنا على نفى الحياة والقدرة عنها فكيف تكون فاعلة ثم ان الحرارة الشديدة كحرارة النار تنفي الحياة وحرارة الشمس اقوى من حرارة النار وما كان بهذه الصفة من الحرارة تستحيل أن يكون حياً وان كانت قادرة انما تفعل في غيرها على سبيل التوليد ولا بد من وصلة بين الفاعل والمفعول فيه والكواكب غير مماسة لنا ولا وصلة بيننا وبينها فكيف تكون فاعلة فينا والهواء لا يجوز أن يكون آلة في الحركات الشديدة وحمل الانتقال ثم لو كان الهواء آلة تحرر كنا بها الكواكب لوجب ان نحس بذلك كما نحس من غير الهواء اذا حرر كنا

قوله سبحانه :

«والشمس والقمر بحسبان» (٥٥/٤) (والقمر قدرناه منازل) (٣٦/٣٩) (والنجم اذا هوى) (٥٣/١) فلا تعلق لهم فيها لاننا نعرف أن للنجوم سيراً ومنازل و اجتماعات و احتراقات و حرركات و حرارة الشمس و كسوفها و نور القمر و خسوفه و أنها تجري بحسابه و أن سير كل واحد منها خلاف سير الآخر و أن سير جميعها يجري على مقدار معلوم و نعلم بها عدد السنين و الحساب و بها يقع الفصل بين الايام و الليالي الا أنه لا مجال للعقل فيه و إنما يعلم ذلك سمعاً و الخلاف بين المسلمين و المنجمين في موضعين : أحدهما في تركيب الافلاك و الارض و ما يتلو ذلك و الآخر في الاحكام التي يدعونها أن جميع حوادث العالم نشأ و توالداً و حدوداً و تغيراً يتولد عن الكواكب و بسببها يحدث حتى ادعوا أن حياة الحيوان و موتهم و تولد و خيرهم و شرهم متعلق بقواها و أن جميع ما يحدث في الجو من الامطار و الثلوج و الرعد و البرق و الصواعق و كذلك جميع ما يحدث في الارض من الزلازل و الخسف و في بطون المعادن و في عمق البحار منها لو كان الامر على ما ادعوه لبطل الامر و النهى و ارتفع المدح و الذم و بارتفاع ذلك يرتفع العقاب و الثواب و يبطلانه تبطل النبوات و الشرايع أجمع على أنه يجب ببطالان ذلك بطلان جميع العلوم و لبطلت الفائدة في تعلم علم النجوم لان تعلمه لا يستفاد شيء اذ لا يمكن أحداً أن يقدم شيئاً أو يؤخر الا ما يوجب النجم فسواء علمه أو لم يعلمه .

قوله سبحانه :

«و السماء ذات البروج» (٨٥/١) ليس فيه انها أنعاشر أو اقل أو أكثر على أن البروج هي المقصود فالاية الى بطلان مذهبهم أقرب ثم أن الاخبار بالغيب من جملة المعجزات و او كان العلم بما يحدث طريقاً نجومياً لم يعرف المعجز وقد اجتمع المسلمون قديماً و حديثاً على تكذيبهم .

قوله سبحانه :

«هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا» (١٠/٥) و أن الالهة مواقبت

للناس والحج وأن له منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وبالنجم هم يهتدون فلو كانت الحوادث منها لوجب ذكرها والامتنان بها إذا لنعمة بها أجل ومن المحال ان يمن الله على عباده بما خلق لهم من صنوف مخلوقاته فيذكر اليسير من الفائدة و يدع ذكر ما هو أجل منه بكثير .

قوله سبحانه :

«انا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب» (٣٧/٦) (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) (٤١/١١) وهذا خلاف قولهم لانه تعالى بين ان الكواكب زينت سماء الدنيا .

قوله سبحانه :

«لا الشمس ينبغي لها أن تدارك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» (٣٦/٤٠) بين أنهما في فلك واحد يسبحون وذلك انه لو كان كل واحد منهما في فلك لوجب أن يقول وكل في فلكه يسبح (١)

قوله سبحانه :

«فالمديرات أمراء» (٧٩/٥) الخصم معترف بان الكواكب لا تدبر شيئاً بل تفعل عندهم طبعاً ولا يجوز أنها تدبر وقد قيل انها الملائكة وذلك اولي .

قوله سبحانه :

« هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً » (١٠/٥) الشمس والقمر آيتان

(١) ولكن لا يخفى ان معنى الفلك كما صرح به عدة من اللغويين هو مدار النجوم و مجرى الكواكب . وهذا المعنى هو بعينه ما يقول به المتأخرون فانهم يطلقون اسم الفلك على المدارات الفرضية : اذ كل جرم متحرك في فراغ الفضاء قالوهم يفرض لمسيره مجرى على حسب مسيره وحر كته ، ولتحقيق هذا المعنى محل آخر . فمعنى الآية ح ان كل واحد من الشمس والقمر وغيرهما له مدار معين وفلك معلوم يجري فيه دائماً من دون ان يسبق او يخرج عن مداره ، ولما كان المنظور الحكم بجريان الجميع واثبات الحركة المكل من دون نظر الى خصوصيات اخرأتى بصيغة الجمع وقال كل يسبحون اشارة الى اشتراك الجميع في السباحة : وهذا كما في قوله تعالى كل الينا راجعون ، كل اليه قانتون . ح - م

من آيات الله لما فيها من عظم النور وغيرهما بغير علاقة ولا دعامة و نور الشمس لما كان اضعف الانوار سماء ضياء كما قيل للذار ناراً لما فيها من الضياء ولما كان نور القمر دون ذلك سماء نور الشمس وضياها يغلب عليه ولذلك لا يقال اضاء الليل بل يقال انار الليل و ليلة منيرة ويقولون في قلبه نور ولا يقال فيه ضياء .

قوله سبحانه :

« وعلامات و بالنجم هم يهتدون » (١٦/١٦) و حد النجم و قال فيما تقدم (والنجوم مسخرات) لان النجوم على ثلاثة اضرب ما يهتدى بها مثل الفرقدين والجدى لانها لاتزول وضرب هي زينة السماء كما قال (وزينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) فقوله و بالنجم يريد النجوم فاجتزأ بالواحد عن الجمع كما قال (او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) والنجم في قوله (والنجم الثاقب) يريد به الثريا (والنجم اذا هوى) يعنى نزول القران (والنجم والشجر يسجدان) يريد كل ما نجم من الارض مما لا يقوم على ساق .

فصل

قوله تعالى : « واذا مرضت فهو يشفين » (٢٦/٨٠) وقوله : (وننزل من القرآن

ما هو شفاء) (١٧/٨٤) الطب صحيح وعلمه ثابت وطريقه الوحي وانما اخذوه عن الانبياء والطريق الى حقيقة ذلك بالسمع ومعرفة الدواء بالتوقيف . وكان الصادقون عليهم السلام يأمررون بعض اصحاب الامراض باستعمال ما يضر من كان المرض به فلا يضره وذلك لعلمهم بانقطاع المرض وذلك على سبيل المعجز لهم والصحة والمرض من الله والمرض نوعان مبتدأ يخلقه الله وما يخلقه عند سبب . كما قال ابراهيم : (واذا مرضت) اي من تعدى منى . الصادق عليه السلام في خبر : انى رأيت الرجل منهم الماهر في طيبه اذا سأله لم يقف على حدود نفسه وتأليف بدنه وتركيب اعضائه ومجرى الاغذية في جوارحه ومخرج نفسه وحركة لسانه ومستقر كلامه ونور بصره وانتشار ذكره واختلاف شهوراته وانسكاب عبراته ومجمع سمعه وموضع عقله ومسكن روحه ومخرج عطشه وهيج غموه واسباب سروره وعلمه بما حدث فيه من بكم وصم وغير ذلك لم يكن عندهم اكثر من اقويل استحسنوها وعلل فيما بينهم جوزوها . ودخل موسى بن جعفر عليهما السلام على الرشيد فقال له الرشيد يا بن رسول الله اخبرني عن الطبائع الاربع فقال عليه السلام اما الريح فانه ملك يدارى واما الدم فانه عبد

عاص وربما قتل العبد مولا واما البلغم فانه خصم جدل ان سددته من جانب انفتح من جانب آخر واما المرة فانها الارض ان اهتزت رجفت بما فوقها . فقال هرون يا ابن رسول الله تنفق على الناس من كنوز الله ورسوله .

قوله سبحانه :

«لهم البشرى في الحياة الدنيا» (١٠/٦٥) قال المفسرون يعنى الرؤيا الصالحة . وقال النبي عليه السلام : ذهبت النبوة وبقيت المبشرات . وقال ابن عباس : (ونعلمك من تأويل الاحاديث) يريد تعبير الرؤيا وشكر الله تعالى يوسف على ذلك فقال (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) وقال ابراهيم عليه السلام (انى ارى فى المنام) وقال الله تعالى لنبىه عليه السلام (وما جعلنا الرؤيا التى اربناك) وقال (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) وقال الرضا عليه السلام : رؤيا الانبياء وحى . وقال المرتضى : مجرد منامات الانبياء لا يوجب العمل الا اذا قارنه وحى يسمعه من المالك على الوجه الموجب للعلم انى سار بك فى منامك وقت كذا ما يجب ان تعمل به وذهب النظام : الى ابطال الرؤيا كلها ما خلا رؤيا يوسف ورسول الله . والدهريه : تبطل الرؤيا كلها ولم يزل الناس على التصديق بتأويل الرؤيا فى الجاهلية والاسلام وزعم بعض المتكلمين ان الرؤيا هى معنى يقع للانسان فيتصور له ما يتمنى كالانسان يقدر فى نفسه شيئا فيتمثل له فكراً وتخييلاً وسأل رجل معبراً فقال انى رأيت كان الشمس والقمر يقتتلان وتناثرت الكواكب فيما بينهما فقال مع ايها كنت قال مع القمر فقرأ المعبر (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) كنت مع الظلمة على النور فقتل الرجل مع معوية فى صفين . وقال رجل لعلى بن الحسين عليه السلام رأيت فى منامى كانى ابول فى يدي فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع . وقال رجل للرضا عليه السلام : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فى المنام يقول لى كيف اتم اذا دفن فى ارضكم بعضى واستحفظتم وديعتى وغيبت فى ثراكم اعمى فقال عليه السلام انا المدفون فى ارضكم وانا بضعة من نبيكم وانا الودبعة واللحم الخبير .

فصل

قوله تعالى : «انما اوتيته على علم عندى» (٢٨/٢٨) لم يقل قارون اوتيته بعلم وليس فى اللغة أن يقال اعطيت كيت على عام ان يكون العلم سبباً للعطية على ان العلم كثير فمن اين لنا ان المراد به الكيمياء ومعنى الآية ان الله اخبر بمثل ذلك عن كل من

يؤتيه الله مالا انه يقول مثل ما قبل قارون ولما قال (انما اوتيته على علم عندي) رد عليه ذلك بقوله (بل هي فتنة) يعنى امتحان لاستحقاق ولا تعلق فى ذلك بقوله (عندي) لانه يريد ان هذا كما قلته فيما اراه واتوهمه . وقالت المعتزلة : الكيمياء باطل لان اصحابه يدعون قلب الجنس وعندنا انه من المعجزات ولا يؤخذ الا بالوحى مثل الطب والنجوم وقالوا ان موسى علم قارون منها الثلث وعلم يوشع الثلث وعلم ابن هارون الثلث فخدعها قارون . ويقال : ان موسى عليه السلام سأله امرأته شيئا فقال خذى من هذا النبت فاجعله على العس فانه سيصير ذهباً فسمع منه قارون ونهاها عن ذلك واعطاها شيئاً واشتغل به . وروى عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال : هي اخت النبوة وعصمة المروة والناس يتكلمون فيها بالظاهر وانى لا عرف ظاهرها وباطنها وقد نسب الى امتنا عليهم السلام فى ذلك اشياء والله اعلم .

قوله سبحانه :

« واثينا من الكنوز ما ان مفاتيحه لتنوء بالعصبة » (٢٨/٢٦) تحتمل ان موسى عليه السلام كان اخبر قارون بهلاك قوم فرعون فاستسلف منهم واستعار فلما هلكوا اخلص له جميع ذلك .

قوله سبحانه :

« فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم » (٢٨/٨٩) لا يدل الاعلى غناه .

فصل

قوله تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » (١١٣/٤) ليس للسحر حقيقة لان هذه اللفظة تدل على بطلان معناها وآيات القرآن تدل على كفر فاعله اذا اعتقد صحته وفسقه ان لم يعتقد . قوله (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) ملمون الناس السحر) و قوله (وما يعلمان من احدثتى بقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) وقوله (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) وقوله (ولا يفاع الساحر حيث اتى) فمن اعتقد قلب الحيوان من صورة الى صورة وانشاء الاجسام على وجه الاختراع وطاعة الجن والشيطان ونحوها ومن زخارفهم

فقد كفر لانه لا يمكنه مع ذلك العلم بصحة المعجزات على النبوات لانه اجاز مثله من جهة السحر
والذى يتحقق من ذلك وجود منها التخييلات كفعل المستعيزيرى الشبى ، بخلاف ما هو بخفة
يده ، ومنه التوصل بالادوية التى جرت العادة ان عند شربها يحدث حوادث ، ومنها ان
يدخن بما يصل الدخان الى دماغها فيحدث نحو آمن ذلك ، ومنها ان يولد لفعله فى مسحور
بشرط المماسه ومنها ان يفعل بالنميمة ما يودى الى الضرر .

قوله سبحانه :

« من شر الوسواس الخناس الذى - السورة ١١٤/٤) اى من شر الوسوسة التى
تكون من الجنة والناس - اوقلت من شرذى الوسواس وهو الشيطان كما جاء فى الاثر انه
يوسوس فاذا ذكر العبد ربه خفى فلما والناس تطاف عليه كانه قيل من الشيطان الذى
هذه صفته اوقلت من شرذى الوسواس الخناس على العموم ثم فسر بقوله من الجنة والناس

قوله سبحانه :

« حكاية عن يعقوب : يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة »
(١٢/٦٨) قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى و الحسن و الباقى و الرمانى واكثر
المفسرين انه خاف عليهم العين . وقال تعالى فى حق نبينا عليه السلام (وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم) وقال (ومن شر حاسدا اذا حسد) وقد فسر الصادق عليه السلام
فقال هو العين والعين حق وهو قول النبى عليه السلام وقد عوذ الحسن والحسين وقال فى
عوذته واعيد كما من كل عين لامة والمعوذتين لاجلها سميتا وقد اختلف المتكلمون فى
ذلك فانكره ابو على و ابو القاسم وقال الجاحظ لا ينكر ان ينفصل من العين الصايبه الى
الشبى . المستحسن اجزا لطيفة ويؤثر فيه بالخاصية و لو كان كما قال لما اختص ذلك
ببعض الاشياء دون بعض ولان الاجزاء جواهر متماثلة وقال الحسن و الرمانى والقاضى
ان العين تحصل بالعادة من فعل الله كما يحصل الشفاء عند الادوية وهو اختيار المرتضى و
قال الطوسى ليس يمتنع ان يكون الله اجري العادة بضرب من المصلحة انه متى ما نظر انسان
الى غيره على وجه مخصوص اقتضت المصلحة اهلاكه او امراضه او انالاف ماله .

فصل

قوله تعالى: «**فى لوح محفوظ**» (٨٥/٢٢) قال ابو جعفر بن بابويه: اللوح والقلم ملكان والملائكة لاتسمى اقلاماً ولا الواحاً. وقال الشيخ المفيد: اللوح كتاب الله تعالى كتب فيه ما هو كائن الى يوم القيامة بوضحه (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) والقلم هو ما احدث الله به الكتابة فيه وجعل اللوح اصلاً لتعرف الملائكة منه من غيب او وحى وانما سمي اللوح الذى يكتب فيه لانه نحت على تلك الهيئة وكذلك قوله (وحملناه على ذات الواح ودسر) ورجل عظيم الالواح اى اليدين والرجلين ولو عني به ما ذكروه لعرفه لانه مقصود مخصوص وانما ينكر الشئى متى ما كان ذا جنس واشباه واصل اللوح التلاوة من لاح الشئى. يلوح ولاح البرق فمعنى لوح محفوظ انه قرآن شريف فى نظم عجيب يتلأؤ حسناً محفوظاً.

قوله سبحانه :

«**والله فى ام الكتاب**» (٤٢/٣) انه لاتعلق فيه وام كل شئى اصله يقال: ام القرى. ام الولد فامها وية. وقد فسر الله تعالى فقال (محكمات هن ام الكتاب) قوله سبحانه:

«**وما من غايبة فى السماء**» (٢٧/٧٧) فاللوح لا يسمى كتاباً واذا فسر به فالمتعلق به عادل عن الظاهر ثم ان الله وضعه بذلك فى مواضع فقال (كتاب انزلناه اليك) (حم والكتاب المبين) فكانه قال لا غايبة فى السماء والارض الا وذلك مبين فى القرآن لقوله (ما فرطنا فى الكتاب) وبدل عليه عقيب الاية (ان هذا القرآن يقص) قوله سبحانه:

«**وكل شئى احصيناه فى امام**» (٣٦/١١) واللوح لا يسمى اماماً ويسمى القرآن اماماً وقد تكلم الناس فى كيفية ذلك فقال البلخي والجبائي والرهاني: انه علامة جعله الله للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرأ كما قال (فقال لها وللارض انتيا طوعاً او كرهاً قالتا اتينا طاعينين) وقال بعضهم ان الامر خاص فى الموجودين الذين قيل لهم (كونوا قررة خاشعين) ومن جرى مجراهم لانه لا يؤمر بالمعدوم وقال آخرون انه

أمر للمعدوم من حيث هو لله معلوم فصيح أن يؤمر فيكون وقال آخرون إنها خاصة في الموجودات من امانة الاحياء واحياء الموتى وما جرى مجرى ذلك (الجواب) الاول صحيح وما سواه معترض عليه . وقال الطوسي : انه بمنزلة المثل ومعناه ان منزلة الفعل في السهولة وانتفاء التعذر كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان برأسه كذا وقال بيده كذا اذاحرك رأسه وأوى بيده ولم يقل شيئاً في الحقيقة . قال الشاعر :

اعتلا الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد مـلامت بطني
وهذا وجه صحيح .

فصل

قوله تعالى : **وسع كرسيه السموات والارض** ، (٢/٢٥٦) ان كان أراد كرسيّاً بعينه فهو كما قال تعالى ويجوز أن يكون مقدرته وساططانه يقال فلان كريم الكرسي اي الاصل . قال الشاعر :

تحنف بها بفض الوجوه وعصبه كراسي بالاحداث حين تنوب
ويقال : وسع علمه السموات والارض ، والكراسي العلماء ، والكراسة جزو من العلم .

قوله سبحانه :

«ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي» (١٧/٨٧) اختلف الناس في الروح انه جسم أو عرض ولغة العرب تدل عليها قواهم كل ذي روح فيحكمها كذا ، وقولهم فيمن مات خرجت منه الروح وهذه صورة لم تلجه الروح . وقال الباخي : هو الحياة التي تنهيا بها المحل لوجود القدرة والعلم والاختيار واختاره الشيخ المفيد . وقال أكثر المتكلمين انه جسم رقيق هوائي متردد في مخارج الحيوان بها يتم كون الحي حياً واختاره المرتضى والطوسي يوضح ذلك قوله (فلولا اذا بلغت الحلقوم) والبلوغ فعل والفعل لايتأتى من العرض . وقال يوناني لجهم اخبرني عن معبودك هذا رأيت قط ؟ قال لا قال فلمسته ؟ قال لا قال فشعمته ؟ قال لا قال فذقته ؟ قال لا قال فسمعته ؟ قال لا قال فممن ابن عرفته ؟ قال جهم فهل رأيت روحك او شممته أو ذقته أو سمعته او لمسته ؟ قال لا قال فكيف عرفت ان لك روحاً .

فصل

قوله تعالى: «فهم في ريبهم يترددون» (٩/٤٥) يدل على بطلان قول من يقول ان المعارف ضرورية لانه تعالى أخبر انهم في شكهم يترددون وهذه صفة الشاك المتعير في دينه الذي ليس على بصيرة من امره .

قوله سبحانه :

«ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين» (٦/٢٣) يدل على بطلان قول من قال ان المعارف ضرورية لان الله تعالى أخبر عنهم انهم لم يكونوا مشركين عند أنفسهم في دار الدنيا وان الله كذبهم وانهم كانوا كاذبين على الحقيقة وان اعتقدوا خلافه في الدنيا فاما معارفهم في الآخرة ضرورية حاصلة على وجههم ملجأون اليها فعلى الوجهين جميعاً لا يجوز ان يقع منهم القبيح لامحالة .

قوله سبحانه :

«وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم» (٦/٢٦) فيها دلالة على قول من قال ان معرفة الله ضرورية وان من لا يعرف الله ولا يعرف نبيه لا حاجة عليه لانه تعالى بين ان هؤلاء الكفار قد أهلكوا أنفسهم بنهبهم عن قبول القرآن وتباعدهم عنه وانهم لا يعلمون بأهلك أنفسهم بذلك فلو كان من لا يعرف الله ولا نبيه ولا دينه ولا حاجة عليه لكان هؤلاء معذورين ولم يكونوا هالكين وذلك خلاف من نطق به القرآن .

قوله سبحانه :

«وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً» (١٨/١٠٤) في الآية دلالة على ان المعارف ليست ضرورية لما حسبوا غير ذلك لان الضروريات لا شك فيها .

قوله سبحانه :

«فأعلم انه لا اله الا هو» (٤٧/٢١) دال على أن معرفة الله باكتساب لانها لو كانت ضرورية لما أمر بها

قوله سبحانه :

«أولئك الذين هم على قرية وهي خاوية على عروشها» (٢/٢٦١) فيها دلالة على فساد قول من يقول ان المعارف ضرورية لانها لو كانت ضرورة لما حاج ابراهيم للكفر ولا ذكر له الدلالات على اثبات الصانع وفيها دلالة على فساد التقليد وحسن الحاجة والجدال.

فصل :

اعلم ان الله تعالى قد حدث على النظر في طريق معرفته . فقال: أفلا ينظرون، أفلا تبصرون، أفلا يسمعون، أفلا يذكرون، أفلا تعقلون، ان في ذلك لايات لقوم يعلمون، ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون، ان في ذلك لايات للمؤمنين، ان في ذلك لايات للمتوسمين، ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب، ان في ذلك لرحمة، الاتذكرة لمن يخشى، أولم يتفكروا في انفسهم، أولم ينظروا في ملكوت السموات، قل انظروا ماذا في السموات، فلينظر الانسان الى طعامه، فلينظر الانسان مِمَّ خلق، افلا ينظرون الى الابل، ألم تر الى ربك، وقال النبي عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربه. وقال عليه السلام: اعرفكم بنفسي اعرفكم بربه وقرب الى زين العابدين عليه السلام طهورة في وقت ورده فوضع يده في الانساء ليتوضأ فنظر الى السماء فجعل يفكر في خلقها حتى أصبح. وتربى ابراهيم عليه السلام في غار فلما خرج منه رأى الكواكب ثم القمر ثم الشمس فقال على سبيل الفكر أوقبل البلوغ أو على سبيل الإنكار أو على سبيل الاستفهام هذا ربى قول الشاعر :

ماراح يوم على حى ولا ابتكرا
الارأى عبرة فيه ان اعتبر

وجاء سوفسطائى الى متكم مناظراً وهوراكب فأمر المتكم ان يغيب دابته فلما أراد الانصراف لم يجدها فقال للمتكم فقدت دابتي فقال وراكباً جئت فعلك جئت دراجلاً وتخيل اليك الركوب وتكون ظاناً أناسياً قال لست بنايم ولا مغلوب فقال للمتكم كيف تدعى انه لاحقيقة لشىء وان الاشياء بظن وبحسب وان حال اليقظان كحال النائم قال فوجم السوفسطائى ورجع عن مقاله .

قوله سبحانه:

«ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرن» (٦/٦) قال ذلك لقوم كانوا غير مقرين

بما أخبروا به من شأن الأمم قبلهم لأن الكثير منهم كان مقراً بذلك ومن كان منكراً منهم فإنه أدعى بهذه الآية إلى النظر والتدبر ليعرف بذلك ما عرفه غيره وسأل ابن أبي العوجا الصادق عليه السلام دليلاً على حدوث العالم فقال عليه السلام ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً الا وضم اليه مثله صاراً كبيراً وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الاولى و لو كان قديماً لما زال ولا حال لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون وجوده بعد عدمه في الحدث وفي كونه في الازل دخوله في القدم و لن يجتمع صفة الحدث في شيء واحد وقال عليه السلام لابن أبي العوجا وقد سمع منه لست بمصنوع . فلو لم تكن مصنوعاً كيف كنت تكون ؟ وقيل للرضا عليه السلام ما الدليل على حدث العالم ؟ قال أنت لم تكن ثم كنت وقد علمت أنك لم تكن نفسك ولا كونك من هو مثلك . واصفى الباقر عليه السلام إلى انتقال بعض المعطلة ثم قال أرأيت أن كان ما نقوله وتثبت من هذه حقاً يضرنا مانحن عليه قال لا قال فإن كان وما نقوله أنت باطلاً يمكنك أن تستقبل العمل بعد الموت قال لا قال فأى الحاليين افضل عندك حال توجد عندك للحاجة إليها أحوال تغزى وتورث الندم وحسب العاقل هذا من عز اولياء الله وخزى أعدائه . شعر :

جميع ما تشهده مؤلف مركب منوع مصنف

فصل

قوله تعالى : «لهم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون» (٣/٥٨) فيها دلالة على ان العاقل لا يعذر في الاقامة على الدعوى بغير حجة لما فيه من البيان على الفساد والانتقاض ولأن العقل طريق إلى العلم فكيف يضل عن الرشd من قد جعل إليه السبيل .

قوله سبحانه :

«قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم - الآية» (٣/٥٧) لما انزلت هذه الآية قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدكم يا رسول الله فقال عليه السلام اما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم فقال عليه السلام هو ذاك الصادق عليه السلام في هذه الآية والله ماصلوا ولا صاموا ولكن اكلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم وهم لا يشعرون

قوله سبحانه :

«وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله الايتان» (٢٠/٣١ و ١٦٥/٢) قال ابن عباس في هذه الآية دعا النبي عليه السلام الكفار واليهود الى الاسلام فقال بل ما ألفينا عليه آباءنا الصادق عليه السلام من أخذ دينه من افواه الرجال ازالته الرجال ومن أخذ دينه من الكتاب والسنة زالت الجبال ولم يزل، ان الله تعالى ذمهم على تقليد آباءهم ووبخهم على ذلك ولو جاز التقليد لم يتوجه اليهم توبيخ ولا لوم وقد ذم الله التقليد في آيات (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم، وما يتبع اكثرهم الاظنا، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم، قد جاءكم بصر من ربكم، ولا تقف ما ليس لك به علم، وامن اتبعتم اهلوائهم بعد الذي، وحكى عن ابراهيم عليه السلام) (ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباءكم في ضلال مبين) فصل

قوله تعالى «وفي انفسكم افلا تبصرون» (٢١/٥١) وقيل للنبي عليه السلام بم عرفت ربك قال بما عرفتني ربي قيل وكيف عرفتك قال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس وقال عليه السلام لا خير بالنوم مرة وباليقظة اخرى فلو لا مدبر وصانع يأتي باحدهما مرة وبالاخر اخرى لبقيت على صفة واحدة فلما رأيت زوال الصفة الاولى وحدوث الصفة الاخرى عرفت انه لاجل مدبر صانع فعله .

وقال عليه السلام لا خير بفسخ العزائم وحل العقود . وقال عليه السلام اعرفوا الله بالله اى بنصب ادلة على نفسه . وقيل للصادق عليه السلام ما الدليل على ان للعالم صانعاً قال اكبر الاداة في نفسى لاني وجدتها لا تعدو أحد امرين اما ان أكون خلقتها وأنا موجود وابعاد الموجود محال واما ان أكون خلقتها وأنا معدوم فكيف يخلق لاشيئ فلما رأيتها فاسدين من الجهتين جميعاً علمت ان لى صانعاً ومدبراً . محمد بن على الخراساني قال الرضا عليه السلام للزنديق الذي سأله عن الدليل على الله تعالى اني لما نظرت الى جسدي ولم يكن فيها زيادة ولا نقصان في العرض والطول ورفع المكاء عنه وجرا المنافع اليه علمت أن لهذا البنيان بانياً فاقررت مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته وانشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الايات البينات علمت أن لها مقدر او منشياً . هشام بن الحكم قال الصادق عليه السلام لرجل من الزنادقة الدليل على الله وجود الا فاعيل التي دلت على أن صانعاً صنعها . وقال الاخر : اني لما رأيت

حصناً ملزقاً املس لا فرج فيه ولا خلل ظاهرة من فضة وباطنه من ذهبه ما يعة ينفلق منه طائوس وغراب ونسر وعصفور فعلمت ان المخلوق صانعاً. ابن جبير : عرفت دوى بالظاهر باتقان التصوير والباطن بنقض التدبير . اعرابي : ويحك ان البعرة تدل على البعير والروثة تدل على الحمير و آثار القدم تدل على المسير فهيكلك علوى بهذه اللطافة و مركز سفلى بهذه الكشافة اما يدلان على الصانع الخبير آخر : وجدت اضداداً مجموعة فقلت اجمعت بالطبع أم بالصنع فنظرت فلم يكن فى الطبع قبول الافراد فعلمت أنها من صنع صانع رأيت الورقة والنورة اكلته النحلة والسرقة فتولد من احدهما خلاف ماتولد من الاخر فدلنى ذلك على أنها من صنع حكيم لطيف . الا صبح :

قال رجل لامير المؤمنين عليه السلام لقد قدم الى حيناً رجل زنديق يتكلم بكلام لا نعرفه وانا نخاف أن يبطل علينا ديننا فان رأيت ان تعلمنا كلاماً تبطل به حجته وندحض به مقالته فافعل قال فدعا عليه السلام بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من على بن ابي طالب وصى محمد النبي الى عدو الله ومضل عباده ابا عبد :

فوق ذا العالم الذى نحن فيه	عالم آخر وملك يليه
عالم واسع كبير عظيم	ليس نفس تطيق ان تبثليه
أين ماء الغيوم والرعد والبرق	اذا الجوى لا يسرى الغيم فيه
أين مأوى الظلام فى مطلع الشمس	اذا الصبح دائماً يقتضيه
أين مأوى الحرور ايام قرحين	يأتى الشتاء ببرد كربه
أين فيض المدود ان نقص الماء	فيعى اضطبار من يستقيه
أين مأوى النهار فى حندس الليل	اذا الليل دايباً يحتويه
أين مأوى الثلوج ايام حر	مهج الوهج كربة يعتريه
أين ذاك كله يكون اذا	ما عز يوماً أو اشتكى طالبيه
كل هذا الذى يدل لذا الخلق	حكيماً مدبراً مبتديه
فلما قرأ زنديق الكتاب هرب .	

قوله سبحانه :

«وهو الذى يبدع الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه» . (٣٠/٢٦) الاشياء كلها سواء

عنده والوجه فيه ما قال ابن عباس وهو أهون عليه اى هين عليه اول خلقه . قال ذو الرمة :

أخي قفرات دبت في عظامه
يريد خاضع . وقال معز بن اوس :

لعمرك ما أدري واني لا وجل
على اينما تعدو المنية اول
اي وجل ، ويحتمل انه جواب قوله (قال من يحيى العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي
انشأها اول مرة) لان الانشاء اصعب من الاعادة .

فصل

قوله تعالى : «يا ايها الناس ضرب مثل ، الى قوله عزيز» (٢٢/٧٢) وقوله : (فانظر
الى آثار رحمة الله ، الى قوله قدير ، (٣٠/٤٩) وقوله : (الا هو العزيز الغفار) (٣٩/٧) ان الله
على كل شيء قدير ، عام فهو قادر على الاشياء كلها على ثلاثة اوجه على المعدومات بايجادها
وانشاءها وعلى الموجودات بتغييرها وافتائها وعلى المقدورات غيره بأن يقدر عليها أو يمنع
منها وقليل خاص في مقدوراته ولفظ كل يستعمل للتخصيص كقوله (تدمر كل شيء ، واوتيت من
كل شيء) . قال ابو شاكر الديبصاني هشام بن الحكم : أمن قدرة الله تعالى أن يدخل السموات
والارضين وما بينهما في بيضة ولا تصغر الدنيا قال فذكرت ذلك لابي عبد الله عليه السلام فقال كم لك
من الحواس قلت خمس قال فايهن اضعف قلت العين قال العين بما تبصر قلت بالنظر قال فكيف
مقدار الناظر في رأى العين قلت أقل من عدسة قال فابصر ما ترى أمامك صفلى قلت دوراً
وقصوراً وأنهاراً وأشجاراً والسماء والارض قال ان الذى أراك ذلك باقل من عدسة وكذلك
يحكم في البيضة ، وسئل الصادق عليه السلام عن ذلك بعينه ، فقال ان الله تعالى لا ينسب الى
العجز والذى سئلتنى لا يكون وجمع الجمع من درهم ماء وتراًباً في قارورة فاستحال دوداً
فقال انا خلقت ذلك فبلغ ذلك الصادق عليه السلام فقال فليقل كم هو وكم الذكر ان منه
والاناث وكم وزن كل واحدة منها وليأمر الذى يسعى الى هذا الوجه ان ينصرف الى
غيره فانقطع .

قوله سبحانه :

«كن فيكون» (٣٦/٨٢) قول من قال ان كن سبب للحوادث التى يفعلها الله تعالى فاسد
من وجوه أحدها ان القادر بقدرته اذا قدر أن يفعل من غير سبب فالقادر للنفس بذلك اولى
ومنها ان كن محدثه فلوا احتاجت الى كن اخرى لتسلسل وذلك فاسد ولو استند ذلك

الى كن القديمة لوجب قدم المكون لانه كان يجب أن يكون عقيبہ لان الفاء يوجب التعقيب وذلك يؤدي الى قدم المكونات ، ومنها انه لو ولدت لولدت مثل فعلنا كالا اعتماد وانما يستعمل القديم تعالى لفظ الامر فيما ليس بامر هيئنا ليبدل بذلك على ان فعله بمنزلة المأمور في انه لا كلفة على الامر فكذلك هيئنا لا كلفة على الفاعل .

قوله سبحانه :

«هو يحيى ويميت واليه ترجعون» (١٠/٥٧) . قال ابو علي في هذه الآية دلالة على انه لا يقدر على الحياة الا الله لانه يمدح بكونه قادراً على الاحياء والاماتة فلو كان غيره قادراً على الحياة لما كان له في ذلك مدح و فيها دلالة على كونه قادراً على الاعادة لان من قدر على النشأة الاولى يقدر على النشأة الثانية .

قوله سبحانه :

«هو اشد منهم قوة» (٤/١٤) وقوله من اشد مناقرة (٤١/١٤) يقتضي ان له قوة وان قوته اشد من قوتهم وتقتضي ان قوته شديدة والشدة انما هو الصلابة ولا يجوز وصف الاعراض بالشدّة و الصلابة على الحقيقة وان القوة انما تستعمل في الاجسام دون الاجزاء والجوهر المحتمل الاعراض يقال انما هو ذو قوة شديدة وهو اشد بأساً منا على الامر اذا كانت جوارحه متكثرة صلابة الاجزاء غير رخوة ومعناه انه تعالى اقوى منهم واقدر لان لفظة اشد تستعمل على هذا الوجه فيقال هذا اشد بياضاً من هذا كما يقال هذا افضل من هذا . وقال امير المؤمنين عليه السلام في الدرة اليتيمة ليس بقادر من قارنه ضداً وساواه ندأ . وقال عليه السلام في خطبته العشرات الحمد لله المنجلى لخلقه بخلقه ويقال القادر بالحق على الاطلاق من اوجد الاضداد في الاخلاق . صاحب : الصنع لا بدله من صانع ولا سيما مع كثرة البدايع وانما تعمر بالامنازع فالملك لا يبقى على التعانع

قوله سبحانه :

«قل من يرزقكم من السماء والارض ، الى قوله فسيقولون الله» (١٠/٣٢) فيها دلالة على التوحيد لان ما ذكره في الآية يوجب ان المدبر واحد لانه لا يجوز ان يقع ذلك اتفاقاً لاحالة العقل مع ذلك ولا يجوز ان يقع بالطبيعة لانها في حكم الموات لو كانت

معقولة فلم يبق ذلك الا ان الفاعل لذلك قادر عالم يدبره على ما يشاء وهو الله تعالى مع ان الطبيعة مدبرة مفعولة فكيف تكون هي المدبرة .

قوله سبحانه :

«وخلق كل شيء» (٢٥/٢) يحتمل امرين احدهما ان يكون اراد بخلق قدر فعلى هذا تكون الآية عامة لانه تعالى مقدر كل شيء او اراد انه احدث كل شيء فعلى هذا يكون خاصاً لانه لم يحدث اشياء كثيرة من مقدورات غيره وما هو معدوم لم يوجد .

فصل

قوله سبحانه : «اننى اعلم ما لا تعلمون» (٢/٢٨) ان الله لا يخفى عليه شيء .

فى الارض ولا فى السماء (٣/٤) لا يخفى على الله منهم شيء الوصف بانه لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء وانه يعلم ما لا يعلمه غيره يدل على انه يعلمه من كل وجه من حيث كان عالماً لنفسه والعالم للنفس يجب ان يعلم كل ما يصح ان يكون معلوماً وما يصح ان يكون معلوماً لانهاية له فوجب ان يكون عالماً به وانما يجوز ان يعلم من وجه دون وجه من كان عالماً يعلم يستفيد العلم حالاً بعد حال فاما من كان عالماً لنفسه فلا يجوز ان يخفى عليه شيء بوجه من الوجوه .

قوله سبحانه :

«لا علم لنا الا انك انت العليم الحكيم» (٢/٣٠) اى انه عالم بغير تعليم بدلالة انه اثبتوا الله مانفوه عن انفسهم بقولهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) ويقال انه العليم الحكيم اى العالم وهو من صفات ذاته فلما بالغ فيه افاد انه عالم بجميع اجناس المعلومات مما يصح ان يكون معلوماً .

قوله سبحانه :

«وهو بكل شيء عليم» (٢/٢٧) وقوله : (يعلم ما فى البر والبحر الاية) (٦/٥٩) وقوله : (وعنده مفاتيح الغيب) (٦/٥٩) عام يدل على انه يعلم الاشياء كلها قديمها وحديثها موجودها ومعدومها .

قوله سبحانه :

«يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور» (٤٠/٢٠) وقوله : (يعلم سرهم و

جهركم) وقوله : (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) (٢١/١١٠) فيها دلالة على انه عالم لذاته .

قوله سبحانه :

«وان الله بكل شيء عليم» (٥/٦٨) معناه انه يعلم جميع المعلومات لكونه عالماً لنفسه وقهيل يدل على المبالغة .

قوله سبحانه :

«وان الله قد احاط بكل شيء علماً» (٦٥/١٢) معناه ان معلوماته متميزة بمنزلة ما قد احاط به .

قوله سبحانه :

«والله بما يعملون محيط» (٨/٤٩) اي يحيط علمه بما تعملونه وانه قادر على جزاء ما تعملونه من ثواب او عقاب .

قوله سبحانه :

«فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين» (٣/٥٦) انما خص المفسدين بانه يعلم بهم على جهة التهديد لهم والوعيد بما يعلم مما وقع من فسادهم كما يقول القائل انا اعلم بشر فلان وما يجرى اليه من الفساد .

قوله سبحانه :

«أأنتم أعلم أم الله» (٢/١٣٤) صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله (أأنتم أشد خلقاً أم السماء) فان قيل لم قال أنتم أعلم أم الله وقد كانوا يعلمونه فكتموه وظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم (الجواب) من قال أنهم ظنوا فالجواب ظاهر ومن قال أنهم علموا وانما جحدوه نقول معناه ان منزلتكم منزلة المعارض على ما يعلم ان الله اخبر به فما ينفعه ذلك مع اقراره فان الله اعلم منه وانه لا يخفى عليه شيء لان هادل على انه اعلم دل على انه عالم لنفسه .

قوله سبحانه :

«ربكم أعلم بما في نفوسكم» (١٧/٢٦) معنى ذلك ان معلوماته اكثر من

معلوماتهم وقد يقال اعلم بمعنى اثبت فيما به يعلم فنحن من هذا نقول ان الله تعالى اعلم بان الجسم حادث من الانسان العالم به وكذلك كل شيء يمكن ان يعلم متغايراً فالله تعالى عالم به على تلك الوجوه وان خفى على الواحد منا بعضها ومعنى بما فى نفوسكم اى بما تضمرونه وتخفونه عن غيركم فالله اعلم به منكم وفى ذلك غاية التهديد .
قوله سبحانه :

« ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » (٦٨/٢) المعنى انه اعلم به ممن يعلمه لانه يعلم من وجوه يخفى على غيره لانه تعالى عالم بعلمه ما كان وما يكون وما هو كان الى يوم القيامة وعلى جميع الوجوه التى يصح ان يعلم الاشياء عليها وليس كذلك غيره لان غيره لا يعلم جميع الاشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهه واما من هو غير عالم اصلاً فلا يقال الله اعلم منه لان لفظة اعلم يقتضى الاشتراك فى العلم وزيادة لمن وصف بانه اعلم وهذا لا يصح ممن ليس بعالم اصلاً الام جازاً اولا يصح ان يقال هو تعالى اعلم بان الجسم حادث من كل من يعلمه حادثاً لانه قد ذكر الوجه الذى يعلم منه وهو انه حادث فان اريد بذلك المبالغة فى الوصف وان هذه الصفة فيه اثبت من غيره جازان يقال فيه ذلك

فصل

قد تعلق من ذهب فى حدوث العلم وانه لا يعلم الشيء قبل كونه بآيات منها (ام حسبه ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين، وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم، وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين، الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً لتتظروا كيف تعملون . قال لا يجوز ان يقول مثل ذلك و هو عالم به (الجواب) انه لو لم يتقدم العلم بحالهم و حال ما كلفهم لقبح التكليف اصلاً لانه انما يحسن من المكلف ان يأمر بما يعلم حسنه وان المكلف يتمكن من فعله على الوجه الذى كلمه فكيف يصح مع هذا ان يكون علمه بحالهم حادثاً بعد التكليف وعند فعلهم ما كلفوا على ان ليس فى ظواهر الايات ما ينبئ عن كونه غير عالم بما سيكون منهم والعالم بالشيء انما يكون عالماً به اذا علمه على ما هو به فالله تعالى انما يعلم المجاهد مجاهداً اذا جاهد ويعلمه موعناً اذا آمن وليس فى ذلك نفي كونه

عالمًا من سيؤمن وسيجاهد و هو موضع النزاع . و قال المرتضى : قوله لنعلم يقتضى حقيقة ان يعلم هو و غيره و لا يحصل علمه مع علم غيره الا بعد حصول الاتباع فاما قبل حصوله فاما يكون هو تعالى العالم وحده فصح حينئذ ظاهر الآية .

قوله سبحانه :

« اذهب الى فرعون انه طغى » الى قوله (لعله يتذكر أو يخشى) (٢٠/٤٥) و (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) (٨/٦٣) فلا يوجب الشك وان الله تعالى قد علم ان فرعون لا يتذكر ولا يخشى والكفار لا يجنحون الى السلم ولكنه تعالى اراد أن يطيب بذلك نفوس المخاطبين ويقوى قلوبهم كما يقول للاجير افرغ من عملك لعلك تأخذ اجر ك اى لتأخذه

قوله سبحانه :

« لعلكم تتقون » (متعدد) « و لعلكم ترحمون » (متعدد) فيها معنى الشك لكنه العباد دون الله تعالى .

قوله سبحانه :

« عسى الله أن ينفذ بأس الذين كفروا » (٤/٨٦) قال الحسن والبلخي والزجاج واكثر المفسرين ان عسى من الله واجب ووجه ذلك ان اطماع الكريم انجاز وانما الاطماع تقوية احد الامرين على الاخر دون قيام الدليل على التكافى والجواز و خرج عسى فى هذا من معنى الشك كخروجها فى قول القائل اطع ربك فى كل ما امرك به ونهاك عنه عسى ان تفلح بطاعتك .

قوله سبحانه :

« وما كان ربك نسيا » (١٩/٦٥) اى ليس الله ممن ينسى ويخرج عن كونه عالمًا لانه تعالى عالم لنفسه وتقديره هيئنا وما نسيتك وان اخر الوحي عنك ويقال ما كان ربك نسيا اى لا يثيبهم كما يقال للملك والسيد قد نسيتنا فما تذكرنا يعنون انه لا يأتينا منك خير .

قوله سبحانه :

« فاليوم ننساهم » (٧/٤٩) قال ابن عباس تترككم فى العقاب كما نسيتم لقاء اى كما تركتم ذكر لقاء يومكم هذا ويقال اى لم يقبلوا الطاعة ولم يؤمنوا به فينعمهم فى الآخرة

اي فما اعطاهم الثواب .

قوله سبحانه :

«لَسَوْا اللّٰهُ فَنَسِيَهُمْ» (٩/٦٨) اي تركوا الله في معرفته وعبادته فتركهم عند الجزاء.

قوله سبحانه :

«وَلِيَبْتَلِيَ اللّٰهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ» (٣/١٤٨) وقوله (ليبلوكم فيما اناكم) (٦/١٦٥) وقوله «وَلِنَبْلُوَنَكُمْ» (٢/١٥٠) يحتمل امرين احدهما ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لكم مظهرة في العدل واخراج كلام المختبر لهذه العلة لانه تعالى عالم بالاشياء قبل كونها فلا يبتلى ليستفيد علماً والثاني ليبتلى اولياء الله ما في صدوركم الا انه اضاف الابتلاء الى الله عز وجل تفخيماً لشأنه .

قوله سبحانه :

«فَمَا اصْبِرْهُمْ عَلَى النَّارِ» (٢/١٧٠) التعجب لا يجوز على الله تعالى لانه عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليه شئ والتعجب يكون مما لا يعرف سببه وانما الغرض بالاية ان يدلنا على ان الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجب لنا منهم . وقال الحسن وقتاده ومجاهد ان ما في قوله (فما اصبرهم) للتعجب . وقال ابن عباس وابن جريج و ابن زيد والسدي انها للاستفهام . وقال الكسائي هو استفهام على وجه التعجب كأنه توبيخ لهم وتعجب لنا .

قوله سبحانه :

«وَقُلْ اَعْمَلُوا فَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ» (٩/١٠٦) قال مجاهد المراد بالرؤية هي هنا العلم الذي هو المعرفة لانه عداة الى مفعول واحد وانما قال (سيرى الله) على وجه الاستقبال وهو عالم بالاشياء قبل وجودها فالمراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد ان علمها معدومة و كونه عالماً بانها ستوجد بعد كونه عالماً بوجودها اذا وجدت لا يجدد حالاً له بذلك .

قوله سبحانه :

«احصى كل شئ عدداً» (٧٢/٢٨) معناه انه لا شئ يعلمه عالم اريد ذكره ذا كرا لا

وهو عالم به ومحص له والاحصاء فعل وليس هو بمنزلة العلم فلا يجوز ان يقال احصى ما لا يتناهى كما يجوز ان يقال علم ما لا يتناهى لان الاحصاء مثل المحصى لا يكون الا فعلاً متناهياً واذا لم يجز أن يفعل من الاحصاء ما لا يتناهى اخره لم يجز ان يقال انه قد احصى ما لا يتناهى ويجوز ان يقال انه يحصى ما لا يتناهى احصاء دائماً لا يتناهى كما يجوز ان يقال انه يفعل ما لا يتناهى .

قوله سبحانه :

« فليعلمن الله الذين صدقوا » أى فى إيمانهم « ووليعلمن الكاذبين » (٢٩/٢) فيه انما قال فليعلمن مع انه الاستقبال والله تعالى عالم فيما لم يزل بحدوث المعلوم فلا يصح الصفة الا مع المستقبل اذ لا يصح عالماً بأنه حادث لانعقاد معنى الصفة بالمحادث وهو اذا حدث علمه تعالى بنفسه .

قوله سبحانه :

« كل فى كتاب مبين » (١١/٨) (وكل شىء احصيناه فى امام مبين) (٣٦/١١) انما اثبت ذلك مع انه عالم لا يعزب عنه شىء لما فيه من اللطف للملائكة أن يكون فيه لطف لمن يخبر بذلك .

قوله سبحانه :

« وما تسقط من ورقة الا يعلمها - الاية » (٦/٥٩) قال قطرب: انما يكون ذلك للتأكيد على العباد والتخويف لهم فى حفظ اعمالهم عليهم لان ما لا نواب فيه ولا عقاب يكون محصياً عنده فى كتاب فاعمالكم التى فيها الثواب والعقاب اولى بالكتاب والاحصاء .

قوله سبحانه :

« الذى احسن كل شىء خلقه » (٣٢/٦) وقال (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) (٦٧/٣) وقال : (خلقك فسواك، فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك) (٨٢/٨) نظر اعرابى يوم الجمعة الى الناس وقد اجتمعوا له فقال صورة واحدة وخلق مختلف ما هو الا صنع حكيم عليم . رأى رجل تناثر الاوراق فهجس فى خاطره هل يعام الله عددها فنزل (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ابن عباس : كانت امرأة تصلى خلف النبى

عليه السلام وكان بعضهم يتقدم في الصف الاول لثلاث ايراهما وكان بعضهم في اول الصف اذا ركع قال هكذا ونظر من تحت ابطه فنزل (واقعد علمنا المستقدمين منكم و لقد علمنا المستأخرين) لا يعلم الغيب احد الا هو الفرد الصمد . ابونواس :

كل مستخف بشيء فمن الله بمرأى لا ترى شيئاً من الله من الاشياء يخفى
قوله سبحانه :

«لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه» (٤/١٦٤) (وماتحمل من انثى و
لاتضع الا بعلمه) (٤١/٤٧) معناه وهو عالم به ولو كان المراد بذلك ذاتاً اخرى لوجب
ان يكون العلم آلة في الانزال فظاهر اللفظ يقضى ان الوضع والانزال والحمل بعلمه
فيكون آلة له لان ذلك قضية لللفظ والباء تدخل في الكلام دلالة للإالة نحو ضربته بالسيف
او يكون سبباً للمسبب نحو اوجعته بالضرب او علة للمعلول نحو اسود بالسواد او مجازاً
فيكون عبارة عن الفاعل نحو كان ذلك يمرأى او يسمع اي كنت اسمعه واره ولا يجوز ان
يكون العلم سبباً لهذه المذكرات ولا علة لان العلم انما يكون علة للعالم لا لما علقه به ولا
سبباً لان العلم لا يوجب هذه الاشياء وانما يوجب ارادته وفعله فلم يبق الا انه انزله وهو
عالم به كما يقال اعطيت القوم كذا برضى الملك اي و هو راض به فتقوم الباء مع المصدر
مقام الابتداء والخبر ثم ان الباء التي لاتستقل الكلام باسقاطها باء اللصاق مثل كتبت بالقلم
واللصاق يستحيل في العلم وكذلك الانزال .

قوله سبحانه :

« ولا يحيطون بشيء من علمه » (٢/٢٥٦) يقتضى ان علمه يتبعض لدخول
من التي للتبعيض والعدول عن الظاهر يقتضى ان علمه يتقنن بما يعلمه غيره وما لا يعلمه
وانه لا يعلم من علمه الا بما يشاء فلعله لم يشاء ان يعلم علمه اي كونه ولفظة العلم
مصدر وهو متردد بين الفاعل والمفعول يقال فعلت كذا بعلمي وليكن جميع ما يفعله فلان
بعلمك وهذا علم ابي حنيفة فلما استعمل في الاستخبار عن العالم وعن المعلوم وجب صرفه الى
الاصوب . الفضل بن شاذان : قيل للرضاء عليه السلام ان قوماً يقولون انه عز وجل لم يزل
عالمًا بعلم وقادراً بقدره وحياً بحياة وقديماً بقدم و سميعاً بسمع وبصيراً ببصر ، فقال
من قال بذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة اخرى وليس من ولايتنا على شيء ، ثم قال

لم يزل الله عالماً بعلم قادر أحياناً قديماً سميعاً بصيراً لذاته تعالى عما يقول المشركون
والمشبهون علواً كبيراً . الصاحب :

هو العالم الذات الذي ليس محوجاً الى العلم والاعلام تبدي وافتشهمدوا
وليس قديماً سابقاً غير ذاته وان كان أبناء الضلالة تلمدوا

فصل

قوله تعالى : « الله لا اله الا هو الحي القيوم » (٢/٢٥٦) (الم الله لا اله

الا هو الحي القيوم) (٣/١) (هو الحي لا اله الا هو) (٤٠/٦٧) (هو الذي يحيي ويميت)
(٤٠/٧٠) جاء عبد الملك بن ابي العوجاء الى الصادق عليه السلام : فقال يا ابا عبد الله ان
المجالس بالامانات ولا يد لكل من به سؤال ان يسئل فتأذن لي بالكلام ؛ فقال تكلم
بما شئت ، فقال الى كم تدوسون هذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت
المرفوع بالطوب والمدر وتهزلون هرولة البعير اذا نفر من فكر فيها او قدر علم ان هذا
اسمه غير حكيم ولا ذو نظر ، فقال عليه السلام : ان يكن الامر على ما تقول وليس كما
تقول نجونا ونجوت وان لم يكن الامر على ما تقول وهو كما تقول نجونا وهلكت فقال
ما قولى وقولهم الا واحد فقال عليه السلام كيف يكون ذلك و هم يقولون ان لهم معاداً
ونواباً وعقاباً و يدبنون ان للسماء الها وانها عمران وانتم تزعمون انها خراب ، فقال
ما منعه ان يظهر لخالقه ويدعوهم الى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ولم احتجب عنهم
وارسل اليهم الرسل ؛ فقال عليه السلام : ويلك وكيف احتجب عنك من اراك قدرته
فى نفسك ونشوك ولم تكن وكبرك بعدد غرك وقوتك بعدد ضعفك وضعفك بعدد قوتك وسقمك
بعدد صحتك وصحتك بعدد سقمك ورضاك بعدد غضبك وغضبك بعدد رضاك وحزنك بعدد فرحك و
فرحك بعدد حزنك وحبك بعدد بغضك وبغضك بعدد حبك وعزك بعدد بائك وابائك بعدد عزك
وشهوتك بعدد كراهتك وكراهتك بعدد شهوتك ورغبتك بعدد رهبتك ورهبتك بعدد رغبتك
ورجائك بعدد يأسك ويأسك بعدد رجائك وخاطرك بعدد ما لم يكن فى وهمك وغروب ما لم
تكن معتقده عن ذهنك وما زال يعد عليه قدرته حتى ظننت انه سيظهر .

قوله سبحانه :

« هو الاول والاخر » الآية (٥٧/٣) سئل أمير المؤمنين عليه السلام اين كان

الله قبل خلق السموات والارض ؟ فقال عليه السلام : ابن ، سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان فلما خلق المكان لم يتغير عما كان . وسأل نافع المقرئ الباقر عليه السلام اخبرني متى كان الله فرفع عليه السلام رأسه اليه فقال له يا نافع اخبرني متى لم يكن حتى اخبرك متى كان فرجع نافع يقول الله اعلم حيث يجعل رسالاته و سأل امير المؤمنين حبر : متى كان ربك ؟ فقال تكلمت املك متى لم يكن حتى يقال متى كان ربي قبل القبل بالقبل ويكون بعد البعد بلا بعد ولا غاية ولا منتهى لغايته انقطعت الغايات عنه فهو منتهى كل غاية . وفي خطبة امير المؤمنين عليه السلام لم تسبق له حال حالا فيكون اولاً قبل ان يكون آخرأ ويكون ظاهراً قبل ان يكون باطناً وقوله عليه السلام ليس عن الدهر قدمه ولا بالناحية امه (١)

فصل

قوله تعالى : « ولسمع الله » الآية (٥٨/١) نزلت في اوس بن الصامت لما ظاهر زوجته ابن مسعود : قال تكلم صفوان بن امية و عبد نائل ان الله يسمع ما تقول فقال احدهما انه يسمع القديد دون الهمس و قال الآخران من سمع القديد سمع الهمس فاخبرت النبي عليه السلام بذلك فنزل (وما كنتم تسترون) الايات المفسرون عن امير المؤمنين عليه السلام في قوله (ولقد اتينا داود منافلاً) انه سري داود منفرداً الى جبل للتعبد فكان يناجي ربه فعرض له وحشة فقال الله تعالى (يا جبال اوبي معه والطير) فسبحوا الله وهلموه فهجس في ضميره رجمتهم فاخذ ملك عضده واتى به الى الساحل وركض البحر برجله فانشق البحر وظهر الحيتان فطر دهم فابدى صخرة عليها دودة فقال يا داود ان الله يسمع نفس هذه الدودة في هذا المكان . واعلم ان اسماع الكلام يشتمل في اللغة على ثلاثة اوجه على الادراك بحاسة السمع وهو حقيقة فيه ، وفي العلم

١- الآية الشريفة كناية عن حقيقة مقام اللاهوت وانها الوجود الحق الظاهر والباطن وان مادونه هو الباطل الزائل كسراب بقية يحسبها الظمان ماء والمؤمن الذي نور الله قلبه بنور الايمان ينظر بنوره ويرى الله تعالى قبل الاشياء وبعدها ومحيطا وقيوماً على ما كان وما يكون ، وان الزمان والمكان وغيرهما فانية في قبال نوره لا يرى منها اثر في ذلك المقام ، والى هذا المعنى اشارت الروايات الشريفة . ح - م

بالكلام على ما ذكر جماعة من المفسرين واهل العدل من البغداديين في قوله (قد سمع الله قول التي تجادلني في زوجها) وقول القائل انا بمسمع منك وانا سامع لكلامك ومشاهد لفعالك اذا كان يراعي اخباره حتى يصل اليه ويعلمها وفي الكلام الذي تحصل فائدة يقال كلام فلان مسموع والسلطان يسمع قول فلان فيتبعون الوصف بالسمع ويستعمل في اللغة ايضاً رد الجواب على ثلثة اوجه في رده بالكلام ، وفي فعل ما تضمنه السؤال كالذي يسئل غيره فعلاً فيفعل المسئول ما تضمنه سؤاله فيقال قد اجابه وان لم يتكلم ، وفي فعل ما يقتضيه الحال من الافعال وهذا مثل قول الحاج عند الاستلام امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة غداً مودع الله تعالى ر خطاً باله وهو المستمع له والمجازي به و انما اضاف الى الحجر لانه عمل عنده وعبادة فيه وقربة الى الله به فكانه قال امانتي في استلامك اديتها ومعنى لتشهد لي بالموافاة اي ليكون عملي عندك شاهداً عند الله تعالى لموافاتي بما نذرت اليه من العبادة المتعاقبة بك المفعولة فيك واما قول الزائر لمشاهد الائمة اشهد انك تسمع كلامي وترد جوابي فيكون معنى ذلك قبول الله تعالى دعاء زائرهم واجابة مسائلهم فصار قبوله تعالى من اجلهم كانه قبول منهم ويجري ذلك مجرى قوله سمع الله لمن حمده في ان معناه القبول لا مجرد الادراك ومنه قولهم خاطبت فلاناً فمسمع كلامي اي ما قبله قال الشاعر :

دعوت الله حتى خفت الا يكون الله يسمع ما أقول

اي لا يقبل و غير منكر ان يكون الله تعالى بلغهم دعاء زائرهم فيسمعونه على الحقيقة وقد صح باجماع الطائفة المحقة والاخبار المتواترة انهم بعد وفاتهم في الجنان ، وقال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين) وهذا في الشهداء فكيف في الاوصياء وقول النبي عليه السلام : من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى على في اقطار الارض بلغت .

فصل

قوله تعالى : « ما يأتهم من ذكر من ربه محدث » (٢١/٢) تكلم الناس في القرآن فقالت الكفرة : هذا افك قديم ، فشاركهم فيه المجبرة . وقالت المشركون : ان هذا الاختلاف ، فوافقهم المعتزلة في اللفظ وقالت الزنادقة : افك افتراء ، فنبههم

الصفاتية اذ قالوا ليس في المصحف قرآن وانما القرآن قائم بذات الباري ، وقال الله تعالى
(ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث)

فاعتقده الامامية والذكر القرآن قوله في عقبه (الاستمعوه) وقوله (هذا ذكر مبارك انزلناه) وقوله (انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظين) المنزل المحفوظ لا يكون الا محدثاً لان القديم لا ينزل ولا يحتاج الى حفظ وقد سماه الله تعالى في المصحف بمائة اسم سأذكرها في اسباب نزول القرآن انشاء الله كل اسم يدل على حدوثه منها (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) لتقرأه على الناس (ان علينا جمعه وقرأه) انزل على عبده الكتاب ، وكتاب مسطور) عبارات عن الجمع والجمع انضمام الشيء الى غيره (تنزيل الكتاب من الله) قادر على أن ينزل آية ، ونزلناه تنزيلاً) المنزل لا يكون قديماً والتنزيل انزال شيء بعد شيء ، وهو من صفات المحدث (انا جعلناه قرآناً ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء وكان امر الله مفعولاً) والمجموع المفعول هو المحدث (نزل الفرقان ، وقرأنا فرقناه ، انزل على عبده الكتاب) مفصلاً لنزوله متفرقاً (ما ننسخ من آية او ننسها ، آيات محكمة هن ام الكتاب واخر متشابهاً) النسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه كيف يكون قديماً (انه لقول فصل ، ومن احسن من الله قبلاً) القول لا يقدم على قاله ولا يقارنه بل يكون بحسب اختياره (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ، ابلفكم رسالات ربى ، تنلى عليكم) الرسالة والتلاوة واعطاء السبع المثاني دلالة على حدوثه (اناسنقى عليك قولاً ثقيلاً) الالتقاء والتقل من صفات الحدوث (قرأنا عربياً باسان عربى مبين) والعربى من زمن اسمعيل والعربية محدثة ومن زعم ان الله عربى كفروا ما كان غير الله فهو محدث (واعتصموا بحبل الله) دلالة على حدوثه (مرفوعة مطهرة بايدي سفرة) وصفه بالرفعة والطهارة وانه بأيدى سفرة (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) فلو كان قديماً لكان قبل اللوح (طس تلك آيات القرآن وكتاب) وصفه بأنه انما يظهر بالقراءة والكتابة (لا يمسها الا المطهرون) القديم لا يمس (وكلم الله موسى تكليماً) يدل على حدوثه من حيث انه كلم موسى خاصة دون غيره من الانبياء وكلمه فى وقت دون وقت ولو كان قديماً لم يكن فى ذلك اختصاص (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً) فى الآية دلالة على أنه محدث لانه وصفه بالتمام والعدل وذلك لا يكون الا حادثاً (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وصفه بالانزال وبأنه مبارك يتبرك به وذلك من صفات المحدثات (فليأتوا بحديث مثله) بين ان له مثلاً (ما كان حديثاً يفترى) يدل على

انه حادث لان القديم لا يكون حديثاً (ومن قبله كتاب موسى) بين ان له اولاً (فبأى حديث بعده
 يؤمنون) ذكر ان له آخراً. امير المؤمنين عليه السلام: وانما كلامه سبحانه فعل منه انشاء لم يكن
 من قبل ذلك كائنات ولو كان قديماً لكان الهأنا نياً. عمران بن الحصين: قال النبي عليه السلام: كان الله
 ولا شيء ثم خلق الذكر وانه ليس فيما خلق الله شيء اعظم من آية في سورة البقرة (الله لا اله
 الا هو الحي القيوم) وكتب علي بن محمد التقى عليه السلام الى بعض شيعته ببغداد: بسم الله
 الرحمن الرحيم عصمنا الله واياك من الفتنة فان تفعل فيها ونعمت وان لم تفعل فهي الهلكة نحن
 نرى ان الجدل في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف
 المجيب ما ليس عليه وليس الخالق الا الله وما سواه فمخلوق فالقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من
 عندك فتكون من الضالين جعلنا الله واياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون
 سئل الصادق عليه السلام عن القرآن: فقال كلام الله وقول الله ووحى الله وكتاب الله
 وتنزيله وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
 حكيم حميد. الرضا عليه السلام: القرآن كلام الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى من غيره
 فتضلوا. وسئل زين العابدين عليه السلام عن القرآن وقال عليه السلام: ليس بخالق ولا
 مخلوق وهو كلام الخالق

كلام ربي لا يمارونه ليس بمخلوق ولا خالق
 صاحب :

قالت فما القول في القرآن سقه لنا قلت القرآن كلام الله ابن تلي
 قالت فاين دليل الخلق فيه ابن قلت تركيبه من احرف الجمل
 (وله)

قد جهلت في قدم القرآن كمثل جهل عابد الاوثان
 قالت قديم ليس بالرحمن فصار هذا كقديم ثاب

فصل

قوله تعالى: «انما قولنا لشيء اذا اردناه» الآية (١٦/٤٢) الظاهر يقتضى
 انه يريد اولا يقول كن لما لم يردده واذا كان كذلك فالارادة تكون متقدمة عليه و ما تقدم عليه
 غيره فهو محدث. ابو سعد الابهى :
 انزل ذكرهم حكماً كريماً ولا يكون منزل قديماً

قوله سبحانه :

«فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون» (٤٠/٧٠) وقوله (إنما قولنا لشيء إذا أردناه) الآية فكن مستقبل وإذا كان مستقبلاً إنما يوجد في الاستقبال دون الماضي وذلك يوجب حدوثه والظاهر يدل على أنه محدث القول الذي هو الأمر بأن نقول كن وقد قضاء والكاف متقدمة على النون والنون متأخرة عنها والتقديم والتأخير دليل الحدوث ولو كانت إرادته قديمة وقوله كن قديماً وجب أن يكون المرادات حاصلة في القدم أو متأخرة عنه وأفعاله ماض وحال واستقبال ابن علويه :

جل المهيمن أن يحد بمنطق	وتوهم بكهانة الكهان
أو أن يبعث أو يقال كلامه	يجرى بصوت من فم ولسان

قوله سبحانه :

«ما نسخ من آية أو نسها نأت بخير منها أو مثلها» (٢/١٠٠) فيه دليل على أن القرآن غير الله وأن الله هو المحدث له والقادر عليه لأن ما كان بعضه جزء من بعض فهو غير الله لا معالة وفيها دليل على أن الله قادر عليه وما كان داخلاً تحت القدرة فهو فعل والفعل لا يكون إلا محدثاً وأنه لو كان قديماً لما صح وجود النسخ فيه لأنه إذا كانت الجميع حاصلاً فيما لم يزل فليس بعضه بأن يكون ناسخاً والآخر منسوخاً بأولى من العكس .

قوله سبحانه :

«الاله الخلق والأمر» (٧/٥٢) الظاهر يوجب كون الخلق والأمر له ولا يصح كون القديم له لأن القديم لا يصح فيه الملك والخلق غير الأمر لأنه يقال خالق لما ليس بفعل كما قال : و لانت تفرى ما خلقت و بعض الخلق يخلق ثم لا يفرى . فصح أن الأمر غير الخلق ويكونان مخلوقين . والأمر لفظه فعل وهذا لا بد من أن يكون حادثاً لتقدم بعض الحروف على بعض وتواتر حدوثها ، وبمعنى العمل هذا أيضاً حادث وإثبات أمر غير معقول محال ولو كان قديماً لم يكن الله به أمراً لأنه يصير به فاعلاً ولو صار به أمراً جعل جميع الأمور من أمورين وإن كانوا معدومين . وما قلت المجبرة في هذه الآية أنه إفراد الأمر

بالذكر بعد ذكره الخلق دل على ان الامر ليس بمخلوق باطل لقوله (من كان عدوا لله و
ملائكته ورسوله وجبريل وميكال) ولو كان كذلك لوجب الا يكون جبريل وميكال من
الملائكة ونظيره (واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح)

قوله سبحانه :

« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » (٢/١٨١) الظاهر انه انزل الجميع
فيه وقد انزله في عدة اوقات (فالجواب) انه انزله جملة واحدة الى سماء الدنيا في شهر
رمضان ثم فرق انزاله بعد ذلك بحسب ما تدعوا الحاجة اليه . وقالوا انزل في فرضه
و ايجاب صومه على الخلق فيكون فيه معنى في فرضه كقول القائل انزل الله في الزكاة
كسدا وكذا يريد في فرضها وانزل الله في الخمر كذا وكذا اي في تحريمها والصحيح
ان قوله القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وانما يفيد الجنس من غير
معنى الاستغراق فكانه تعالى قال : شهر رمضان الذي انزل فيه كلام من هذا الجنس فأى
شيء نزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر .

قوله سبحانه :

« كتاباً متشابهاً مثالى » (٣٩/٢٤) وقوله (واتوا به متشابهاً) (٢/٢٣) مجاز
الاية ليس على انه متشابه في لون او طعم بل في الفضل كما نقول ما درى ما اختار من
هذه الثياب كلها عندي فاضل

فصل

قوله تعالى : « ومن كفر فإن الله غنى حميد » (٣١/١١) (يا ايها الناس انتم الفقراء
الى الله والله هو الغنى الحميد ، وربك الغنى ذو الرحمة ، والله الغنى وانتم الفقراء)
وقال عبد الملك بن ابي العوجال الطاقى أتزعم انه غنى قال نعم قال أيبكون الغنى عندك
في المعقول في وقت من الاوقات ليس عنده ذهب ولا فضة قال ان كان غنياً من قبل ذهابه و
فضته وتجارته فهذا كل ما يتعامل الناس به منه فأى القياس اكثر وأولى من ان يقال غنى من
احد الغنى فأغنى به الناس قبل ان يكون شيء او من افاد مالا في هبة او تجارة فقال

هذا من كلام أبي عبد الله عليه السلام .

قوله سبحانه :

« من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » (٢/٢٤٦) يكون مجازاً في اللغة لان حقيقة ان يستعمل للحاجة والله تعالى هو الغنى ولا يجوز ان يملك الله تعالى لانه مالك الاشياء من غير تمليك ولان المالك لا يملك ما هو ماله فيكون ذكر القرض في صفة الله تعالى تلطفاً في الاستدعاء الى الانفاق في سبيل الله وهو كالقرض في مثله مع اضعافه وقوله : (يضاعف لكم) اي يضاعف ثوابه لكم بامثاله وقال متكلم ما سوى الله اما جسم او عرض فالجسم مفتقر الى الكون لا يوجد لامعه والعرض مفتقر الى الجسم لا يوجد الا فيه فالاشياء كلها مفقورة محتاجة والله هو الغنى وحده ، احتاج انسان الى واحد ليصير ثلاثة وهكذا الثلاثة والاربعة وسائر الاعداد والواحد لا يحتاج الى اخر ليصير واحداً فالخلق كلهم محتاجون الى الله وهو الغنى عنهم . بعض الصادقين عليهم السلام : ومن بالنعمة او لا وجوده وجزءاً بعدله وثواباً بلطفه

وقد بين الله تعالى انه يريد وكره في آيات منها قوله (والله يريد ان يتوب عليكم ، يريد الله ان يخفف عنكم ، يريد الله بكم اليسر ، يريد الله لبيين لكم ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، انه ما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت) وقال تعالى (ولكن كره الله ان يعائهم ، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ، ولكن الله حبيب اليكم الايمان وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) فمن المعلوم انه لا يحبب الا ما يحبه او لا يكره الا ما يكرهه وانه اذا اللطف في تحبيب الايمان بالطافة دل على ما نقوله في اللطف

قوله سبحانه :

« ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا اليؤمنوا الا ان يشاء الله » (٦/١١١) يدل على ان ارادة الله محدثة لان الاستثناء يدل على ذلك لانها لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء كما لا يجوز ان يقول القائل لا يدخل زيد في الدار الا ان يقدر الله او الا ان يعلم الله لحصول هذه الصفات في عالم بزل .

قوله سبحانه :

« وهو على جمهم اذا يشاء قدير » (٤٢/٢٨) يدل على حدوث المشية لانه لا يجوز

إذا قدر على شيء فعله ويجوز إذا يشاء أن يفعل فعله

فصل

قوله تعالى : «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب» (٢/١٨٢) وقوله (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) وقوله (واسجدوا اقرب) وقوله (وهو معكم أينما كنتم) المراد بها الاخبار عن كونه سبحانه عالماً ابداً بخفي احوالنا واسرارنا والمعنى ونحن اقرب اليه مما يدركه من حبل الوريد في القرب أي اني اعلم به وقيل نحن اقرب اليه من حبل الوريد لو كان مدركاً وقيل نحن املك به من حبل الوريد في الاستيلاء وذلك ان حبل الوريد في حيز غير حيزه والله تعالى مدرك بنفسه ومالك له بنفسه .

قوله سبحانه :

«وقرئناه نجياً» (١٩/٥٣) معناه قرئناه من الموضع الذي شرفناه وعظمناه بالحصول فيه ليستمع كلامه تعالى . وقال ابن عباس ومجاهد قرب من اعلى الحجب حتى سمع سرير القلم ، وقيل معناه ان محله من اجل من قرب به مولا من مجلس كرامته لان التقرب هنا اليه بالطاعات طلب المنزلة الرفيعة عنده بفعلها لا قرب المسافة كما يقال فلان قريب من الملك وان كان بينهما بون بعيد ومنه قوله (والاممكة المقربون) ويقال معناه التقرب الى رحمته ومعنى ذلك ان يفعل الطاعة ليكون بفعلها اقرب الى أن يغفر لنا ويرحمنا .

قوله سبحانه :

«ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم» (٥٨/٨) وقوله (وهو معكم أينما كنتم ان الله مع الصابرين) يدل على انه ليس بجسم (هل تعلم له سمياً) أي مثلاً ليس كمثله شيء . سئل الصادق عليه السلام عن الآية فقال نور لا ظلمة فيه علم لا جهل فيه حياة لا موت فيه . وسئل ابو جعفر الثاني عليه السلام أبجوز ان يقال لله تعالى انه شيء ؟ فقال عليه السلام نعم تخرجه عن حد الابطال وحد التشبيه وقالوا له مثل اوصافنا فقد صوروه وقد جسموه .

فما عرفوه ولا عبدوه ولا وقروه ولا عزروه

العونى

جل من ليس له شبه عظيم الاعظمتنا فهو شيء ليس كالاشياء مما تزعمونا

قوله سبحانه :

« قل أي شيء أكبر شهادة قل الله » (٦/١٩) في الآية دلالة على من قال لا يوصف تعالى بأنه شيء لأنه لو كان كما قال لما كان نالاية معنى كما أنه لا يجوز أن يقول القائل أي الناس اصدق فيجاب بجبريل لما لم يكن من جملة الناس بل كان من الملائكة . وقال أمير المؤمنين عليه السلام قوله فعله من غير مباشرة وتفهمه من غير ملاقة وهدايته من غير إيماء وكلامه من غير آلة ونيتته من غير اعتقاد وجهه حيث توجهت وقصده حيث يممّت وطريقه حيث استقمت منك يفهمك وعنك يعلمك ارتباط كل شيء بضده وقطعه بحددهما تخيل فالنشبيه له مقارن وما توهم فالنزيه له مياين . وقيل الصادق عليه السلام إن هشاماً يزعم أن الله جسم لا كالأجسام فقال قتله الله إنا علمنا أن الجسم محدود إنا إلى الله من هذا القول وفي حديث يونس إنا علمنا أن الجسم محدود متناه وإن المحدود المتناهي يحتمل الزيادة والنقصان وما احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً . وقال محمد بن الفرج البرجعي كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة فكتب عليه السلام دعه عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان ليس القول ما قال هشامان قالوا فرجعتنا عن مقالهما .

قالت :	فهل هو ذو شبه وذو مثل	فقلت قد جمل عن شبه وعن مثل
قالت :	فقل لي جسم ذاك أم عرض	فقلت بل خالق الجنسين فانتقل
قالت :	ما ضر لو ثبته جسداً	فقلت لا توجد الأجسام في الأزل
وله أيضاً :	وأخر قال الله جسم مجسم	ولم يدر أن الجسم شيء محدد
	وإن الذي قد حدلاريب محدث	إذا ميز الأمر اللبيب المؤيد
غيره :	عجبت لذي التشبيه كابر عقله	أم العقل عنه حين شبه عاذب

فصل

قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » (٢٠/٤) العرش السرير (ولها عرش عظيم) وأصول البناء (فهي خاوية على عروشها) وما يستظل به (وجنات معروشات) و منه العريش والبناء (ومما يعرشون) والبسط (وكان عرشه على الماء) وقوام الأمر : دعائم عرش خاتنه الدهر فانه مقره . والملك راو عرشتي تنام جانباه . آخر :

إذا ما بنو مروان ثلث عروشها واودت كما اودت اباد وحمير
زهير : تدار كتما الاخلاف قد نل عرشها وذيان اذ زات با قدامها النمل

فالعرش محدث وانه كان ولا مكان وكونه في كان بعد ان لم يكن تغير وكل من تغير
فليس بتقديم والعرش محدود ومحال ان يتكون على المحدود وبماسه ماليس بمحدود و
ذلك منفي عن الله تعالى ويقتضى كونه جسماً اذ ماليس بجسم يستحيل منه الكون في
المكان وكونه جسماً يوجب حدونه والكون على السرير بعد ان لم يكن يكون انتقالاً
وزوالاً ويوجب ان يكون محدثاً ونمطاً قبل الاية وما بعدها لا يشاكل تفسيره على السرير
ومتى فسر على الملك يشاكل

قوله سبحانه :

« على العرش استوى » (٢٠/٤) وقوله (استوى الى السماء) الاستواء على اقسام :
استواء في القدار ، واستواء في المكان ، واستواء في الزمان ، واستواء في الاتفاق ، و
استواء بمعنى الاستيلاء وهو راجع الى الاستواء في المكان ، ويلحق بذلك الاستواء بمعنى
الانتصاب ، يقال استوى فلان جالساً واستوى قائماً ، وبمعنى الركوب : قوله (واذا استويت
انت ومن معك في الفلك) وبمعنى تساوى الاجزاء المؤلفة : تقول استوى الحائط ، و
بمعنى التساوى في الامر قوله (فلما بلغ اشدّه واستوى) قال الشاعر : قد استوى ظالم
العشيرة . وهذه كلها من صفات الاجسام لا يجوز على البارئ تعالى . والذي يحقق في
تأويله ما قال ابن عباس والحسن استوى امره ولطفه وصعد الى السماء لان امره وقضاياه
تنزل منها الى الارض . الجبائي : اى استوى عليه بان رفعه الفراء والقاضي عبد الجبار :
اى قصد اليها فخلقها كما يقال كان فلان مقبلاً على فلان ثم استوى الى وعلى يكلمنى
ومر فلان مستوياً الى موضع كذا ولم يعدل قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) و
قيل استوى تدبيره بتقديم القادر عليه . وقيل استوى بمعنى احتوى عليه ، يقال استوى
فلان على مال فلان وعلى جميع ملكه . وقال الصادق عليه السلام : استوى من كل شئ
فليس شئ اقرب اليه من شئ . قيل اى لفظة الرحمن مكتوب على العرش . وقيل
استوى عليها بالقهر وخلقهن سبع سماوات وكان علوه عليها علو ملك وساطان لا علو
انتقال وزوال كقوله (فلما بلغ اشدّه واستوى) اى تمكن من امره وقهر هواه بعقله ثم
استوى الى السماء في نفوذه وتملكه لها ولم يجعلها ملكاً لخلقه .

من غير سيف ودم مهران

قال البعيث : ثم استوى بشر على العراق

وقوله (الى السماء) و لاسماء هناك لان خلق العرش كان بعد خلق السماء كما يقول القائل اعمل هذا الثوب وانما معه غزل . وقال قوم : انما سواهن سبع سموات بعد ان كانت دخاناً . وقال آخرون : استوى بمعنى استوت السماء كما قال الشاعر :
أقول لها لما استوى في ترانه على اى دين يقتل الناس مصعب
وفائدة التخصيص للعرش انه من اعظم المخلوقات فاذا كان مستولياً عليه كان بالاستيلاء على غيره اولى .

قوله سبحانه :

« ثم استوى الى السماء » (٢/٢٧) الاستواء اذا كان بمعنى الجلوس والركوب لا يعنى بالى وانما هم يزعمون انه على العرش ويحتمل ان يكون معناه من يدبر السماء ويفعل عجائبها ولهذا لا يطلق على البارئ تعالى انه فى مكان .

قوله سبحانه :

« امنتهم من فى السماء » (٦٧/١٦) معناه من فى السماء عذابه وملائكته الذين بهم انتقامه لان عادته ان ينزلها من هناك ولهذا قال (ان يخسف بكم الارض) فنيه به على ذلك .

قوله سبحانه :

« اليه يصعد الكلم الطيب » (٣٥/١١) صعود الملائكة اليه غير معقول فمعناه اجازى و اقبله و العمل الصالح يرفعه مثل قولهم رجع الى كلامك و اتانى كتابك .
قوله سبحانه :

« يعرج الملائكة والروح اليه » (٧٠/٤) وقوله (يدبر الامر من السماء الى الارض) ثم يعرج اليه (٣٢/٤) يعنى الملك يصعد الى المكان الذى امره الله تعالى ان يعرج اليه يقال فلان يدبر الامر من الشام الى خراسان اى ما بينهما ثم يعرج اليه اى عاقبة ذلك الامر اليه ورجع امرنا الى القاضى وعروج الامر ونزوله لا يصح فى الحقيقة و انما جاز هذا القول لانه تعالى جعل ديوان اعمال العباد فى السماء والحفظة من الملائكة فيها فيكون ما رفع هناك قد رفع اليه لانه امر بذلك كما قال ابراهيم (انى ذاهب الى ربى) اى الى

الموضع الذى امرنى أن أذهب اليه .

قوله سبحانه :

« رفيع الدرجات ذو العرش » (٤٠/١٥) الرفع للدرجات و قد جرت صفة الله تعالى لان القديم تعالى لا يوصف بانه رفيع او شريف لان حقيقتيهما فى ارتفاع المكان و اشرافه . امير المؤمنين عليه السلام : قربته قدرته و بعده عظمته و نزوله الى الشئىء اقباله عليه و اتيانه اياه ايصاله لما يريد اليه ينجلي و لا يتجلى و يتدانى و لا يقتدنى علوه من غير توقل و مجيئه من غير تنقل قوله سبحانه :

« وسع كرسى السموات والارض » (٢/٢٥٦) انما اخبر عن صفة الكرسي فقط ولم يوجب اضافته اليه كونه عليه كما لا يوجب اضافة الكعبة اليه كونه فيها على انهم يزعمون انه على العرش والكرسي سواء والوجه فى خلق الكرسي اذ قلنا انه جسم هو ان الله تعبد بحمله الملائكة كما تعبد البشر بزيارة البيت . صاحب :

انزه رب الخلق عن حد خلقه
وقد زاغ راو فى الصفات ومسند
فهذا يقول الله بهوى و يصعد
وهذا لديه الله مذ كان امرد
تبارك رب امرد والشبب انهم
لا كفر من فرعون فيه واعند
فصل

قوله تعالى : « ومن خاف مقام ربه جثان » (٥٥/٤٦) وقوله (عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً) والمقام انما هو مصدر و لو كان موضعاً لما خوف بمقامه لان الخوف لا يتعلق بالمكان حتى يكون ذلك مرغباً فى الطاعة صارفاً عن المعصية فاذا لا بد فيه من حذف فمعناه ان من خاف مقامه لدى فعل الطاعة فله الثواب و لفظه من تقع على الواحد والجمع وجاء فى آية واحدة (ومن يعص الله ورسوله) قوله (عسى ان يبعثك ربك مقاماً) والمقام متردد بين المصدر والموضع فهو كلام مجمل مفتقر الى البيان . وقد روى المفسرون عن النبي عليه السلام انه الشفاعة وقيل للصادق عليه السلام ان فلاناً يقول بالنشيه فقال عليه السلام ابرء الى الله منه . وقال الرضا عليه السلام من شبه الله بخلقه فهو مشرك ومن وصفه بالمكان فهو كافر ومن نسب اليه ما نهى عنه فهو كاذب ثم تلا (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون) الصادق عليه السلام : من زعم ان الله من شئىء او على شئىء فقد اشرك ثم قال من زعم ان الله من شئىء فقد جعله محدثاً ومن زعم انه فى شئىء او فى شئىء فقد زعم انه محصور

ومن زعم انه على شئى ، فقد جعله محمولا منصوراً (الآبى) منزله عن شبه المشبهه عشر كه لكنها تموه

فصل

قوله تعالى : «عند مليك مقتدر» (٥٤/٥٥) (عندكم ينفذ وما عند الله باقى) (١٦/١٨) عند على وجوه فاذا لا تستعمل الابدليل ، اما قوله (وعنده عالم الساعة) اى عالم بها ، وقوله (وعند الله ثواب الدنيا) اى المالك له ، وقوله (ان الذين عند ربك) اى فى المنزلة الرفيعة كما يقال فلان عندى بمنزلة وان كان بينهما بعد المشرقين ، وقوله (عند مليك مقتدر) اى بحيث لا يملك الحكم فيه سواء يعنى السماء كما يقال عند الملك خصب وامن اى فى المواضع التى لا يملكها سواء وقولهم عندا بى حنيفه كذا وعند الشافعى كذا اى فى مذهبهما قال : نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف وقوله (وكل شئى عنده بمقدار) لو حمل على المكان لوجب ان يريد ان جميع الاشياء فى ذلك المكان حاصل بمقدار معلوم او يريد ان جميع ما عنده فى ذلك المكان بمقدار فمعناه اى حكمه وعلمه يدل عليه ما قبله (وما تحمل من شئى) وذلك الاولى لانه اعم يتناول المعدوم والموجود دون الماضى والغابر . وسأل جبرابا بكر عن الله تعالى فقال أين هو أفى السماء ام فى الارض فقال فى السماء على العرش قال فازى الارض خالية منه واره على هذا القول فى مكان دون مكان فقال : ابو بكر هذا كلام الزنادقة اعزب عنى والافتلتك فولى الحبر مستهزياً بالاسلام فاستقبله على عليه السلام فقال قد عرفت ما سألت عنه وما اجبت به فاننا نقول ان الله اىن الاين فلا اين له وجل ان يحويه وهو فى كل مكان بغير محاسنة ولا مجاورة يحيط علماً بما فيها ولا يخلوا شئى من تديره تعالى ثم قال ان موسى كان يوماً جالساً اذ جاء ملك من المشرق من عند الله وجاء ملك من المغرب من عند الله وجاء ملك من السماء السابعة من عند الله وجاء ملك من الارض السفلى من عند الله فقال موسى سبحان من لا يخلو منه مكان ولا يكون الى مكان اقرب من مكان فاسلم الحبر .

قوله سبحانه :

«وهو القاهر فوق عباده» (٦/١٨) وقوله (يد الله فوق ايديهم) (٤٨/١٠) يستعمل فوق على سبيل القهر والسلطان يقال يدزيد فوق عمرو ويد الامير فوق ايدينا وكل شئى قهر فهو مستعمل عليه ولما كان العباد تحت تسخير وتذليله وامره ونهييه وصف

بأنه فوقهم وقد نبهنا الله على ما اراد بقوله (وهو القاهر فوق عباده) .

قوله سبحانه :

«يخافون ربهم من فوقهم» (١٦/٥٢) أى يخافون عقاب ربهم من فوقهم لانه يأتي من فوق وقيل انه لما وصف بأنه متعالى بمعنى قادر لا قادر قدومه فليل صفته فى أعلى مراتب صفات القادرين حسن ان يقال من فوقه ليدل على هذا المعنى من الاقتدار الذى لا يساويه قادر ولو كان صفة الله تعالى لم يحصل به التخويف .

قوله سبحانه :

«ولو ترى اذ وقفوا على ربهم» (٦/٣٠) المراد بذلك وقوفهم على عذاب ربهم ونوابه وعلمهم بصدق ما أخبرهم به فى دار التكليف والوقوف عليه يسمى علما يقال وقفت على معنى كلامك واذا كان الكفار لا يعرفون فى الدنيا استدلالا لعرفهم الله فى الآخرة ضرورة فذلك يكون وقوفهم عليه . وقال لهم ربهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا . وقيل اذا وقفوا على ربهم حبسوا ينتظر بهم ما يأمر به كقول القائل احبسه على ، ولا يجوز ان يكون المراد به الرؤية لان الآية مختصة بالكفار ولا خلاف فى ان الكفار لا يرونه .

قوله سبحانه :

«واولئك يعرضون على ربهم» (١١/٢١) حقيقة العرض لا يجوز على الله تعالى لان العرض فى الشاهد انما يصح على من لم يكن مشاهداً للشيء ، عالمأ به ولا يخفى على الله خافية ، والمراد بذلك انهم يعرضون للمحاسبة بحيث اعد ذلك العرض فى ذلك الموضع عرضاً عليه كقوله (انى ذاهب الى ربى) اى حيث امرنى ربى .

قوله سبحانه :

«فما اغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله» (١١/١٠٣) معنى من دون الله من منزلة ادنى من منزلة عباد الله وانه من الادون وهو الاقرب الى الجهة السفلى .

قوله سبحانه :

«قل اتحاجوننا فى الله» (٢/١٣٣) اى فى دينه لانهم قالوا نحن ابنا الله واحباؤه (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى) وقالوا (كونوا هوداً او نصارى تهتدوا) .

قوله سبحانه :

«فان الله مع الصابرين» (٢/١٤٨) (وهو معكم اينما كنتم) اى معهم بالمعونة والنصرة كما تقول اذا كان السلطان معك فلا نبال من لقيت وحقيقة مع أن يكون للمصاحبة فى الجهة وذلك لايجوز على الله تعالى .

قوله سبحانه :

«له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك» (١٩/٦٥) اى قبل أن يخلقنا وما خلفنا أى بعد أن يفتننا وما بين ذلك ما هم فيه من الحياة وقان ابن عباس والريبع و قتاده والضحاك وابوالعاليه : ما بين ايدينا الدنيا وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك النفختين .

قوله سبحانه :

«وانهم اليه راجعون» (٢/٤٣) وقوله : (واليه يرجع الامر) . ظاهر الرجوع بوجب الاخبار عن العود الى حيث خرج منه ولاخلاف انهم لم يكونوا عنده والاية تقتضى رجوع الجميع اليه ، قوله (وكنتم امواتاً فاحياكم) والكل داخل فى هذا الحكم ولا يقول الخصم به : وقال تعالى : (ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله) يعنى المدينة و قال ابراهيم : (انى ذاهب الى ربى) اى ارض الشام ، وقال (اليه يصعد الكلم الطيب) يعنى السموات عند الحفظه وبعد فاته تهديه فى سائر الايات الواردة فى الباب نحو : (ثم تردون الى عالم الغيب) اوفى باب المصيبة نحو : (وانا اليه راجعون) ولو كان المراد به المكان لم يكن ذلك تسلياً لمن نزلت له المصيبة . وقال ابوالعاليه راجعون بالاعادة فى الآخرة . وقيل راجعون الى ان لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً غيره تعالى كما كانوا فى بدىء الخلق لانهم فى ايام حياتهم قدموا عليهم حكمهم قوله (مالك يوم الدين) .

قوله سبحانه :

«الى الله مرجعكم جميعاً» (٥/١٠٤) وقوله (فسيحشرهم اليه جميعاً) اى انكم ترجعون اليه احياء بعد الموت اى الى موضع جزائه جميعاً . وقيل معناه أن يعود الامر الى ان لا يملك احد التصرف فى ذلك الوقت غيره تعالى بخلاف الدنيا . ولفظ المرجع يكون بمعنى الرجوع فيكون مصدراً وبمعنى موضع الرجوع كانه قال اليه موضع رجوعكم .

قوله سبحانه :

«وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَاللَّهُ الْمَصِيرُ» (٢٤/٤٢)
معناه انه يؤول اليه امر بالعباد في انه لا يملك ضرهم ولا نفعهم غيره عز وجل لانه تبطل
مملكة غيره في ذلك اليوم والامر لنا دون غيرنا ، كما يقال صار امرنا الى القاضى على
معنى قرب المكان وانما يراد بذلك انه المتصرف فينا .
قوله سبحانه :

«وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ» (٢/٢٠٦) الناس في دار التكليف قديغتر بعضهم ببعض
فيعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار عنهم وقد تدخل عليهم الشبهة
لنقصيرهم في النظر في وجهه فيعبدون الجامدة والهامة ويضيف كل هؤلاء افعال الله عز وجل
فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة واضطروا الى المعارف عرفوا انه لا معبود سوى الله فردوا
اليه امورهم وانقطعت آمالهم من غيره والى الله ترجع الامور والامور كلها لله وفي يده
من غير خروج ورجوع حقيقى وقد تقول العرب قد رجعت على من فلان مكروه بمعنى صار
منه ولم يكن سبق الى قبل هذا الوقت وقد عاد الى من زيد كذا وكذا وان وقع منه ابتداء
قال الشاعر :

فان تكن الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب

اي صارت لها ذنوب لم تكن من قبل بل كان قبلها احسان وقد ملك الله العباد في
دار التكليف اموراً تنقطع بانقطاع التكليف وافضاً الامر الى دار الآخرة مثل ما ملكه
الموالى من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم فيجوز ان يريد الله برجوع الامر اليه
انتهى ما ذكرناه من الامور التي يملكها غيره بتخليكه الى ان يكون وحده مالكها . وقال
المرتضى : الامر ينتهى الى ان لا يكون موجوداً قادراً غيره وتقتضى الامور فى الانتهاء الى
ما كانت عليه فى الابتداء لان قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة و بعد انشاءهم هكذا
يصير وهو رجوع حقيقى لانه عاد الى ما كان عليه متقدماً . وقال الطوسى برجع الامر
كله اى يذهب الى حيث ابتداء منه فرجع الامر الى الله بالاعادة بعد النشأة الاولى .

وقال الجبائى : ترجع الامور الى من لا يملكها سواء وتحتل ايضاً ان يكون المراد
بذلك ان تعود المقدورات الباقية الى ما افناه من مقدوراتها كالجواهر والاعراض ترجع فى
مقدورات البشر وان كان باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدورات القدر باستحالة

العود اليها من حيث لم يجزله فيها التقديم والتأخير وهو حكمه هو تعالى المتفرد به

فصل

قوله تعالى : « من انصاري الى الله » (٣/٤٥) قال السدي وابن جريج : اي من اعوانى على هؤلاء الكفار الى معونة الله وذلك مثل قوائم الذود الى الذود آيل وقواه (و لاناكلوا اموالهم الى اموالكم) وقال الحسن من انصاري فى السبيل الى الله لانه دعاهم الى سبيل الله . وقال الجبائى من انصاري لله كما قال (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى الى الحق) ووجه ذلك ان الغرض يصلح فيه اللام على طريق العلة والى على طريق النهاية .

قوله سبحانه :

« بل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ » (٤/٥٦) معناه انه رفعه الى الموضع الذى يختص الله تعالى بالملك ولم يملك فيه احد منه شيئاً وهو السماء لانه لا يجوز ان يكون المراد به انه رفعه الى مكان هو تعالى فيه لان ذلك من صفات الاجسام .

قوله سبحانه :

« كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » (٨٣/١٥) المحجب هو المنع والحاجب هو المانع ولا يصح القول بأنهم محجوبون عن ذات الله تعالى واذا كان المنوع منه محذوفا فليست الرؤية باولى من الرحمة وهذا كما يقول عند سؤال الغير غضب عليه السلطان وأبعده من عنده ولا ينظره الله ولا يكلمه وحجبه عنه وليس يأذن له بالدخول عليه كقوله (فعليهم غضب من ربهم) غير المغضوب عليهم ، قل هل انبؤكم بشر من ذلك من لعنه الله وغضب عليه ولا يكلمهم يوم القيامة) فمعنى قوله (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) عن ربهم بسوء حالهم مبعدون عن رحمته

قوله سبحانه :

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب » (٤٢/٥٠) ليس فى الآية أكثر من ذكر الحجاب وليس فيها انه حجاب له تعالى او انه محل كلامه او كلمه اولم يكلمه واذالم يكن فى الظاهر شيئاً من ذلك صرف الى غيره عز وجل و يجوز ان

يفعل كلاماً في جسم محتجب عن المكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على سبيل التفصيل فيقال على هذا هو مكلم من وراء حجاب . وقال الجبائي : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً) بمثل ما يكلم به عباده من الامر بطاعته والنهي لهم عن معاصيه وتنبيهه اياهم على ذلك من جهة الخاطر او المنام وما اشبههما وعنى بقوله (او من وراء حجاب) ان يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد ان يكلمه به نحو كلامه تعالى لموسى لانه حجب ذلك عن جميع الخلق اولا و اما كلامه في المرة الثانية فانه انما اسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه و حجب عن سواهم . و قال المرتضى . المراد بالحجاب البعد والخفاء ، يقال بينى وبينك حجاب اى استبعد فهمك ويقال بينى وبينك هذا الامر حجب و موانع و سواتر اى طريق مستبعد فيكون معنى الاية انه لا يكلم البشر الا وحياً بأن يخطر في قلوبهم او بأن ينصب لهم ادلة تدلهم على ما يريد اويكرهه منهم فيكون بذلك مخاطباً وجعل هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعاً كما يسمع الخاطر وقول الرسول فصار الحجاب ههنا كناية عن الخفاء وعبرة عما تدل عليه الدلالة . وقال مجاهد : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً) هو داود اوحى في صدره فزبر الزبور (او من وراء حجاب) وهو موسى (او يرسل رسولا) وهو جبريل ارسله الى محمد صلى الله عليه وآله . وقال امير المؤمنين عليه السلام : احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وعن في السماء احتجابه كما عمن في الارض غيابه . وزعم الشعبي انه سمع امير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول والذي احتجب بسبع طباقاً فعلاه بالدرة ثم قال له ويلك ان الله اجل من ان يحتجب عنه شئ سبحان من لا يحويه مكان ولا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء فقال الرجل افاكفر عن يميني قال لا لم تخلف بالله فيلزمك كفارة وانما خلفت بغيره

فصل

قوله تعالى : «ويحذركم الله نفسه» (٣/٢٧) النفس الدم ومنه نفست المرأة فهي نفساء وكل ما ليس له نفس سايله ، والروح اخرجوا انفسكم ، والانف يقال لفلان نفس ، والارادة نفسه في كذا . قال المعزق :
فباتت له نفسان شتى همومها فنفس يعزبها ونفس يلومها

والعين الذي يصيب الانسان يقال أصابت فلاناً نفس ، ومقدار الدبغة يقال اعطني نفساً او نفسين من الدباغ، وقالب فيه الحياه (كل نفس ذائقة الموت) . قال الخليل في كتابه: نفس كل شيء عينه وذاته ، والغيب لاعلم نفس فلان ، والعقوبة احذر ك نفسى اى عقوبتى .
الفراء (و ما يخذعون الانفسهم ، فاقتلوا انفسكم ، ولكن ظلموا انفسهم) انما هو ذكر عايد اليهم وارادوا ان الاخبار عن الفاعل والمفعول به شيء واحد وهذا معترض ومعنى الآية لا تخلو اما ان يكون كما فسر المفسرون او يكون جسداً ثم الجسد اما ان يكون معلوماً أو غير معلوم فغير المعلوم يؤدى الى الجهالات والمعلوم تشبيه و لزمهم ان يقولوا بأنه ذو وصال واعضاء ولادى الى حدوده او قدم الاجسام وان يكون ذا اجزاء كثيرة من تركيب صورة وهيئة متناهية مما ساء لغيره ولا جسم الاوله شبيه محسوس او موهوم ثم ان التحذير بالجسد لا يصح وانما يقع بفعل يفعل به كقوله (فاتقوا الله ، واتقوا يوماً) واذا بطل ان يكون المراد به فلا خلاف في غيره لانه لا يليق بالايه فلم يبق الا قول المفسرين .
قال ابن عباس : (ويحذركم الله نفسه) عقوبته . وقال قطرب : اى ويحذركم الله اياه كقولك فى نفس الجبل ونفس البصرة . قال الرضا عليه السلام : على ما خوفهم الله به .

مركز تحقيق كاتبة محمد رقيه
قوله - سبحانه :

« تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك » (٥/١١٦) لو أراد الجسد لوجب ان لا يعلم عيسى ما فى جسد الله جل وعلامن الآلات والضمائر وغير ذلك . قال الحسن : تعلم ما فى نفسى اى فى غيبى ولا أعلم ما فى غيبك . وقال ابن عباس : تعلم سرى ولا أعلم سر ك يقال اخفاء فى نفسه وهو يضم فى نفسه شيئاً .

قوله سبحانه :

« كتب ربكم على نفسه الرحمة » (٦/٥٤) لا يخلوا من أن يكون الكاتب هو المكتوب عليه او يكون الكاتب هو الرب والمكتوب عليه للرحمة غيره فيكونان اثنين .

قوله سبحانه :

« واصلت نفسك لنفسى » (٢٠/٤٣) فذكرهم عائد الى الرب من الاخبار والفاعل والمفعول فيه واحد

فصل

قوله تعالى: «ولتصنع على عيني» (٢٠/٤٠) الظاهر يقتضى ان يكون صنع المخاطب وهو موسى عليه السلام على عينه و قوله فانك بأعيننا يوجب ان يكون النبي عليه السلام بأعينه فيكون أعينه مكاناً له و كذلك قوله واصنع الفلك بأعيننا ويقتضى أن يكون له أكثر من عينيّن والجمع لانهاية له ويجب ان يكون ذا جارحتين وذلك يؤدى الى تناقض القرآن والخروج عن الاجماع . والعين لفظ مشترك بين الباصرة والدينيا والجاسوس والرئيس والنقد ومهب الجنوب ومطر لا يطلع وما يصيب من الفساد وعين الشمس والماء والميزان والركبه وغير ذلك وبمعنى العناية للشيء . قال ابن جلدنه :

وبعينيّك أوقدت همد النار عشاتلوى بها العلياء . ويوضع فى مكان الذات فيكون تأكيداً وتخصيصاً فمعنى قوله (ولتصنع على عيني) اى بحفظى ومراعاتى لك يقال : سرفى عين الله وعين الله عليك ومنه قوله : (فانك بأعيننا) ، وكذلك (واصنع الفلك بأعيننا) اى نأمرك به وحفظنا لذلك كقوله (ووحينا) اى على ما أوحينا اليك ويقال بوحيها اليك ان اصنعها ويحتمل انما تجرى ونحن عالمون بها لان السفينة لا يمكن ان يتعلق جريها الا بالعين التى هى الباصرة . وقال الجبائى : معناه بأعين اوليائنا من الملائكة والمؤمنين الذين يعلمونك كيفية عملها . وقيل معناه بعلمنا وقيل بحيث يراها الراى والله تعالى يراه وقال الاصمعى قال عمر بن الخطاب : ان علياً من عيون الله فى الارض و ما سوى ذلك لا يجوز لانه لا يفيد .

فصل

قوله تعالى: «واذ تأذن ربك» (٧/١٦٦) اى قال قولاً بسمع بالاذن ولا يريد بذلك انه اصغى بالاذن الى قول- كما قال الشاعر :

بسماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذى مشار

قوله سبحانه :

«ويبقى وجه ربك» (٥٥/٢٧) حمل الوجه على الجارحة يقتضى ان يهلك سائرهم ويبقى وجهه وقوله (لوجه الله) وقوله (يريدون وجهه) يوجب ان يكون وجهه مقصد

القوم في طاعته الى وجهه ليقبل وقوله (فثم وجه الله) يحتمل ان يكون وجهه حيث يتوجه الانسان اليه وان يكون وجهه جميع النواحي في الحالة الواحدة لتوجه الناس الى كل وجه . وقوله : (نطمعكم لوجه الله) وقوله . (الا ابتغاء وجهه) وقوله (يريدون وجه الله) اي القربة اليه والزلفة عنده كما يقال اكرمته لوجهك اي لتعظيمك . وقوله : (فثم وجه الله) اي فثم الله على معنى التدبير والعلم لاعلى معنى الحول . ويحتمل آيات الله و دلائله كما يقال وجه القول في هذه المسئلة كذا ويحتمل رضا الله وثوابه ، ويحتمل الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء اي الجهات كلها لله . الرضا عليه السلام : (فثم وجه الله) قال على : ويستعمل الوجه في المحيا وسمى بذلك لانه اول ما يظهر ويرى واول الشئ آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار ، والمقصد ومن يسلم وجهه لله وقوله (فاقم وجهك للدين القيم) و هو الوجه فيه والمذهب والجهة والناحية . شاعر :

لاى الوجه انتجعت قلت له

والقدرة والمنزلة لفلان وجهه عريض وهو اوجه من فلان واوجهه السلطان اذا جعل

له جاهاً . وقال امرء القيس :

ونادمت قبصر في ملكه

فأوجهني وركبت البريدا

والرئيس هذا وجه القوم وهو وجه عشيرته وذات الشئى انما أفعل ذلك لوجهك

ومنه (وجهه يومئذ ناضره ، ووجهه يومئذ باسرة ، ووجهه يومئذ ناعمه) فجميع ما

اضيف الى الوجوه في ظاهر الاى من النظرة والنظر والرضى لاتصح اضافته اليها وانما

يضاف الى الجملة . المفسرون (كل شئى هالك الا وجهه) اي الا هو يدل عليه قوله ولولم

يرد نفسه لم يقل ذو الجلال والاكرام .

فصل

قوله تعالى : **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ، (٤٨/١٠) اي نعمة فيما امتن به عليهم من

الاسلام فوق نعمتهم الاتقياد له والايمان به لانه عقيب قوله (ان الذين يبائعونك انما يبائعون

الله يد الله فوق ايديهم) اي عقد الله في البيعة فوق عقدهم لانهم يبائعون الله ببيعة نبيه .

وقيل قوة الله في نصر نبيه فوق نصرهم . وقيل : يد الله ثابتة في هدايتهم فوق ايديهم بالطاعة

ولو كان له يد فوق ايديهم من جهة المكان لم يكن له في ذلك تشریف وتخصيص . ابن

عباس : قال يهودى ان الله تعالى كان يوسع علينا ويعطينا فقد امسك يده عنا بمعنى العطر فاجابهم الله تعالى بقوله (غلت ايديهم) اى منعوا من الانفاق وضربوا بالبخل ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان . وقيل : انهم قالوا على سبيل الاستهزاء ان اله محمد ارسل يديه الى عنقه اذ لم يوسع عليه وعلى اصحابه فرد الله عليهم بقوله (بل يدها مبسوطتان) اى نعمته ويحتمل انهم وصفوا الله بما يقتضى تناهى مقدوره فجرى ذلك مجرى قولهم يد فلان منقبضة ويده لا تنبسط ويشهد بذلك قوله (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) ثم قال تكذيباً لهم (بل يدها مبسوطتان) اى ممن لا يعجزه شئ . ومعنى اليد القدرة ايضاً يقال مالى بهذا الا هريد ولا يدان اى لا أقدر عليه ولا يراد اثبات القدرة على الحقيقة بل يراد اثبات كون القادر قادراً . وقوله (والذى بيده عقدة النكاح) معناه من يملك ذلك وقوله (فيما كسبت ايديكم) اراد الجملة دون التبعيض .



قوله سبحانه :

« لما خلقت بيدي » (٣٨/٧٥) يجرى مجرى قوله (لما خلقت انا) وانما قال بيدي على وجه تخصيص الاضافة لخلقه اليه تعالى والتشبية اشد مبالغة يقال : هذا ما كسبت يده وهذا فعله بيده كما يقال فعله بنفسه و منه قولهم يداك او كنا وان كان فى ذنوبهم ما هو من افعال القلوب وكيف خلق آدم بجارحتين وانه محتاج اليهما وانه يفعل باللات وانه يتجزى لان اليدين اثنتان ليس بواحد ومعنى قوله بل يدها اى نعمته ديناً ودنياً وقيل نعم الدنيا ونعم الآخرة لان اولها يوجب ذلك وقد فسر الله تعالى فى قوله (ولا تجعل يدك الى عنقك) . قال الشاعر :

سبط اليدين بمافى رحل صاحبه جعد اليدين بمافى رحله قطط
وعلى زعمهم يوجب أن تكونا مبسوطتين لا تنقبضان للتخصيص بذلك و يوجب كونهما مركبة ذات اصابع ليصح معنى البسط وقد تمدح بذلك والمخلوق مثله فالافائدة فيه .

قوله سبحانه :

« أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاماً . » (٣٦/٧١) اى عملناه من غير ان نكله الى غيرنا بمنزلة ما يعلمه العباد بايديهم فى انهم تولوا فعله ولم يكلوه الى غيرهم كما قال تعالى (انما قولنا اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) وقال ابن عباس ومجاهد

وقتاده في قوله (والسماء بنيناها بايد) اي بقوة وقوله : (اولى الايدي والابصار) معناه القوي فيكون لفظ الايدي تأكيداً لتخصيص الاضافه .

قوله سبحانه:

«والسماوات مطويات بيمينه» (٣٩/٦٧) يستعمل اليمين في اشياء . اما قوله : (فاما من اوتى كتابه بيمينه) البداليعني (ولا تجعلوا لله عرضة لايمانكم) القسم قال امرأ القيس :

فقلت يمين الله مالك حيلة . والحد والصرامة

قال الشماخ : تلقاها عراة باليمين ، والمنزلة الحسنة يقال فلان عنده باليمين .
قال ذو الرمة :

أبينى أفى يميني يدبك جعلتني لك الخيرام صيرتني في شمالك
وعبارة عن الملك . هذا ملك يدي . قوله (مما ملكك ايمانكم) وهذا يرجع الى ان اليمين أراد به الجملة جل ذاته كانه قال : مما ملكتم فيكون مجراها الذات فلو حملناه على الجارحة اقتضى التشبيه المؤدى الى مناقضة الاصول وان يكون السماء مطوية بيمينه و يؤدي الى مناقضة القرآن من حيث اخبر عن حال السماء في ذلك اليوم ، فقال (يوم تكون السماء كالمهل ، واذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، اذا السماء انشقت ، واذا السماء انفطرت ، واذا السماء كشطت) فكيف يكون السماء مع هذه الاحوال من انشقاق وانفطار وكونها مهلا ووردة مطوية وانهم رووا ان كتابيدي يمين وان الحجر الاسود يمين الله فبأى يمينه تكون مطوية وهو لم يبينه واليد انما فرق باليمين وباليسار للتمييز فاما اذا كانت كتابيدي يميناً فلا معنى للقول بأنه فعل كذا بيمينه معيناً به الجارحة اذ ليس يقع به التميز ولعل السماوات تكون مطوية بالحجر الاسود ولا يجوز بمعنى المنزلة الحسنة لانه لا معنى له في الآية ولا بمعنى الملك لانه لا يقال كان ذلك بملك يميني ولا بمعنى الحد والصرامة لان ذلك لا يقيد وانما استعمل في ذلك بالالف فلم يبق الا بالقدرة وبالقسم وذلك اقوال المفسرين .

فصل

قوله تعالى : «جميعاً قبضته يوم القيامة» (٣٩/٦٧) القبضة لو فسرت على الظاهر

لاوجب ان الارض قبضته اى جارحته ويقتضى انه ليست قبضته سوى الارض والارض ليست بجارحة له ولا يخلو قوله (والارض جميعاً قبضته) من ثلاثة اوجه اما ان يكون اخباراً ان الثانى هو الاول ، كما يقال زيد اخوك . فيقتضى ذلك ان الارض كفه المجتمع . وان يقال ذلك على سبيل التشبيه الاول بالثانى تفضيلاً ، كما يقال فلان عيني و هو فؤادى ، وكما يقال فلان اسد . ويجر تشبيهاً له بهما فى الجود والشجاعة ولا يجوز ذلك واما ان يراد انه ملكه او فعله كقولهم هذه داره وعبدته وهذا كسبه وفعله وعلى هذا الوجه يصح . ابن عباس ومجاهد : اى ملكه ومنه يقال هذا فى قبضتى وقبضت الدار والارض هذه قبضة اى مجتمعة ومنه قبضة اليد والقوس ومقبض السيف والقبض ما قبض من الغنائم والفى والتقبض التشنج والعبوس فقبضت قبضه فعلة منه

قوله سبحانه:

«ألم ترالى ربك كيف مده الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه
ثلاثاً ثم قبضناه اينا قبضاً يسيراً» (٢٥/٤٧) انما هى حيث تشرق عليه الشمس
فيتقلص لانه ما رأيت بدأ مجسدة تقبض الظل

قوله سبحانه:

«اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الارحمن»
(٦٧/١٩) ما رأيت يده تمسك شيئاً وانما معنى ذلك القدرة على امساكها .

قوله سبحانه :

«والله يقبض ويبسط» (٢/٢٤٦) أى يمنع ويعطى .

قوله سبحانه :

«وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها» (١١/٥٩) وقوله (ان بطش ربك
لشديد) لا يوصف جل ثناؤه بالقبض على الشئ . فالمعنى فى ذلك انها فى ملكه .

فصل

قوله تعالى : «ما فرطت فى جنب الله» (٣٩/٥٧) الجنب العضو المعروف والناحية .

قال مهمل :

كانا غدوة وبني امينا
بجنب غنيزة رحيماً مديراً
ولصيق الشيء . ومنه صاحب بالجنب والسبب ويقام مقام اجل يقال فعلته في جنبه اي
في سببه ومن اجله . الاحمر :

خليلي كفا واذكر الله في جنبى
وقد ملتما في غير اثم ولا ذنب
اي في امرى والجنب الذى هو الجارحة ولصيق الشيء غير مفعول و بمعنى السبب
واجل كلام غير مفهوم فمعناه ما فرطت في جنب الله اي في امره ، قال مجاهد وهو الصحيح
لان الجنب يعبر به عن الذات يقال في جنب فلان حق . وقال ابن عباس : في ذات الله . و
روى عن النبي والوصي والسجاد والباقر والصادق والرضا وزيد بن علي عليهم السلام :
جنب الله على .

قوله سبحانه :

«يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود» (٦٨/٤٢) الساق ذات القدم
وكشفت عن ساقها ، وساق الشجرة التي ترتفع عليها ، ويقال ساق على ساق اي قمريه
على شجرة والشدة يقال قامت الحرب على ساق . سعيد بن مالك :

كشفت لهم عن ساقها
وبدا من الشر الصراح
فالجارحة لا يجوز لانه لم يقل عن ساقه ولم يقل من يكشف ونكر الساق ولم يعرفه فلا
دلالة على شيء مما قالوه و ما روه فباطل لا اصل له و ليس من الصحاح عند القوم
وذلك كفر شنيع وما في كشف ساقه مما يوجب معرفتهم بأنه ربهم ويلزمهم التشبيه وابطال
ادلة المقول ورفع الاجماع وتناقض القران ولا يجوز بمعنى الشجرة او القمرى لانه غير
مفيد فيهما فلم يبق الا الشدة وهو حال الكفار لقوله في اخرها (وقد كانوا يدعون الى
السجود) . و روى عن ابن عباس وابن جبير وابن المسيب وقتاده : انه شدة .

فصل

قوله تعالى : « وجاء ربك » (٨٩/٢٣) معناه وجاء امر ربك حذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه والحذف في امثاله جائز اذا كان هناك مانع عن الجرى على الظاهر ، نحو (واستل

القربة) وقال الحسن : اى جاء وعد ربك يعنى الاحكام بالثواب والعقاب . وقال الضحاك
اذ انزل اهل السموات يوم القيامة وكانوا تسعة صفوف محيطين بالارض ومن عاينها . (١)

قوله سبحانه :

«هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة» (٢/٢٠٦)
انتظار الكفار انهم ياتيهم فى الظلل يوجب كونه جسماً وجوهراً يزول ويغيب ويحيى
ويذهب ويبعد ويقرب ويظهر ويخفى . قال ابن عباس : اتيانه اليهم بوعدده وعيده وان الله
تعالى يكشف عنهم ما كان مستوراً عنهم والله فى كل حال فهم يرون احوال الغمام وغيره
من الملائكة .

قوله سبحانه :

«فأتى الله بنيانهم» (١٦/٢٨) اى اتى امره فى خرابه يبدل على ذلك قوله فى اخرها
(فخر عليهم السقف من فوقهم وانا هم العذاب) .

قوله سبحانه :

«نسارع لهم فى الخيرات» (٢٣/٥٨) اى تقدم لهم ثواب اعمالهم لرضانا عنهم و

١ - ولا يخفى ان امثال هذا الفعل المنسوبة الى الله تعالى الواردة فى الكتاب والسنة فوق
حد الاحصاء ومنها : سمع الله ، نظر الله ، قال الله ، استوى ، كتب ربكم ، الله يقبض ، نادينا ،
كلم الله ، ونفخت ، خلقت بيدي ، مطويات يمينه ، ثم وجه الله ، البصير ، الظاهر ، الباطن ،
النور ، المصور . ولا بد لنا من الوصول الى حقائق هذه الكلمات الشريفة وفهم معانيها المقصودة
فى هذه الموارد : فنقول ان كلامنا من هذه الكلمات كغيرها موضوع بازاء مفهوم كللى ومعنى
جامع بين الموارد المختلفة والمقامات المتفاوتة من العوالم الروحانية والمفاهيم المعنوية و
الموضوعات الخارجية والاعيان الثابتة ، ولا بد لنا من تشخيص المعنى المراد فى خصوص كل
مورد ، ولا يحكم بتساوى الموارد المشتقة الا من فقد المعرفة والبصيرة ، فظاهر ان المعنى
المراد فى قوله تعالى : جاتك آياتى ، جاء اجلهم ، جاء الخوف ؛ غير ما اريد من المجيئ
المنسوب الى الاعيان . فالمعنى المناسب لهذا المورد (جاء ربك) هو الظهور والتسلط التام
والمالكية والسلطنة المطلقة والكشف والتجلى المناسب للعالم الاخرى ، قال تعالى : مالك يوم
الدين ، فكشفنا عنك غطاءك ، يوم يكشف عن ساق ؛ واما التعبير بمجيئ الامر كاصل التعبير
وامثاله فمن باب ضيق العبارة والبيان فليكن بالتدبر فى هذا المقام فانه من مزال الاقدام حـم

محببتنا اياهم كالإليس الامر كذلك بل نفعله ابتداءً في التعبد لهم .
قوله سبحانه :

« ان ربك أحيى أحاط بالناس » (١٧/٦٢) أى احاط علماً بأحوالهم وما يفعلون
من طاعة او معصية وما يستحقونه على ذلك من الثواب والعقاب وهو قادر على فعل ذلك
بهم فهم في قبضته لا يقدر أن يخرجوا من مشيئته .

فصل

قوله تعالى : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة » (١١/١٠٤)
وجه التشبيه فيه بأخذه من الظالم حق المظلوم بلا مداراة فإن الله تعالى نقلهم الى جهة
عقابه بلا محاباة ونقل الشىء الى جهة الأخذ مجاز وكذلك يأول قوله ان أخذه اليهم
شديد وقوله ان بطش ربك لشديد .

قوله سبحانه :

« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » (٦/١٧) معناه ان احل بك الضر
لان المس الحقيقي ما يكون بين الجسمين و ذلك لا يجوز عليه لكن لما ادخل الباء المتعدية
جرى مجرى أن يقول يمسسك من امس واما اذا لم يكن متعدياً الى مفعولين فيكون كقوله
(مسنى الضر) .

قوله سبحانه :

« وان يمسسك الله بخير » (٦/١٧) جعل المس على الله تعالى وجه المجاز لان الخير
والشر عرضان لا تصح عليهما العماساة و اراد تعالى بذلك الترغيب فى عبادته وترك عبادة سواه
لانه المالك للنفع والضر دون غيره وانه القادر عليهما .

قوله سبحانه :

« وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون » (١٧/٦١) لا يجوز
اطلاق المنع فى صفات الله تعالى لان المنع وجوده ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر
عليه وانما جازهيها للمبالغة فى انه لا يصح وقوع الفعل فكانه قد منع والحقيقة اننا لم نرسل

بالآيات لكي لا يكذب بها هؤلاء كما كذب من قبلهم فيستحقوا المعالجة بالعقوبة . وقيل : قوله (إلا أن كذب بها الأولون) يجوز أن يكون الازائدة وتقديره ما منعنا أن نرسل بالآيات أن كذب بها الأولون أي لم يمنعنا ذلك من إرسالها بل أرسلناها مع تكذيب الأولين ومعنى أن كذب هو التكذيب كما تقول أريد أن تقوم بمعنى أريد قيامك .

فصل

قوله تعالى : «وكان الله شاكراً عليهما» (٤/١٤٦) والشكر هو الاعتراف بالنعمة وذلك لا يجوز على الله تعالى معناه لم ينزل الله مجازياً للشاكر على شكره في جميع عبادته علماً بما يستحقونه على طاعتهم من الثواب . وقيل إنما يجوز الشكر منه معنى الجزاء عليه كما قال (وجزاء السيئة سيئة مثلها) والجزاء ليست سيئة ولكن أطلق ذلك لازدواج الكلام . وقال المرتضى : إنه فاعل بمعنى مفعول ، كما يقال : رداء صاحب بمعنى مسحوب فالشاكر بمعنى المشكور .



قوله سبحانه :
مركز تحقيق العلوم الإسلامية

«والله شكور حلیم» (٦٤/١٧) الشكور في صفات الله تعالى مجاز لأنه في الأصل هو المظهر للأنعام عليه والله تعالى لا تلحقه المنافع والمضار فيكون معناه أنه يعامل المطيع في حسن الجزاء معاملة الشاكر .

قوله سبحانه :

«الجبار المتكبر» (٥٩/٢٣) معنى الجبار عزيز لا ينال باهتضام والجبار مدح الباري كما قال وذم للمخلوق قوله (ولم يجعلني جباراً شقياً) وأما قوله في صفة النبي عليه السلام (وما أنت عليهم بجبار) قال الفراء : أي لا تجبرهم على الإسلام . والصحيح أي لا تجبر عليهم لأنه لم يسمع فعال من أفعلت .

فصل

قوله تعالى : «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر»

(٥٩/٢٣) (وله الكبرياء في السموات والارض) انما يقبح تزكية النفس من الادمى لانه منقوص في كل ما يمدح به نفسه ولما قال تعالى انه كريم او رحيم او عليم ففيه كل الكرم والرحمة والعلم ولا يجتلب بمدح نفسه ولا يدفع ضراً ، وجاز ايضاً ان يمدح نفسه ليعرفها ايضاً خلقه ليعبد ويعظم .

قوله سبحانه :

« ولكن الله يهدي من يشاء من عباده » (١٤/١٣) وقوله (هذا عطاؤنا فامنن) وقال الطوسي : انما يقبح الامتنان اذا كان الغرض الاذراء بالمنعم عليه فاما اذا كان الغرض تعريف النعمة وتعييدها واعلامه وجوبها ليقابلها بالشكر فيستحق بها الثواب والمدح فانه نعمة اخرى وتفضل اخرى يستحقون بها الشكر . وقال نعلب : اجمع اهل اللغة كلهم ان المن من الله محمود لانه نعمة وتفضل واصول النعم كلها منة والمن من الخلق تقريم وتوبيخ . قوله (يامنون عليك ان اسلموا) الآية

قوله سبحانه :

« ما لكم لا ترجون لله وقاراً » (٢١/١٢) المراد ههنا سعة مقدوراته . وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك : اي عظمته . ويقال : اي لا تخافون الله تعظيماً وتوقيراً . قال ابو ذؤيب : اذا السعته الدبر لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب وكابل النابغة : محللتهم ذات الاله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب .

قوله سبحانه :

« انه تعالى جد ربنا » (٧٢/٣) قال ابن عباس : جد ربنا عظمته و هذا كقوله (بسم الله) وكقوله (تبارك اسم ربك) وكقوله (ويبقى وجه ربك) فتكون هذه زيادات .

فصل

قوله تعالى : « ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلاً » (٢/٢٤) وقوله (والله لا يستحيى من الحق) الاستحياء الانقباض عن الشيء في اللسان فتأويله ما قال المفضل : معناه لا يمتنع وقال غيره : لا يترك . وقال جماعة : لا يخشى لان يستحيى جاء بمعنى قوله (وتخشى الناس)

والله احق أن نخشاه .

قوله سبحانه :

«وما الله بغافل عما تعملون» (٢/٦٩) اي ليس الله بساه عن كتمان الشهادة التي لزمكم القيام بها لله تعالى اعنى اول الاية (ومن اظلم ممن كنتم شهادة عنده من الله) وقيل: انه على عمومه والمعنى انه لا يخفى عليه شئ من المعلومات لاصغرها ولا كبيرها فكونوا على حذر من الجزاء على السيئات بما تستحقونه من العقاب

قوله سبحانه :

«فاذكروني اذكركم» (٢/١٤٧) والذكر بعد النسيان، قلنا الذكر حضور المعنى فهو النفس و معناه فاذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالشكر اذكركم بالثواب اذكروني بالدعا اذكركم بالاجابة ونحو ذلك

قوله سبحانه :

«ذلك نتلوه عليك» (٣/٥١) قال الطوسي : نكلمك به ، كما يقال انشأزيد الكتاب وتلاه عمرو . وقال الجبائي : يتلوه عليك بأمرنا جبريل .

قوله سبحانه :

«هل يستطيع ربك» (٥/١١٢) اختلفوا هل يجوز أن يوصف الله تعالى بأنه مستطيع أم لا . فقال بعضهم : يجوز لقوله (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) وقال اخرون : لا يجوز لانه يوهم الحال .

قوله سبحانه :

«اولئك الذين لعنهم الله» (٤/٥٥) اللعنة الابعاد من رحمة الله عقاباً على معصيته فلذلك لا يجوز لعن البهائم ولا من ليس بعاقل من المجانين والاطفال لانه سؤال العقوبة لمن لا يستحقها فمن لعن حية او عقرباً او نحو ذلك ممن لامعصية له فقد اخطأ لانه سأل الله عز وجل ما لا يجوز في حكمته فان قصد بذلك الابعاد لاعلى وجه العقوبة كان ذلك جائزاً .

قوله سبحانه :

«ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى» (٢٠/٨٣) سأل عمرو بن عبيد الباقر عليه السلام فقال : غضب الله عقابه يا عمرو ومن ظن ان الله يغيره شيء فقد كفر انما يغضب المخلوق الذي يأتيه الشيء ويستغفره ويغيره عن الحال التي هو عليها الى غيرها فمن زعم ان الله يغيره الغضب والرضا ويحول من هذا الى هذا فقد وصفه بصفة المخلوق وسئل الصادق عليه السلام هل الله رضا وسخط : فقال نعم ولكن ليس ذلك مما يوجد من المخلوقين غضب الله عقابه ورضاه ثوابه .

قوله سبحانه :

«فلما آسفونا انتقمنا منهم» (٦٣/٥٥) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد : معنى اسفونا اغضبونا لان الله تعالى يغضب على العصاة بمعنى انهم يريد عقابهم والاسف في الاصل الغيظ من المغمم الا انه ههنا بمعنى الغضب .

قوله سبحانه :

« يا حشرة على العباد » (٣٦/٢٩) قال نعلب معناه يا حشرة عليهم لاعلينا ولاعلى رسلنا

قوله سبحانه :

«أفرأيت من اتخذ الهه هواه» (٤٥/٢٢) انما سمي الهوى الهاً من حيث ان العاصي يتبع هواه ويرتكب ما يدعو اليه . وقال الحسن : معناه اتخذ الهه بهواه لان الله تعالى يعرف بحجة العقل لا بالهوى . وقال ابن عباس : معناه أفرأيت من اتخذ دينه بهواه لانه يتخذ به لا برهان وقال ابن جبير : كانوا يعبدون العزى فاذا وجدوا ما هووا احسن منه طرحوا الاول وعبدوا الاخر .

قوله سبحانه :

«شهد الله أنه لا اله الا هو» (٣/١٦) اي أخبر بما يقوم مقام الشهادة من الدلالات الواضحة والحجج الاليفة على وحدانيته من عجب خلقه ولطيف حكمته فيما خلق و يقال : شهد الله اي علم الله . وقال ابو عبيدة : اي قضا الله انه لا اله الا هو والامانة واولوا

العلم . وقال الحسن وعمر بن عبید : ان فی الآية تقديمًا وتأخيرًا وتقديرها شهد الله انه لاله الا هو قائمًا بالقسط اى بالعدل وشهد الملائكة انه لاله الا هو قائمًا بالقسط وشهد اولو العلم انه لاله الا هو قائمًا بالقسط واولو العلم هو المؤمنون .

فصل

قوله تعالى : « كل يوم هو فى شأن » (٥٥/٢٩) الشأن الامر العظيم فمن شأنه أن يغفر ذنباً ويعرج كروباً ويرفع قومًا ويضع آخرين . وقيل : شأنه انه يعتق رقاباً ويفهم عقاباً ويعطى رغباً . ويقال : شأنه أن يخرج كل يوم نائة عساكر عسكر من الاصلاب الى الارحام وعسكر من الارحام الى الارض و عسكر من الارض الى القبور ثم يرتحلون جميعاً الى الله

قوله سبحانه :

« سافرغ لكم ايها الثقلان » (٥٥/٣١) معناه سنعمل عمل مجرد من غير شاغل واصل الفراغ الخلق يقال درهم مفروغ مضروب فى القالب وضربة فريضة واسعة وفرغ الاناء ونجوه . ويقال : اى سافرغ لكم مما وعدناكم من الثواب وأوعدناكم من العقاب ويقال : هذا كقولك للرجل وأنت غير مشغول سافرغ للنظر فى أمركم . قال جرير :

بنى عبدة انى فرغت اليكم وقد طال زجرى مانهاكم تقدمى

قوله سبحانه :

فى الفاتحة : « ملك يوم الدين » وهالك يوم الدين « ولم يجز فى سورة الناس مالك يوم الناس لان صفة ملك يدل على تدبير من يشعر بالتدبير وليس كذلك مالك لانه يجوز ان يقال مالك الثوب ولا يجوز ملك الثواب « ويجوز ان يقال ملك الروم ولا يجوز ملك . فجرت فى الفاتحة على معنى الملك فى يوم الجزاء وملك الجزاء . وجرت فى سورة الناس على ملك تدبير من يعقل التدبير .

قوله سبحانه :

« ملك الناس » (١١٤/٢) انما خص بانه ملك الناس مع أنه ملك الخلق أجمعين

لليمان لان مدبر جميع الناس قادر أن يعينهم من شر ما استعاذوا منه مع انه أحق بالتعظيم
من ملوك الناس

قوله سبحانه :

« الحق القيوم » قال مجاهد والربيع والزجاج : القيوم القائم بتدبير عباده فيما
يضرهم وينفعهم كقوله (قائماً بالقسط) وقوله (قائم على كل نفس بما كسبت)

قوله سبحانه :

« اللطيف الخبير » (٦/١٠٣) اللطافة من صفات الجوهر لانه الجزء المنفرد
والرقيق وانه بخلاف الكثيف . والمعنى الصحيح فيه انه لطيف بالتدبير والصنع .

قوله سبحانه :

« والله على كل شيء وكيل » سمى نفسه وكيلاً مع انه مالك الاشياء لانه لما
كانت منافعه لغيره لاستحالة المنافع عليه والمضار صحت الصفقة من هذه الجهة .

قوله سبحانه :

« والله غالب امره » (١٢/٢١) والغالب الذي يعلو غيره لمنعه بنفسه باصير اليه
في قبضته والله غالب كل شيء بمعنى انه غالب عليه لدخوله في مقدوره ولا يمكنه
الخروج منه .

قوله سبحانه :

« سبح اسم ربك الاعلى » (٨٧/١) الاعلى معناه القادر الذي لا قادر أقدر منه
وصفة الاعلى منقولة الى معنى الاقدر حتى لو بطل معنى علو المكان لم يبطل ان يفهم
تحقيقاً اذ هي غير متضمنة بغيرها ولم ينقل صفة الارتفاع وانما يعرف في رفعة المكان .
وأما قول قرعون (انار بكم الاعلى) فانه كذب في دعواه .

قوله سبحانه :

« ويأبى الله » الالباء هو المنع لا الكراهية .

قوله سبحانه:

«هو العلى العظيم» هو الذى يقصر مقدار ما يكون من غيره عما يكون منه وهو على ضربين احدهما عظيم الشخص والاخر عظيم الشأن ومعناه فى صفة الله ان كل شىء سواه قصر عن صفته بأنه قادر فيما يصح أن يكون مقدوراً وعالم بحيث لا يخفى عليه شىء وغنى بنفسه عن كل شىء لا يجوز عليه الحاجة

قوله سبحانه:

«الله» أخذت لفظة اله اسم جنس مثل قولنا بيت ولفظة الله اسم غالب له تعالى مثل البيت للكعبة والحقيقة فيهما انه من يستحق العبادة لكونه قادراً على خلق من ينعم عليه فيستحق عليه العبادة وقوله (ونذكرك وآلهتك) مجاز وانما قال ذلك لان الكفار كانوا يعبدونها وهم ان اخطاؤا فى العبادة فما اخطاؤا فى اللفظ فيقال انه تعالى اله فيما لم يزل ولا يزال واله الجماد والعقل ولا يجوز ان يكون تعالى اله الا لعراض ولا للجوهر الواحد لاستحالة ان ينعم عليها ما يستحق به العبادة وانما هو اله الاجسام الحيوان منها والجماد.

قوله سبحانه :

«ان تنصروا الله» (٤٧/٨) معناه ان تنصروا دينه بالدعاء اليه و اضافته الى نفسه تعظيماً كما قال (من ذا الذى يقرض الله) وقيل: معنى تنصروا تدفعوا عن نبيه (ينصركم) اى يدفع عنكم اعدائكم فى الدين عاجلاً وعذاب النار آجلاً .

قوله سبحانه :

«بل الله مولاكم وهو خير الناصرين» (٣/١٤٣) معناه لا يعتد بنصر غير الله مع نصرته فمعناه انه ان اعتد بنصرة غير الله فنصرة الله خير منها لانه لا يجوز أن يغلب وغيره يجوز أن يغلب وان نصره الثقة بنصرة الله تحصل ولا تحصل الثقة بنصرة غيره .

قوله سبحانه :

« وما النصر الا من عند الله » (٣/١٢٢) وقد ينصر المؤمنون بعضهم بعضاً وبعض المشركين بعضاً قلنا ان نصر بعض المؤمنين بعضاً من عند الله لانه بمعاونته وحسن توقيقه واما نصر المشركين بعضهم ببعض فلا يعتد به لانه بتخذلان الله من حيث ان عاقبته الى شر ما من العتاب الدائم .

قوله سبحانه :

« ان ينصركم الله فلا غالب لكم » (٣/١٥٤) اي بالموثة التي توجب الغلبة لان الله تعالى بقدر على اعطائهم ما يغلبون به كل من نازعهم ويقتلون كل من نادرهم ومن كان الله ناصرهم بالحجة لم يغلبه احد واذا غلب بالحرب فلضرب من المحنة وشدة التكليف ولو هزم قوم من المؤمنين لجازان يقال هم المنصورون اي بالحجة .

قوله سبحانه :

« الله نور السموات والارض » (٢٤/٣٥) لم يقل الله نور ولو كان نوراً في الحقيقة لم يكن الاضافة معنى لان ما كان نوراً في الحقيقة فهو نور لا شيء . كان ولو أراد على معنى الضياء لوجب ان لا يكون في شيء . من السموات والارض ظلمة بحال لانه دائم لا يزول ووجب ان يكون الاستضاءة به دون الشمس و بين انه خالق النور فقال (وجعل الظلمات والنور) فكيف يكون نوراً مع كون النور مخلوقاً وقال في آخرها (يهدي الله لنوره من يشاء) فلو أراد بذلك الضياء لما كان له معنى . وجعل لنوره مثلاً وهو المصباح في ضعفه وكيف يكون نوراً والارض والسماء في ضوئهما ولو كان نوراً لوجب ان يكون ذا اجزاء كثيرة لان النور هو المضي والمضي لا يكون الا بان ينفصل منه اجزاء يضيىء غيره بتلك الاجزاء ولو كان نوراً لم يخل من ان يحجب الظلمة والحجاب او لا يحجب شيء فان لم يحجب شيء وجب ان تكون السموات والارض في جميع الاوقات مضيئة وان حجب حجاب او منعه مانع كان كسائر الانوار ثم ان ذلك تحقيق قول الثنوية في زعمهم بالاصلين النور والظلمة . ابن عباس والزجاج : (الله نور السموات والارض) مديرا مورها . السدي : بنوره اضاءت السماء والارض . الضحاك : به تكونت الاشياء ويقال : الله واحد في سمائه وارضه ويسمى الفرد نوراً . قال الرضا عليه السلام : هاد لاهل السماء وهاد لاهل الارض

فصل

قوله تعالى : «لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار» (٦/١٠٣) تمدح

سبحانه بالاجماع وبما يقتضيه سياق الآية بنفى ادراك الابصار الذي هو رؤيتها وهذا التمدح راجع الى ذاته لان الادراك ليس بمعنى فيتمدح بان لا يفعله على سبيل التفضيل وكل ما تمده بنفيه على هذا الوجه لا يكون اثباته الانقضاء وهو جوباً ذمياً وهو يتعالى عما يوجب الذم والنقص الا ترى انه تعالى لما تمده بنفى صاحبة والولد والسنة والنوم في قوله (ما يتخذ صاحبة ولاولداً ، ولا تأخذه سنة ولا نوم) لم يجز اثبات شئ من ذلك في حال من الاحوال لاقتضائه الذم والنقص كذلك هي هنا يوضح ذلك ان قبل الآية (بديع السموات والارض ، انى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شئ ، وهو بكل شئ عليم ، ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ ، وهو على كل شئ وكيل ، لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) فتمدح سبحانه بما تضمنته هذه الايات من صفاته على حد واحد لا يختلف فيه الحال وكل ما كان نفيه مدحاً فلا يكون اثباته الا ذمياً عند اهل اللسان الرضا عليه السلام : لاتدركه اوهام القلوب فكيف تدركه ابصار العيون . الصادق عليه السلام : اى احاطة الوهم الا ترى الى قوله (قد جائكم بصائر من ربكم) يقال فلان بصير بالدراهم والثيراب والجوارح والاشعار . أبو جعفر الثانى عليه السلام : اوهام القلوب اذق من ابصار العيون أنت قد تدرك بوهامك البلدان التى لم تدخلها ولا تدركها ببصرك فأوهام القلوب لاتدركه فكيف تدركه الابصار . صاحب :

قالت : فقل لى ابصار تدركه فقلت جل عن الابصار بالعقل

اجمعوا على أن النبى عليه السلام قال : يامن برى ولا يرى وهو بالمنظر الاعلى . وكتب احمد بن اسحق الى أبى الحسن الثالث عليه السلام يسأله عن الرؤية فكتب جوابه ليس تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئى هواء ينفذه البصر فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصح الرؤية وفى وجوب اتصال الضياء بين الرائي والمرئى هواء ينفذه البصر والله يتعالى عن الاشياء فثبت انه لا يجوز عليه سبحانه الرؤية بالابصار . وقيل للرضا عليه السلام : ان رجلاً رأى ربه فى منامه فما يكون ذلك فقال ذاك الرجل رجل لادين له ان الله عز وجل لا يرى فى اليقظة ولا فى المنام ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة . ابو سعيد الواعظ فى رجال الصوفية قال امير المؤمنين عليه السلام : سلونى قبل أن تفقدونى

فقال ذعلب : هل رأيت ربك ؟ فقال عليه السلام : ما كنت أعبد رباً لم أره ، قال : كيف رأيت ؟ قال : لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فصاح ذعلب وخر مغشياً عليه . الصادق عليه السلام : وقد سأله اعرابي هل رأيت ربك حين عبدته ؟ فقال عليه السلام : لم أكن أعبد رباً لم أره ، فقال كيف رأيت ؟ قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان بل رأته القلوب بحقائق الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالايات والدلالات منعوت بالعلامات لا يجوز في قضيته هو الله لا اله الا هو ، فقال اعرابي : (الله اعلم حيث يجعل رسالاته) .

قالوا نرى معبودنا و جاروا	اذ قال لا تدركه الابصار
لا يبصر الانسان ما يراه	الا اذا حساذاه او وازاه
يراه اذ اراده في المكان	يقدر ان يشير بها لبيان
لصاحب : لو كان محسوساً بعيني ناظر	لسكان ملموساً بكفى زائر

فصل في حقيقة كماله

قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » (٢٣/٧٥) فقوله وجوه لا يخلوا اما ان يراد به الوجه او العين او الجملة فالاول لا يجوز لان الوجه لا يرى ولا ينتظر ولا يكون رأياً على الحقيقة فلا يصح حمله على اي وجه صرفت الابسة اليه يدل عليه انه لا يجوز أن يقول رآه وجهي ولا يجوز الثاني لان العين لا توصف بالنضارة التي هي الاشرار ولان العين في الحقيقة ليست بناظرة لان الناظر و الرائي انما هو الجملة اذ العين آلة يرى بها فلم يبق الا أن المراد به الجملة وبين ذلك قوله في نظيره (ووجوه يومئذ باسرة تظن) والظن انما يرجع الى الجملة ولا يصح أن يكون المراد حقيقة الوجه من حيث وصف بالنضارة والبسور اذ ذلك جاء صفة الوجه والجملة توصف بذلك يقال فلان عبوس كالح فهو بسر وبسير واشباه ذلك وقوله (يومئذ) والخصم لا يثبت ذلك الا في الجنة لانه من الفضال التي يختص بها المؤمن وهيئنا في صفة القيامة وقوله (ناظرة) النظر النامل وهو لازم (انظر كيف ضربوا لك الامثال ، وانظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) وقد يتعدى هذا بالجار نحو (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ،

أولهم ينظروا في ملكوت السموات). والانتظار: غير ناظرين اناء وما ينظر هؤلاء.

حسان: وجوه يوم بدر ناظرات الى الرحمن ياتى بالفلاح
الكعبية: وشعث ينظرون الى بلال كما نظر الأطباء حيا الغمام
البعيث: وجوه بهاليل الحجاز على الندى الى مالك ركن المعارف ناظرة
والمهيلة: (فناظرة الى ميسرة، فناظرة بم يرجع المرسلون، انظرني الى يوم
يبعثون، انظرونا نفتبس من نوركم) وانظرنا نخبرك اليقيناً. والرحمة: أنظر الى نظر
الله اليك، وفلان ينظر لفلان، وهو حسن النظر له، ولا ينظر اليهم يوم القيامة والاهلاك:
نظر الدهر الى بنى فلان. قال الشاعر: نظر الدهر اليهم فاضمحلوا.

والتحديق: نحو الشيء طلباً للرؤية لانهم يثبتون النظر دون الرؤية قولهم نظرت
الى الهلال فلم أره وما زالت انظر اليه حتى رأيته، وانظر حتى ترى، ولولا انى كنت
انظر لما رأيته، ونظرت اليه فوجدته جالساً. ولا يقال نظرت الى زيد متعرباً كما يقال
رأيته متعرباً والله تعالى راي. ولا يقال ناظر لان النظر تغليب المحذقة الصحيحة نحو
المرمى لطلب الرؤية، ونظرت اليه نظراً راض، ونظر غضبان. ونظر أشزرا، ونظر بمؤخر
عينه، وقد اُحد اليه النظر، ينظرون اليك نظر المغشى عليه.

شاعر: نظروا اليك باعين محمرة نظر التيوس الى شفار الجبازر
غيره: ونظرة ذي شجن وامق اذا ما الركائب جاوزت ميلا
والنظر يتعدى بالى، والرؤية وامثالها بنفسها يقال نظرت اليه ورأيته. قال الله
تعالى (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) والقول بذلك يؤدى الى مناقضة قوله
(لا تدركه الابصار) اذ ذاك عموم لاتخصيص فيه ولانه تمدح به كما تمدح بقوله (وهو
يدرك الابصار) فهو اذا جار فى عموم الاوقات مجراه لان زوال ما يوجب المدح نقص
ولا يجوز الى ربها ناظرة لها لان التخصيص لا يقع الا بما يشتهى الامر فيه فكيف بما لا
يقتضيه ونمط هذه الآية وما يتعقبه لا ينسب عنه ويبطله لانه قال فى تقيضه (ووجوه يؤمئذ
باسرة) الآية فلما اوجب الكفار خوف العقاب دون المنع من الرؤية ليتشاكل المعنيان
لانه لو قال ان المؤمنين يروننى والكافرين اعذبهم لم يكن متشاكلاً فى المعنى بل كان
معيباً عند البلغاء وقال الصاحب بن عباد: ناظرة الى ربها اى نعمة ربها لان الاله النعم
وفى واحدها أربع لغات يقال الى مثل قفا والى مثل معاً والى مثل رمى والى مثل حسبى

قال الاعشى : ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحماً ولا يخون الى
وجاء في التفسير عن ابن عباس والحسن وعمر و مجاهد وقناده والاعمش وابن جريح و ابي
صالح والضحاك والكلمى وابن المسيب وابن جبير : (وجوه يومئذ ناظرة) يعنى مشرقة
ينتظر ثواب ربها (١) وهو العروى عن النبى عليه السلام . وقال امير المؤمنين عليه السلام :
ينظرون اليه فى الآخرة كما ينظرون فى الدنيا .

فصل

قوله تعالى : دري ارنى أنظر اليك (٧/١٣٩) ليس فى مسألة الشئىء دلالة
على صحة وقوعه ولا جوازه لان السائل يستل عن الجائز والمحال مع العلم وفقد العلم
لاغراض مختلفة ثم انه سأل لقومه بعد ما اجابهم فلم يرتدعوا فاختر السبعين الذين
حضروا الميقات ليكون سؤاله بمحضر منهم قوله (يسألك اهل الكتاب أن تنزل عليهم
كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة)
وقوله (واذا قلتم يا موسى ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم
تنظرون) وقوله (فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أنهلكمنا

١ - قال الازهرى : ومن قال معنى قوله (الى ربها ناظرة) اى منتظرة فقد اخطأ ، لان
العرب لا تقول نظرت الى الشئىء بمعنى انتظر و انما تقول نظرت فلانا ، واذا قلت نظرت
فى الامر يكون بمعنى التدبر والتفكر بالقلب . و قال الراغب فى مفرداته النظر قلب البصر
والبصيرة لا ادراك الشئىء ورؤيته ، واستعماله فى البصيرة اكثر عند الخاصة . وفى البرهان
عن الصدوق باسناده عن ابي عبد الله (ع) قال لمعوية بن وهب ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون
سنة وثمانون سنة يعيش فى ملك الله وياً كل من نعمه ثم لا يعرف الله حق معرفته ثم قال يا معوية
ان الرؤية على وجهين رؤية القلب ورؤية البصر فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب ومن عنى برؤية
البصر فقد كذب . ولا يخفى ان الايات والروايات الواردة الدالة على الرؤية بالقلب فوق حد
الاحصاء ، والمراد هو التوجه القلبى بحيث يشاهد سبحات الوجه و بطالع حسن الجمال و
الصفاء مستغرق فيه غافلا عما سوى وجهه الكريم متصلاً بعالم النور ومتنوراً بنور القدس ناظراً
الى ربه بلا كيف ولا على جهة ، فى حال النضرة والابتهاج والبسط : تعرف فى وجوههم
نضرة النعيم ، وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا شتاء وجهه الاعلى ولسوف يرضى ، الهى هب
لى كمال الاقطاع اليك وانرا بصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتى تخرق ابصار القلوب حجب
النور فتصل الى معدن العظمة وتصير ارواحنا معلقة بهز قدسك ، الهى ما أشد شوقى الى لقاءك .
وقد بسطنا الكلام بما لا مزيد عليه فى رسالة مستقلة لقائمة

بما فعل السفهاء معنا) إضافة ذلك الى السفهاء يدل على انه كان بسببهم وانهم سألوهم مالا
يجوز عليه وقال (ارنى انظر اليك) والنظر غير الرؤية . ويقال ان موسى انما سأل ربه
ان يعلمه ضرورة باظهار بعض اعلام الاخرة التى تضطر الى المعرفة ويستغنى عن الاستدلال
فتزول عنه الدواعى والشكوك والشبهات كما سأل ابراهيم ان يريه كيف يحيى الموتى
والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك بالبصر فقال له (ان ترانى)
أى لن تعلمنى على هذا الوجه الذى التمسته منى وانه اجابه الله تعالى بأنه لا يراه بلفظ
محكم ظاهر جلى لا يحتمل التأويل عام لا تخصيص فيه ولن ترانى معناه لا ترانى ابداً
لان لن للتأييد، قوله (ولن يتمنوه ابداً) وقوله (ولن يخلقوا ذباباً) ومعلوم أنه اذا لم يره
موسى عليه السلام فالامطمع لغيره والآية بالنفى اولى من الاثبات وانه علق رؤيته بما
يستحيل كونه والشئ اذا علق كونه بما يستحيل حصوله استحال كقوله فى الكفرة
(ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) فكذلك لما علق رؤيته بما يستحيل
كونه وهذا استقرار الجمل فى حال الدكة اذ محال سكون الشئ فى حال تحركه وذلك
يوجب استحالة رؤيته فلما اتك الجمل عند سؤاله ذلك كان فيه غاية الانكار اذ كان ذلك
مما أوعده بأنه يكاد أن يحدث عند زعمهم ان لله ولداً قوله (وقالوا اتخذ الرحمن
ولداً لقد جنتم شيئاً ادا تكاد السموات يتفطرن منه) وبين أن القول بالرؤية يضاهاى القول
باتخاذ الولد بل يزيد عليه اذ قال فى اتخاذ الولد تكاد وفى الرؤية حصل فكم بين الامرين
فرقاً . قال أبو على: ولم ينزل عليهم الصاعقة الا بعد هذا السؤال وفى ذلك دلالة على أن
اصل كل سببه تجويز الرؤية على الله تعالى ويعبر برأى عن خمسة معان. بمعنى أبصر :
رأيت زيدا قائماً . وبمعنى علم: ألم تركيب فعل ربك . وبمعنى ظن . انهم يروونه بعيداً
وبمعنى اعتقد :

وانا لقوم لانرى القتل سبة اذا ما رآته عامر و سلول
وبمعنى الرأى: يقول رأيت هذا الرأى ، وهذا رأى ابى حنيفة .

قوله سبحانه :

« فلما تجلى ربه للجبل » (٧/١٣٩) التجلى هو اظهار الشئ . ومنه جلت
الماشطة العروس جلوة وقد فسر قوله (لايجليها لوقتها) اى لايعرفكم وقتها سواء وتجلى

وتجلى بمعنى واحد كما يقال تصدق وصدق وتحدث وحدث والنظر الى الشيء: يقول تجلى فلان لفلان اذا نظر اليه وتجلى المبازى للصيد اذا رفع رأسه ناظراً اليه فالاول غير جائز على الله تعالى لان الظهور والكمون تغير وهو من صفات المحدث واو اراد تعالى ذاته لم يكن لذلك معنى لان المتجلى يكون اما بمقابلة أو ظهور فلو اريد به المقابلة فصار الجبل دكا وجب أن يستقر له مكان في العرش وغيره بل يصير دكا وان اراد ظهوره لكان لا يصح لانه تعلق نفى الرؤية بأن لا يستقر الجبل والمعلوم انه لا يستقر بأن ينكشف له ويرى لان ذلك في حكمه أن يجعل الشرط في أن لا يرى ما يوجب أن يرى وذلك متناقض. ويحتمل انه لما أظهر الله تعالى للجبل من آيات الآخرة صار الجبل دكا اذ قد بينا ان ظهوره ظهوراً يانه كما قال الحسن: تجلى ربه بداله نور العرش. وفي رواية تجلى الله علماً من اعلام يوم القيامة فاقطع الجبل ويحتمل أن يكون في الكلام تقديم وتأخير فيكون معناه فلما تجلى موسى للجبل اى فلما رفع رأسه ناظراً اليه جعله ربه دكا وذلك انه قال انظر الى الجبل فان استقر ونظيره (الم تر الى ربك كيف مد الظل) وتقديره الم تر الى الظل كيف مده ربك.

فصل

قوله تعالى: «واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه» (٢/٢٢٣) (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه، فمن كان يرجو لقاء ربه) التعلق بظواهرها لا يصح لان اللقاء عندهم افضل ثواب الله والله تعالى حذرهم من لقاءه بعد الامر باتقائه وهم متى ما اتقوه لقوه بزعمهم ومتى ما لم يتقوه لم يلقوه فالتوعد بذلك لا يصح عندهم لانه من افضل الثواب. ولو كان اللقاء الرؤية لرآه المؤمنون والكافرون لانه أخبر أنهم الذين يعلمون ويعتقدون أنهم ملاقوا الله وعندهم انه انما يراه المستحقون لثوابه وليس احد يعلم يقيناً انه مستحق للثواب فاذا لم يجز ان يعلم احد انه يراه صح ان العلاقة غير الرؤية والعلاقة مفاعلة من اللقاء واصله استقبال الشئين احدهما للآخر، يقال دارى لقاء داره ويستعمل في الرؤية لاستقبال الراى العرئى والظاهر يقتضى انهم يستقبلون الله والله يستقبلهم ولو تركوا الظاهر سقط تعلقهم وان كانت العلاقة استقبال احداً للشئين الاخر فلا معنى للتوعد به لانها لا يوجبان تعذيراً ولا تخويفاً وظاهر اللفظ يوجب انهم يعلمون انهم يلقونه في الوقت

لانه اخبر أنهم يعلمون أنهم ملاقوه ولم يقل سيلقونه في الآخرة ، ومتى قلت فلان يلاقى فلاناً فانه يجب للبحال واذالم يكن في الوقت كذلك سقط التعلق ولايرد الى الاستقبال لانه عدول عن الظاهر واللقاء مجاز في الرؤية لانه يستعمل في ممارسة الشيء وان لم يصح الرؤية عليه . يقال : لقيت منه شراً وبرحاً ولقيت منه الامرين (لقدلقينا من سفرنا هذا نصيباً ، ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه)

فمن يلق خيراً بحمد الله امره يلاقى كما لاقى مجير ام عامر وعلى سبيل التواعد يجب ان تلقى الامر (فذوقوا بما لقيتم) وقال الذين لا يرجون لقاءنا ، فويل للذين يظنون أنهم ملاقوا الله ، واعلموا انكم ملاقوه) و اذا كان مجازاً لم يجز رده اليها الابدليل ومتى منع الجرى على ظاهره وجب رد المعنى الى ما يصح الجرى عليه كقوله (واسئل القرية ، فاني الله بنياهم) يؤكد ذلك قوله (فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه) معناه يوم يلقون جزائه لان المتأففين لا يرون الله عند احد من اهل الصلاة وكذلك قوله (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) الى آخر الآية معناه اذ وقفوا على جزاء ربهم لان الكفار لا يرون الله عند احد من الامة ويستحيل الرؤية لموجب كون العرمتى جسماً كثيفاً باكتف من شعاع العين في محاراة مخصوصة متوسطة في القرب والبعد من الراى فلما استحال عليه ما به تصح الرؤية استحالت الرؤية عليه فوجب صرف ما ينفي عنه من الالفاظ الى غيره وقد فسر الله تعالى بما لا اشكال فيه ان جميع الناس يلقونه ثم بين كيفية اللقاء من سرور او ثبور .

قوله سبحانه :

« قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى اذا جائتهم الساعة بغتة قالوا يا حشرتنا على ما فرطنا فيها » (٦/٣١) اي خسر هؤلاء الكفار الذين كذبوا بقاء ما وعد الله به من الثواب والعقاب وجعل لقاءهم لذلك لقاءه تعالى مجازاً كما يقول المسلمون لمن مات منهم لقد لقي الله وصار اليه يعنون لقاء ما يستحقه من الله كما قال (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقونه فقد رأيتموه و انتم تنظرون) والموت لا يشاهد اي رأيتم اسبابه و انتم تنظرون

فصل

قوله تعالى : « للذين احسنوا الحسنى وزيادة » (١٠/٢٧) الظاهر انه لا دلالة

على ما قالوه لان الزيادة لاتعقل بمعنى الرؤية فاذا لايجوز ان يخاطب الله عباده بما ليس في لغتهم الا مع البيان لذلك وانما يصح ذلك في الشرع من حيث لم يكن لعمامته في اصل اللغة اسم موضوع وليس كذلك الرؤية ولا بيان هيئتها واما حمل الآية على الحديث المروي عن ابي بكر فاسناده غير مرضي ثم ان رد ذلك الى مخصوص جائز ماله برده اللغة والاصول فاللغة تنفي ذلك لان الزيادة على الشيء لا تكون الا من جنس ذلك الشيء الا ترى انه لايجوز ان يقول له عشرة دراهم وزيادة ثم تكون الزيادة ثوباً وان الزيادة على الشيء لا تكون افضل من الشيء المذكور بل تكون دونه فلما كانت رؤيته افضل من جميع الثواب ومن الجنة لم يجز ان يكون المراد بلفظ الزيادة الرؤية وقوله (الذين احسنوا الحسنى) مثل قوله (للذين اساءوا السوء) فمعنى الحسنى الثواب ومعنى السوء العقاب ومعنى الآية مفسر في القرآن في مواضع وهو انه يعنى به ان للمحسن جزاء احسانه وزيادة تحصل له لاستحقاقها بفعله كما قال : (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ، ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله) فبين ان الزيادة من فضله ولم يقل من رؤيته ولا معدل عما بينه الله وقد فسره المفسرون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقناده : الحسنى الثواب المستحق والزيادة التفضل على قدر المستحق على طاعاتهم من الثواب وهى المضاعفة المذكورة في قوله (فله عشر امثالها) وقال ابو صالح والكلبي نحو ذلك وقيل ما باتيهم في كل وقت من فضل الله مجدداً . الباقر عليه السلام : الزيادة هى ما أعطاهم الله من النعم في الدنيا لايحاسبهم به في الآخرة . امير المؤمنين عليه السلام : الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب .

قوله سبحانه :

« كَلَّا اِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ » (٨٣/١٥) ايس في الآية ذكرها و لا محجوبين اثبات لكونهم غير محجوبين لان اللفظ لا يدل عليه ولا ينسب عنه والمتروك ذكره لا يدل على انه بخلاف المذكور بل يكون موقوفاً على الدليل على ان ما ذكر انهم محجوبون عنه في يوم القيامة وعند القوم لا يراه احد في ذلك الوقت بل الكل محجوبون ولو كان منعاً عن الرؤية لناقض قوله (ولو ترى اذ ذوقوا عذاب ربهم) فهذه تخبر عن وقوفهم عليه وتلك تخبر عن كونهم غير محجوبين عنه . ويأتى لفظ الحجاب فيما هو ابلغ من الرؤية فيقال : فلان محجوب عن الارث اذا كان من لاجله لا يستحق الارث ، وفلان محجوب عن ماله اى ممنوع من التوصل اليه وعلى هذا تأويل الآية على ان الاستدلال بالآية مبنى على دليل الخطاب وهو باطل .

فصل

قوله تعالى: « ما كذب الفؤاد ما رأى » (٥٣/١١) تعلقهم بذلك فاسد لان التدلى في اول الآية انما هو النزول لا الصعود يقال : ادليت الدلو وتدلى الشيء وتدليت من السطح قوله (واقدر آه نزلة) اى نزولا ليعلم ان تدلى بمعنى النزول واو لم يكن كذلك لم يصح قوله (نزلة اخرى) والاول ليس بنزلة وقوله (واقدر آه نزلة اخرى) يوجب انه رآه مرتين وليس ذلك مذهبهم وقوله (لقد رأى من آيات ربه) ولو كان كما زعموا لقال ربه و قد فسر المخالفون قوله (لا تدركه الابصار) انه فى الدنيا وعندنا انه فى الدنيا والعقبى فعلى قول الجميع لا يجوز ان راه احد فى الدنيا فكيف يفسر آية بما يبطل هذه الآية ونمط الآية يبطل قولهم كما قال (وما ينطق عن الهوى) فبين انه وحى والموحى اليه انما هو جبريل وبين انه شديد القوى ذو مرة اى عقل فاستوى اى عقل (وهو بالافق الاعلى) يعنى بالسماء العليا (ثم دنى فتدلى) اى نزل (فكان قاب قوسين او ادنى) اى كان جبريل من محمد على هذا المقدار (فاوحى الى عبده ما وحي) يعنى جبريل الى النبى عليه السلام (ما كذب الفؤاد ما رأى) لم يكن فيه ما رأى شبهة يرتاب بها بل كانت رؤية صحيحة وهذا كله من صفات الاجسام لم قال : (واقدر آه نزلة اخرى) يعنى بها (عند سدرة المنتهى) وزعموا ان السدرة فى الجنة فيجب ان يكون راه فى الجنة فتارة يقولون انه راه على العرش وتارة يقولون انه رآه فى الجنة على انه لم يقل فى الجنة ولكن قال (عندها) ومعنى ذلك كقوله (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظالماً) ثم قال : (ما زاغ البصر وما طغى) اى لم يزغ فى رؤيته ولم يكن فيه مخطئاً . ثم قال : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فبين انه رأى الكبرى من آيات ربه . (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب) الآية بين انه لا يجوز ان يكلم احد الا على هذه الوجوه الثلاثة فلا يجوز ان يكلمهم مخاطبة ومشافهة . وروى الترمذى فى صحيحه : قال مسروق دخلت على عائشة . فقلت : هل رأى محمد ربه فقال : لقد تكلمت بشئى . قف له شعرى . فقلت : رويداً ثم قرأت (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فقالت : اين يذهب بك انما هو جبريل ثم قالت بعد كلامه لكنه رأى جبريل لم يره فى صورته الامرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة فى اجيادله ستمائة جناح قد سد الافق . ابوذر سئل رسول الله صلى الله عليه وآله ا رأيت ربك ؟ فقال عليه السلام : انور ان اراه . ابن عباس : (ما كذب

الفؤاد هاراي) قال رآه بقلبه. وروى المفسرون عن ابن عباس وابن مسعود والحسن و
عائشة ومسروق وعمر بن دينار ومعمرو وهشام بن عروة : نحو ما قلناه من الوجوه. قال الجبائي
في قوله (لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا) الكفار مجسمة فلذلك جوزوا الرؤية عليه
وكذلك اليهود حيث قالت (ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وقد تكون الرؤية في النوم
والرؤية بالقلب فاذا قل جهرة لم يكن الرؤية العين على التحقيق.

قوله سبحانه :

« واذ قلتم يا موسى لن قومك لك حتى نرى الله جهرة » (٢/٥٢) استدل
البلغنى بهذه الآية على ان الرؤية لا تجوز على الله تعالى لانها انكار تضمن امرين ردهم على
نبيهم وتجوزهم الرؤية على ربهم ويبين ذلك قوله (قد سألوا موسى اكبر من ذلك) فدل
ذلك على ان المراد انكار الامرين.

فصل

قوله تعالى « فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون » (٢/٢٠) اي تعلمون ان
الانداد التي تعبدونها من الاصنام وغيرها لا تضرو ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر والمشركون
لا يعترفون ان الاصنام خلقت السماء والارض من دون الله فالوصف لهم هيننا بالعلم انما
هو لتأكيد الحجة عليهم ليكونوا ضيق عنذراً ويقال وانتم تعلمون اي تعقلون ان من كان
بهذه الصفة فقد استوفى شروط التكليف وضاق عذره في التغلف عن النظر واصابة الحق
كما قال (انما يتذكر اولوا الالباب) وقال مجاهد : المراد بذلك اليهود والنصارى خاصة
ومعنى (وانتم تعلمون) اي انكم تعلمون في التوراة والانجيل أنه اله واحد . شريح بن
هانئ : ان اعرابياً قام يوم الجمل الى امير المؤمنين عليه السلام : فسأله عن التوحيد فقال
الناس اما تراه في تقه القلب ، فقال عليه السلام : دعوه فان الذي يريد الاعرابي هو الذي
تريده من القوم ، ثم قال : يا اعرابي ان الكلام في ان الله تعالى واحد ، على اربعة اقسام ،
فوجهان منها لا يجوز ان على الله تعالى ، ووجهان يشبها فيه ، فاما اللذان لا يجوز ان عليه ؛
فقول القائل واحد يقصد به باب الاعداد فهذا لا يجوز عليه ، لان ما لا ثاني له لا يدخل في
باب الاعداد ، اما ترى انه كفر من قال (ثالث ثلاثة) ، وقول القائل هو واحد من الناس ،

يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز ، لانه تشبيهه وجل ربنا عن ذلك . واما الوجهان اللذان يشبتان فيه : فقول القائل هو واحد ليس له في الاشياء شبه ، كذلك ربنا . و قول القائل انه عز وجل احدى المعنى ، يعنى به انه لا ينقسم في وجوده ولا عقل ولا وهم ، كذلك ربنا . وقال متكلم : قولنا انه واحد : على اربعة اوجه : الاول واحد ليس بذى ابعاض ولا يجوز عليه الانقسام . والثاني واحد في استحقاق العبادة . والثالث واحد ليس له نظير . والرابع في الصفات النفسية . وقال امير المؤمنين عليه السلام : وكل معدود بنفسه مخلوق وكل قائم بسواه معلول .

قوله سبحانه :

«وهو الله في السموات وفي الارض» (٦/٣) اي المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض لان احل فيهما او في شىء منهما لانه لا يجوز ان يقال : هو زيد في البيت والدار ، الا ان يكون في الكلام ما يدل على ان المراد به التدبير ، كقول القائل فلان الخليفة في الشرق والغرب ، لان المعنى في ذلك انه المدير فيهما ، ويجوز ان يكون خبراً بمد خبر كانه قال (هو الله وهو في السموات وفي الارض) و قال ابو علي : ان قوله (وهو الله) قدم الكلام وقوله (في السموات وفي الارض) متعلق بقوله (يعلم سرهم وجهرهم) في السموات وفي الارض ، لان الخلق انما يكونون ملائكة فهم في السماء والانس والجن فهم في الارض فهو تعالى عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه خافية ويقويه قوله (ويعلم ما تكسبون) و قال هشام بن الحكم للمؤيد : اهما في القوة سواء قال نعم ، قال : فجوهرهما واحد ، قال المؤيد لنفسه ان قلت ان جوهرهما واحد عاد اليه نعمت واحد ، وان قلت مختلفا اختلفا ايضا في الهم والارادات ولم يتفقا في الخلق ، فقال هشام كيف لاتسلم ، قال هيئات . وقال ابو الهذيل لصالح بن عبد القدوس . على اى شىء تعزم يا صالح ، قال استخير الله واقول بالاثنتين ، قال فايهما استخرت لام لك .

شاعر : لو كان للخير سواء رب
تبنت الملك وجاء الحرب
لو كان في الخلق له نظير
لقل هذا عاجز حقير .

قوله سبحانه :

«وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله» (٤٣/٨٤) قال الدبصاني لهشام

بن الحكم : ان في القرآن هذه الآية قوة لنا ، فكتب هشام الى الصادق عليه السلام ، فاجابه : قل له ، ما اسمك بالكوفة ، فانه يقول : فلان ، قل : ما اسمك بالبصرة ، فانه يقول : فلان ، قل له : كذلك ربنا (في السماء اله وفي الارض اله) وفي البحار اله وفي كل مكان اله ، قال فاتيته واخبرته ، فقال هذا نقل من الحجاز . الفضل بن شاذان : قال ثنوي للرضا عليه السلام اني اقول : ان صانع العالم اثنان ، فما الدليل على انه واحد ، فقال عليه السلام : قولك اثنان دليل على انه واحد ، لانك لم تدع الثاني الا بعد اثباتك الواحد ، فالواحد مجمع عليه واكثر من ذلك مختلف فيه .

قوله سبحانه :

«وما من اله الا الله» (٣٨/٦٥) دخول من فيه يدل على عموم النفي لكل اله غير الله . ولو قال : ما اله الا الله لم يقد ذلك وانما افادت من هذا المعنى لان اصلها لا ابتداء الغاية فدللت على استغراق النفي لا ابتداء الغاية الى انتهائها . وقال ثنوي لهشام بن الحكم : انا اقول بالاثنتين : فقال حفظك الله ، يقدر أحدهما يفعل شيئاً لا يستعين به صاحبه عليه . قال نعم قال : فماترجوا من اثنتين واحد خلق كل شيء . ابو الخير فاذا شاء : تبارك الله العزيز الفرد من ان يرى ضده او ند

قوله - سبحانه :

«ليس كمثله شيء» (٤٢/٩) معناه ليس مثله شيء ، على وجه من الوجوه وتكون الكاف زيادة تقديره ليس مثل الله شيء ، من الموجودات والمعلومات . قال اوس : و قتلى كمثله جذوع النخيل يغشاهم سبيل منهم . وقال المرتضى : الكاف ليست زائدة وانما نفى ان يكون امثله مثل فاذا ثبت ذلك علم انه لا مثل له لانه لو كان له مثل لكان له امثال وكان له امثله مثل لان الموجودات على ضربين عالاً مثل له كالقدرة وماله مثل كالسواد والبياض وأكثر الاجناس فله ايضاً امثال وليس في الموجودات ماله مثل واحد فحسب فعلم بذلك انه لا مثل له اصلاً من حيث لا مثل امثله ويقال اي ليس كهو شيء . فأدخل المثل تو كيداً كقوله (مثل الجنة التي وعد المتقون) اي مثل الجنة كقوله (فيها انهار) وقالوا الكاف زيادة معنى وذلك ان التشبيه يقع بمثل وبالكاف فأراد الله تعالى ان يبين انه منزّه عن التشبيه انه كشيء ، او مثل شيء .

قوله سبحانه :

« أم اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون » (٢١/٢١) (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا) معنى ذلك انه لو صح الهان او آلهة لصح بينهما التمانع فكان يؤدي ذلك اذا اراد احدهما فعلا وأراد الاخر ضده، اما أن يقع مرادهما فيؤدي الى اجتماع الضدين او لا يقع مراد هما فينتقض كونهما قادرين : او يقع مراد أحدهما فيؤدي الى كون الاخر غير قادر وكل ذلك فاسد .

قوله سبحانه :

« قل هو الله احد » سأل ابو هاشم الجعفرى ابا جعفر الثانى عليه السلم : عن معنى الاحد . قال : المجمع عليه بالوحدانية : اما سمعته يقول (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) : ثم يقولون بعد ذلك له شريك وصاحبة . ابو الطفيل الكنانى : سألت رسول الله صلى الله عليه واله : عن ادنى التوحيد ؟ فقال عليه السلم : ان الله لا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء . وكل ما وقع فى الوهم فهو بخلافه . ابن مسعود : سألت عن التوحيد فقال (ع) التوحيد ظاهره فى باطنه وباطنه فى ظاهره ، فظاهره موصوف لا يرى ، وباطنه موجود لا يخفى ، لا تخلو منه مكان ، ولا يخفى عليه شىء ، ظاهره غير محدود . وباطن غير مفقود . وسئل امير المؤمنين عليه السلم عنه : فقال التوحيد ان لا تتوهمه ، والعدل ان لا تنهمه : وسئل الصادق عليه السام عنه فقال هو أن لا تجوز على ربك ما جاز عليك والعدل ان لا تنسب الى خالقك ما لامك عليه . وسئل الصادق عليه السلم عنه : فقال : كل ما احاط به وهمك وجذبه تفكيرك اصابته بالحواس فالله جل جلاله بخلاف ذلك .

فصل

قوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة » (٥/٧٧) قوله ان الله واحد ثلاثة اشياء مناقضة : لان الواحد من لا بعض له ، وثلاثة ماله بعض . فكانهم قالوا : لا بعض له وله بعض وينزل منزلة قول القائل فى الشىء الواحد : انه موجود معدوم قديم محدث وكل ما سوى الله فهو غير واحد . لانه اما ان يكون بالصفة والتركيب كالعدد والجمع او بالصفة والصورة كالجوهر والعرض ، او بالتولد كالاصل والفرع ، او بالمكان كالعرض

والطول ، او بالهم كالعقل والنفس ، او بالاعتدال كالطبع والموت ، او في مقابله شيء ، كالمثل والشبه ، او بالعنصر كالهولي والعنصر ، او بالعدد كالمكان ، او بالمدد كالزمان ، او بالحد كالصورة ، او لقبول شيء ، كالخاصية ، اوللوههم كالمشكوك ، اوللوجود والعدم كالضد اوللوقوف . والواحد على الحقيقة هو الله تعالى وكل مخلوق بنفسه اثنان : جسم وروح ومن اثنين من ذكر وانثى ، وباتنين : بالطعام والشراب وفي اثنين في الليل والنهار ، وبين اثنين بين السماء والارض ، مع اثنين مع الشمس والقمر ، ولاتخلوا من اثنين الحركة والسكون ، وكذلك من الغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والنور والظلمة ، والبر والبحر . والله تعالى واحد وحداني ليس معه ثاني . ومر الحسن بن علي عليهما السلام على قاض يقول : سلوني قبل ان تفقدوني ، فقال دعوى لانيهه ، ثم قال له : شعرات راسك شفع اموتر ، فتحير الرجل فسئل الحسن عليه السلام عن ذلك : فقال شفع ، لقوله (ومن كل شيء خلقنا زوجين) ، والفرد هو الذي لا شريك له .

قوله سبحانه :

«لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ : آية الكرسي» رد على جميع الكفرة (فالله) رد على الدهرية لان فيه اثباتاً وانهم قالوا بالنفي اصلاً (لا اله الا هو) : رد على الثنوية ، لانهم قالوا الله خالق كل الخير ، وابليس خالق الشر وهو شريك الله ، (الحي) رد على من عبد صنماً او وثناً (القيوم) : رد على اصحاب الطبايع حيث قالوا بالكمون والظهور . (لاناخذهم سنة ولا نوم) رد على من قال بالمية عزيز وعيسى ، ورد على جهم فانه قال انه عالم بعلم محدث ، فيجوز عليه السهو . (له ما في السموات وما في الارض) : رد على المفوضة انه خلق العالم وفوض امره الى شخص محدث ، وعلى من قال (ان الله فقير ونحن اغنياء) (من ذا الذي يشفع عنده) رد على من نفى الشفاعة . (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) : رد على الجبرية حيث قالوا انه عالم بعلم وقادر بقدره . (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) رد على الكهنة والمنجمين فيما يعتقدونه في الكواكب . (وسع كرسيه السموات والارض) رد على الفلاسفة حيث قالوا العالم ارض وافلاك فقط . (ولا يؤده حفظهما) رد على اليهود في قولهم ان الله اعبا بخلق اولهم فاستراح يوم السبت ، (وهو العلي العظيم) رد على الثنوية لثبوت التمانع .

قوله سبحانه :

«وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً» (١٧/١١١) فيكون مربوباً (ولم يكن

له شريك في الملك) فيكون عاجزاً محتاجاً الى غيره ليعينه (ولم يكن له ولي من الدن)
اي لم يكن له حليف حالفه ينصره على من يناوئيه لان ذلك صفة ضعيف عاجز، وهذه الآية
رد على اليهود والنصارى حيث قالوا : اتخذ الله ولداً وعلى مشركى العرب حيث قالوا : نبيك
اللهم ليبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وعلى الصائين والمجوس
حيث قالوا : لو اولياء الله لذل الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً . (والحمد) في الآية ليس
هو على ان لم يفعل ذلك وانما حمد على افعاله المحموده ووجه الى من هذه صفته لامن اجل ذلك
ان ذلك صفته كما تقول أنا اشكر فلاناً الطويل الجميل ليس انك تشكره على جماله وطوله
بل على غير ذلك من فعله

قوله سبحانه :

« ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » (٧/١٧٩) وقوله (قل ادعوا الله وادعوا
الرحمن ايأما تدعوا فله الاسماء الحسنى) انما امره بذلك لان مشركى قومه لما سمعوا
النبي عليه السلام يدعوا ربه تارة بانه الله وتارة بانه الرحمن ظنوا انه الهين حتى قال بعضهم
الرحمن رجل باليمامة فانزل الله هذه الآية احتجاجاً لنبيه عليه السلام بذلك وانه شىء
واحد وان اختلف اسمائه وصفاته وقال نافع بن الازرق لابن عباس تفتى في النملة والقملة
صف لنا الهك الذى تعبد به فقال الحسن بن على عليه السلام : يا نافع من وضع دينه على
القياس لم يزل الدهر فى الارتماس ما يلا عن العنجاج ظاعناً فى الاعوجاج ضالاً عن السبيل
قائلاً غير الجميل يا بن الازرق اصف الهى بما وصف نفسه واعرفه بما عرفه نفسه لا يدرك
بالحواس ولا يقاس بالناس فهو قريب غير ملتصق وبعيد غير منفصل بوحده ولا ببعض معروف
بالايات موصوف بالعلامات لا اله الا هو الكبير المتعال *

فصل

قوله تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً » (١٩/٩١) هو الغنى المعنيون بذلك
طائفتان احدهما كفار العرب فانهم قالوا الملائكة بنات الله واخرى النصارى الذين قالوا
المسيح ابن الله فكذب الفريقين فقال فى العرب (فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون الايات)
وقال قتادة والسدى : كانت قريش تقول الملائكة بنات الله فنزلت الآية على وجه التقرير ان

يقول كيف يكون لربك البنات يا محمد ولهم البنون مع قوله تعالى (إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً، وقلوبه الصطفى البنات على البنين) ومن اصطفى الادون على الافضل مع القدرة كان ناقصاً. ومن ابن علموا ان الملائكة انثى اشهدوا خلق الله لهم فرآهم اناناً على انهم من افكرهم ليقولون ولد الله انما يتخذ الولد من يجوز أن يكون مثل ذلك قد ولد وذلك مستحيل ولذلك استهزى بمن قال الملائكة بنات الله فقبل من امهن واما جواب النصارى فقد ذكرناه فى الفصل الاول.

قوله سبحانه:

«وقالوا اتخذوا رحمى ولداً سبحانه بل عباد مكرمون» (٢١/٢٦) لا يجوز عليه تعالى التبنى لان التبنى اقامة المتخذ ولد غيره مقام ولده لو كان له فاذا استحال ان يكون له تعالى ولد على الحقيقة استحال ان يقوم ولد غيره مقام ولده فلذلك لا يجوز ان يشبهه بخلقه على وجه المجاز لما لم يكن مشبهاً به على الحقيقة وحقيقة الولد من ولد على فراشه او خلق من مائه ولذلك لا يقال «تبنى الشاب شيخاً» ولا تبنى الانسان بهيمة، ولما استحال ان يكون ذلك صار هذه الحقيقة مستحيلة فيه ولا يجوز ان يقال اتخذه ولداً اذا اختصه بضرب من المحبة لان ذلك اخراج الشئ عن حقيقة كما ان تسمية مائيس بطوبيل عريض عميق جسماً اخراج له عن حقيقة.

قوله سبحانه :

«واتخذ الله ابراهيم خليلاً» (٤/١٢٤) اما الخلقة فقد جازت عليه تعالى لاحد شيئين : احدهما ان الخلقة اخلاص المودة التى توجب الاختصاص بتخليل الاسرار فلما جاز ان يطلع الله تعالى ابراهيم عليه السلام على امور لا يطلع عليها غيره تشريراً له اتخذه خليلاً على هذا الوجه ، والثانى ان الخلقة بالفتح هى الحاجة ، قال زهير : و انت انا خليل يوم مسغبة . و انما اختص ابراهيم عليه السلام بذلك لانقطاعه عن الخلق و توكله على الخالق .

فصل

قوله تعالى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قواوا أسلمناو»

لما يدخل الايمان في قلوبكم » (٤٩/١٤) الايمان هو التصديق بالقلب ولا اعتبار بما يجرى على اللسان وهو في وضع اللغة التصديق وليس باسم لافعال الجوارح يقال فلان يؤمن بكذا ، وقال الله تعالى (لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وقال (يؤمنون بالحبب والطاغوت) وقال (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) اي بمصدق في الحق ، وقال (من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وقال : (وقلبه مطمئن بالايمان) وقال (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) كذبهم الله مع اظهار الشهادة ، وقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) و قال (والذين آمنوا ولم يهاجروا مآلهم من ولايتهم من شيء) اخبر انهم مؤمنون وان لم يهاجروا ، وقال (ومن يأنه مؤمناً قد عمل الصالحات) يدل على انه يكون مؤمناً وان لم يعمل الصالحات ، وقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فرق بين الايمان والاعمال وقال (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، الى قوله : انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم ، فسامهم في حال البغي والمعصية اخوة للمؤمنين ، وقال (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون) بجادلوك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون) حكى عنهم كراهة الحق والجidal فيه بعد وضوحه مع تسميتهم بالايمان وقال (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) العمل لا يطاق الا على افعال الجوارح لانهم لا يقولون عملت بقلبي و انما يقولون عملت بيدي او برجلي ثم ان هذا مجاز بحمل على الضرورة وكلامنا مع الاطلاق . قال سعيد بن جبیر: جاء بنو اسد الى النبي عليه السلام في سنة جدبة واظهروا الاسلام يطلبون الخير فاخبر الله سبحانه بذلك ليكون معجزة له فقال (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا) اي خضعنا لاسلام هو الاستسلام انس قال النبي عليه السلام: الاسلام قبل الايمان وعليه يتوارثون ويتناكحون والايمان عليه يثابون قوله سبحانه:

«فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين» (٥١/٣٥) وقوله (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) وقوله (ان الدين عند الله الاسلام) يدل على ان الاسلام هو الايمان على الحقيقة ومتى عرى عنه كان مجازاً قوله سبحانه:

«فان علمتموهن مؤمنات» (٦٠/١٠) وقوله (فتحرير رقبة مؤمنة انما اراد من

أظهر الإيمان فقط

قوله سبحانه :

« وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » (١٢/١٠٦) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وما يؤمن أكثرهم بالله في اقراره بأنه الخالق الا هو مشرك بعبادة الاوثان تقديره انهم ما يصدقون بعبادة الله الا وهم يشركون الاوثان معه في العبادة . وقال الرهاني لا تنافي بين ان يؤمنوا بالله من وجه ويكفروا به من وجه آخر ، كما قال (افتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض) . وانكره البلخي وقال : انما هو في المنافقين يؤمنون في الظاهر ويشركون في الباطن والمعنى الصحيح انه لا يؤمن أكثرهم الاواشرك في توحيد وعده .

فصل

قد استدلت المعتزلة على ان الطاعات من الإيمان بآيات منها قوله تعالى : (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) ولفظة ذلك عبارة عن الواحد فكيف يكون عبارة عن جميع ما تقدم ثم ان لفظة ذلك كناية عن التذكير والعبادات التي تقدم ذكرها انما يشار اليها بلفظة تلك وينبغي ان يكون عدة الشهور في قوله (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً) من الدين

ومنها قوله سبحانه : «بشئ الاسم الفسوق بعد الإيمان» (٤٩/١١) لا يدل على بطلان حكم الإيمان وارتفاع التسمية به وقد قال تعالى (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة) ومعلوم ان التفرقة لما حدثت بعد البينة لم تبطل حكم البينة بل كانت ثابتة على ما كانت عليه وانما اراد تعالى بعد مجيئ البينة : ثم ان هذا الاستدلال مبني على القول بالعموم ونحن نخالف فيه واذا جاز ان يكون لفظ الفسوق مخصوصاً جازاً أن يحمل على حكم الفسوق

ومنها قوله سبحانه : «وما كان الله ليضيع إيمانكم» (٢/١٣٨) اراد به التصديق الذي لا يعرف القوم في الإيمان سواء والقرآن غير ناطق بأن الإيمان المراد به الصلاة ولا معمول في مثل ذلك على اخبار احاد

ومنها قوله سبحانه: «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم»
 الآية (٨/٢) لا يقتضى نفى اسم الايمان عمن لم يكن بالصفات المذكورة فيها وانما يقتضى
 التفضيل والتعظيم فكانه تعالى قال: انما افاضل المؤمنين وخيارهم من فعل كذا وكذا
 كما يقول الرجل من يضبط نفسه عند الغضب وان كان من لا يفعل ذلك لا يخرج من
 ان يكون رجلاً .

قوله سبحانه :

«حتى اذا ادركه الفرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل»
 (١٠/٩٠) كان ذلك ايمان الجاهل لا يستحق به الثواب كما لا يستحق بالايمان الضرورى وهذا
 كقوله (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) .

قوله سبحانه :

«فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون» (٣٠/٥٧) انما
 لا يقبل معذرتهم لانهم ملجأون فى تلك الحال ولا هم يستعتبون اى لا يقبل عتبتهم ولا يقبل
 منهم الاعتاب .

فصل

وقد تعلقت الخوارج فى تكفير كل عاص بآيات منها قوله تعالى : «ومن لم يحكم
 بما انزل الله فارئك هم الكافرون» (٥/٤٨) لفظة من يعص ويخص وانما يعلم احدهما بدليل .
 ومنها قوله سبحانه : «فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى ، الذى
 كذب وتولى» (٩١/١٤) هذه الآية انما يستفاد بظاهرها ان النار المتلظية الموصوفة
 فى الآية لا يصليها الا من كذب وتولى فلماذا بعد ذلك على انه لا نار لله سوى هذه النار الموصوفة .
 ومنها قوله سبحانه : «وجوه يومئذ عليها غبرة» (٨٠/٤٠) لا يدل على ان هناك
 وجوه اقوام ليست بهذه الصفة بل بصفة اخرى اما ان يكون عليها غبرة بل سمة اخرى او بان يكون
 عليها غبرة ولا تلحقها قفرة ولودل ذلك على ما قالوه لوجب ان يدل قوله (يوم تبيض
 وجوه وتسود وجوه) على ان كل من لا يبيض وجهه من المؤمنين يجب ان يكون مرتداً

لأنه تعالى قال لهم (اكفرتم بعد إيمانكم) والخوارج لا تقول ذلك لأن من المعلوم أن ههنا كفر آمن الأصل ليسوا بمرتدين عن الإسلام .

ومنها قوله سبحانه : «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه» (٣/١٠٢) ليست من الفاظ العموم عند أحد فقير ممتنع أن يكون الله تعالى أراد بعضها أو أراد سواداً مخصوصاً بإحق الوجوه وإن لم يكن لاحقاً بها

ومنها قوله سبحانه : «وإن جهنم لمحيطة بالكافرين» (٩/٤٩) لا يمتنع من أن تكون محيطة بغيرهم أيضاً .

ومنها قوله سبحانه : «وهل نجازي إلا الكفور» (٣٤/١٦) لو اقتضى نفى المجازاة عن ليس بكفور لاقتضى أن يكون المؤمن غير مجازي بإيمانه وطاعته ويمكن أن يحمل الجزاء على الاصطلاح في الدنيا لأن الله تعالى أجرى العادة أن يعاقب بهذا الضرب من جزاء الكفار دون غيرهم كما قال (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلنا الجنة بهم جنتين) الآية ومنها قوله سبحانه : «لا تعتذروا فقد كفرتم بعد إيمانكم» (٩/٦٧) والمؤمن عندنا لا يجوز أن يكفر لأنه يؤدي إلى اجتماع استحقات الثواب الدائم والعقاب الدائم معاً لبطلان التحابط ، والاجتماع بمنع من ذلك فالوجه فيه لا تعتذروا والمعاذير الكاذبة فإنكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد أن كنتم مظهرين الإيمان الذي يحكم لمن أظهره أنه مؤمنين

ومنها قوله سبحانه : «ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً» (٤/١٣٦) المراد به من أظهر الإيمان وليس كل من أظهر الإيمان يكون مؤمناً على الحقيقة في باطنه عند الله تعالى لجواز أن يكون ما أظهره نفاقاً واقعاً عن تقليد ، والثواب إنما يستحق بالإيمان الحقيقي أو يكون بحكم الظاهر كما قال : (فإن علمتموه من مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) وكما قال : (فتحرير رقبة مؤمنة) .

ومنها قوله سبحانه : «ان الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً» (٣/٨٤) قال الحسن وقتاده وعطا : نزلت في اليهود كفروا بميسى والانجيل ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن وقال أبو العاليه : نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد بعد إيمانهم بنعمته

وصفته ثم ازدادوا كفراً بأقامتهم على كفرهم .

ومنها قوله سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله» (٤/١٣٥) أي

الذين آمنوا باللسان ظاهراً آمنوا بالجنان باطناً قال مجاهد وابن زيد : يعني بذلك اهل النفاق انهم آمنوا ارتدوا ثم آمنوا ارتدوا ثم ازدادوا كفراً على كفرهم ، وقال قتادة : عنى بذلك الذين آمنوا بموسى ثم كفروا به بأن عبدوا العجل ثم آمنوا بمنى النصارى آمنوا بعيسى ثم كفروا به ثم ازدادوا كفراً بنبوته محمد (ص) والاول اقوى ويكون خطاباً للمنافقين : وقال الجبائي والبلخي والزجاج: الخطاب لجميع المؤمنين أمرهم الله تعالى بأن يؤمنوا به في المستقبل بأن يستديموا الايمان ولا ينتقلوا عنه لان الايمان الذى هو التصديق لا يبقى وانما يستمر بأن يجدده الانسان حالاً بعد حال وهذا وجه جيد

ومنها قوله سبحانه: «ان الذين ارتدوا على أذبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى»

(٤٧/٢٧) ليس فيها ما يدل على ان المؤمن على الحقيقة يجوز ان يكفر لانه لا يمنع ان يكون المراد من رجع عن اظهار الايمان بعد وضوح الامر فيه وقيام الحجة عليه بالصحة ومنها قوله سبحانه: «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا الايمان» (٥/١٤) الاول هو التصديق والايمان الثانى : هو الاطمينان الى الصواب بفعله مع الثقة به .

ومنها قوله سبحانه: «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله» (١٣/٢٨) و

فى موضع (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) المراد بالاول : انه يذكر ثوابه وانعامه فيسكن اليه . والثانى : يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويجل قلبه .

❦ (باب ما يدخل فى ابواب العدل) ❦

مذهب الجبرينافى الاصول الخمس الا ترى انه يؤدى الى فساد معرفة شئ . من طريق الاكتساب ومعرفة الصانع والملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر وارتفاع الامر والنهى وبطلان التكليف وزوال الحمد والذم وسقوط الثواب والعقاب واذلم تقع معرفة

من طريق الاكتساب والاستدلال فالادلة باطلة والمعجزات عبث والهداية فاسدة لان من جبر على معرفة الحق يعرفه ضرورة ومن جبر على معرفة الباطل لم يعرفه بالاستدلال والاكتساب واذا فقد الاستدلال فقد معرفة الصانع لحصولها بالاستدلال وهو مبني على أن الفعل في الشاهد متعلق بالفاعل واذا فسد الاصل لم يكن الى اثباته سبيل والنبوات انما تعلم من طريق الاكتساب بأن يظهر الله على ايديهم المعجزات واذا فسد الاصل فسد الفرع ومتى ما صح بطل التكليف والامر والنهي والحمد والذم والثواب والعقاب ومتى ما بطل ذلك بطلت النبوات رأساً لانها مبنية على هذه الاصول وان الله تعالى اذا خلق بعضهم كفاراً وبعضهم مؤمنين ولا يقدر ان على التغيير فلماذا يبعث الانبياء واذا جاز ان يضل الله الحق جاز ان يبعث من يضاهيه عنه فام يؤمن ان يكون داعياً الى الضلال واذا كان جميع الافعال لله فباي شيء يؤمر وينهى ويكلف ويحث ويرغب ويرهب وهو لا يقدر على تقديم وتأخير ولا نقص وابرام ولا فعل وترك ولئن جاز تكليف من هذا حاله جاز تكليف الجماد وان الله تعالى فرق بين فعل نفسه وفعل خلقه فقال (هو الذي خلقكم فعملكم كافر ومنكم مؤمن، انا هديناه السبيل اما شاكرًا واما كفورًا ، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) وقد اُلزم على افعالهم ، فقال : ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن كفر فان الله غني عن العالمين ، قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها ، من كفر فعليها كفره ومن عمل صالحاً فلا ينفعهم بمهدون) و ذكر ان الجزاء بالاعمال ، فقال (فكلا اخذنا بذنبه ، من عمل سيئة فلا يجزى الامثالها ، فلندين الذين كفروا بما عملوا ولندينهم من عذاب غليظ ، فاولئك ما عليهم من سبيل ، انما السبيل على الذين يظلمون الناس ليجزى الذين اساءوا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى ولا تزروا وزارة وزرا اخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى ، وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ، ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ، فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً ، فمن شاء اتخذ الى ربه مآباً ، ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ،

ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً، وهل يجازى إلا الكفور، جزاء بما كانوا يعملون، جزاء بما كانوا يكسبون، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون، ليجزى الذين أسأوا بما عملوا، ليجزى الله الصادقين بصدقهم، ويجزيهم أسوأ الذين عملوا، ولا تكسب كل نفس الا عليها. لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) و اضاف افعالهم الى اعضائهم : فقال : (يعلم خائنة الاعين، فاغسلوا وجوهكم ولا تصعر خدك للناس، ما يلفظ من قول الا لديه، ذلك بما كسبت يداك وما تخفي الصدور، يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام) و امرهم بالاوامر : فقال : (آمنوا بالله ورسوله، اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم، اقيموا الصلوة وآتوا الزكاة، وأتوا البيوت من ابوابها، واستغفروا من ربكم، استطعت منهم بصوتك، واجلب عليهم بخيلك ورجلك، وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم، اعملوا ما شئتم، وليقتروا ما هم مقترفون، اصبروا وصابروا ورابطوا، واقتلوهم واحصروهم، واقعدوا لهم كل مرصد، وافعلوا الخير، توبوا الى الله جميعاً، اتقوا الله وقولوا قولا سديداً) ونهاهم بالنواهي : فقال : (ولا تلهوا بايديكم الى التهلكة، ولا تقعدوا بكل صراط توعدون، و تصدون، ولا تكتموا الشهادة لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون، ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق، ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيراً لكم، ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، ولا تقولن لشيء، اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله، ولا تسعوا في الارض مفسدين، ولا تمش في الارض مرحاً، ولا تبسطها كل البسط، ولا تكن للخائنين خصيماً، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، ولا تتبع اهلواء الذين لا يعلمون) و وصف المحسنين بأفعالهم : فقال : (قد افلح المؤمنون. التائبون العابدون ان المسلمين والمسلمات، مسلمات مؤمنات فانتات نائمات عابدات، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، انهم كانوا قبل ذلك محسنين، كانوا اقليلاً من الليل ما بهم يجمعون، وبالا سحرهم يستغفرون، ان الله مع الصابرين، والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش، و اذا ما غضبوا هم يغفرون، ولا يضيع اجر المحسنين، انا لا نضيع اجر من احسن عملاً، لعلكم تشكرون، لعلكم تهتدون، لعلكم تتقون، لعلكم تعقون، لعلكم تذكرون). وعنف المجرمين وذكر عقوبتهم : فقال : (السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله، الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزائه جهنم، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه، و بدلهم سيئات ما كسبوا و

حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن، انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك، قتل الخراصون
 ثم انكم ايها الضالون المكذبون (وصرح بمعتقد الانبياء عليهم السلام : فقال : عن آدم
 (ربنا ظلمنا انفسنا) وعن نوح (رب انهم عصوني) وعن موسى (رب اني ظلمت نفسي)
 وعن ابراهيم (أأنت فعلت هذا يا إلهتنا يا ابراهيم) وعن يعقوب (سولت لكم انفسكم امراً)
 وعن يوسف (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون، واتبعت ملة
 آباي) وعن داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) وعن سليمان (رب اغفر لي و
 هب لي ملكاً) وعن عيسى (ما قلت لهم الا ما أمرتني به) وعن نبينا عليه السلام (قل ان ضللت
 فانما اضل على نفسي، وان اهتديت فبما يوحي الى ربي) وعن الملائكة (أتجعل فيهم من
 يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك).

ونسب الكفر اليهم ظاهراً : فقال : (واتخذوا من دون الله آلهة، وجعلوا لله شركاء
 الجن وخرقوا له بنين وبنات بغير علم، وجعلوا لله انداداً ليضلوا عن سبيله، واذيكم ربك
 الذين كفروا ليشنوك اويقتلوك اويخرجوك) واشباه ذلك

وحكى مقالة الكفار : فقال : (فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون
 هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون،
 وان فريقاً منهم يلون المستنهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هم من الكتاب، ويقولون
 هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون، واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
 عليها آياتنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون، سيقول
 الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من
 دونه من شيء، وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون،
 واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو شاء الله اطعمه).
 وذكر امتناعهم عن الحق : فقال : (ولو انزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
 كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا، ولئن آتيت الذين اتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك،
 وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلماً في السماء فتأتيتهم
 بآية) يعنى تلجيتهم الى الايمان وعلى ترك الكفر ما فعل ذلك، وقوله : (الم اعهد اليكم
 يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان) افتتح القرآن بالعدل : فقال : (الحمد لله) اي قل الحمد لله
 واختم به : فقال : (قل اءوذ برب الناس) واليه ابن الحباب .

ان كان يجزى بالخير فاعله شراً
او يجزى المسمى بالحسن
فويل لتالى القرآن فى ظلم الليل
و طوبى لعابد الوثن

فصل

وقلت ان من الله جور الجاهرين ، وفساد المعتدين ، فهو عندكم المرید لستمه ، ولقتل
انبيائه ولعنة اوليائه ، وانه امر بالايمن ولم يرد ، ونهى عن الكفر واراده ، وانه قضى بالجور
والباطل ثم امر عباده بانكار قضاياه وقدره ، وانه المفسد للعباد والمظهر فى الارض الفساد
صرف الناس عن الايمان وامرهم به ، وانه يعذب اطفال المشركين بذنوب آبائهم و
استبطاهم ان لم يفعلوا ما لا يقدر على ، فقال : (كيف تكفرون بالله) ، وانه صرف
اكثر خلقه عن الايمان ثم قال : (انى تصرفون) وافكمهم وقال : (انى يؤفكون)
وخلق فيهم الكفر ثم قل : (لم تكفرون) ، وليس الحق عليهم بالباطل ثم قال : (لم تلبسون
الحق بالباطل) وانه دعى الى الهدى ثم صد عنه وقال : (لم تصدون عن سبيل الله) ، وانه
منع العباد من الايمان وقال : (وما من من الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) ، وخلق فيهم الكفر
وقال (فمالهم لا يؤمنون) ، وانه حال بينهم وبين الطاعة ثم قال : (وماذا عليهم لو آمنوا
بالله واليوم الآخر) ، وانه ذهب بهم عن الحق ثم قال : (فآين تذهبون) ، وانه لم يمكنهم
من الايمان ولم يعطهم قوة السجود ثم قال : (فمالهم لا يؤمنون) ، واذا قرى عليهم القرآن
لا يسجدون ، وانه فعل بعباده الاعراض عن التذكرة ثم قال : (فمالهم عن التذكرة معرضين)
وانه يمكر باوليائه المحسنين و ينظر لاعدائه المشركين لان العبد عندهم مجتهد فى
طاعته فيبينا هو كذلك وعلى ذلك اذ خلق فيه الكفر ونقله مما يحب الى ما يسخط وبينما
عنده مجتهد فى الكفرية والتكذيب له اذ نقله من الكفر الى الايمان فهو عندهم لعدوه
انظر منه لوليه فليس يشق عليه بولايته ولا يهرب عدوه من عداوته وانه يقول للرسول :
اهدوا الى الحق من اضللت عنه وانهو اعبادى ان يفعلوا ما شئت و اردت وأمرهم ان يرضوا
بما قضيت وقدرت لانه عندهم شاء الكفر واراد الفجور وقضا الجور وقدر الخيانة •

الصاحب : وان سقت ما قالوه فى الجبر ضلّة
فهيذا يقول الله يخلق نسبه
وقالوا اراد الكفر والفسق والزنا
وخشيت جبال الارض منه تهدد
ليشتم كما هو اعلى و اوجد
وقتل النبيين الذين تعبدوا

وكلف ماله يستطعم فعل محقق على عبده ما شاء ما يتردد
وعاقبه عن تركه الفعل لم يطق عقاباً له بين الجحيم يخلدوا
يقولون عدلاً ان يكلف مقدماً قياماً و عدواً مسرعاً وهو متعدي

فصل

قوله تعالى : «وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون» (٦٨/٤٣)

سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية : فقال : مستطيعون يستطيعون الاخذ بما امروا به والترك عما نهوا عنه وبذلك ابتلوا . وقال امير المؤمنين عليه السلام : ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه لان الله تعالى يقول : (من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها) .

قوله سبحانه :

«لمن أظلم ممن افترى على الله كذباً» (٦/٢١) اي اظلم لنفسه ليخرص على الله كذباً ويضيف اليه مالا اصل له . ابو هريرة قال : قام رجل من خثعم الى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله متى يرحم الله عباده : قال : يرحم الله عباده ماله يعملوا بالمعاصي ثم يقولوا هي من الله انس : قال النبي عليه السلام : سيأتى اقوام يعملون بالمعاصي ويقولون هي من الله فاذا رأيتهم فكذبوهم ثلث مرات . ابو الصامت الهروي : عن الرضا ، عن ابيه عن الصادق عليهم السلام : وقد سئل عن ذنوبنا وذنوب غيرنا؟ فقال عليه السلام (ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءاً يجزبه) . وسئل الصادق عليه السلام عن افعال العباد فقال : كل ما وعد الله وتوعد عليه فهو من افعال العباد . وسئل الرضا عليه السلام فقال : أهى مخلوقة لله ؟ فقال : لو خالقها ماتبرأ منها ، وقد قال الله (ان الله برىء من المشركين ورسوله) ولم يرد البرائة من خلق ذواتهم ، وانما تبرأ من شركهم وفضايحهم .

قوله سبحانه :

«الذين ان مكناهم» (٢٢/٤٢) معناه أعطيتناهم كل ما لا يصح الفعل الامعه ، لان التمكين اعطاء ما يصح معه الفعل ، فان كان الفعل لا يصح الا بعلم فالتمكن باعطاء تلك الآلة لمن فيه القدرة ، وكذلك ان كان لا يصح الفعل الا بآلة بعلم ونصب دلالة وصحة وسلامة ولطف وغير ذلك فاعطاهم جميع ذلك ، وان كان الفعل يكفى فى صحته وجوده مجرد القدرة فخلق

القدرة فخلق القدرة هو التمكن. واتصل بأمر المؤمنين عليه السلام ان قوماً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، خاضوا في التعديل والتجوير ، فقال : ايها الناس ان الله لما خلق خلقه اراد ان يكونوا كذلك الابان يعرفهم عالمهم وما عليهم ، والتعريف لا يكون الا بالامر والنهي ، والامر والنهي لا يجتمعان الا بالوعد والوعيد ، والوعد لا يكون الا بالترغيب ، والوعيد لا يكون الا بضد ذلك ، ثم خلقهم في داره واراهاهم طرفاً من اللذات المخالصة التي لا يشوبها الم الا وهي الجنة ، واراهاهم طرفاً من المكاره التي لا يشوبها الم الا وهي النار فمن اجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمعناها وسرورها ممزوجة بكدرها وغمورها . وسمع الجاحظ هذا الحديث ، فقال : هو جماع الكلام الذي دونه الناس في كتبهم وتحاورهم بينهم ، ثم سمع ابو علي الجبائي ، فقال : صدق الجاحظ هذا ما لا يحتمله الريادة والنقصان. العوني : كيفوا من خلق الكيف فبئس الواصفونا ثم قالوا جبر الخلق على ما يفعلوننا فهم بالخير والشر معاً مستمعوننا فعلى ماذا يشاؤون وعمما يسألوننا لم هذا بعذاب يوعد المستهزئيننا أيجور الله في الحكم وأتمتعوا بآثارنا

جل رب الناس عن ذلك وذل المجبورون .

فصل

قوله تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » (٦٧/٣) و ما فيه تفاوت من الكفر والمعاصي ليس من خلق الله ، لانه نفى نفيأعاماً ان يكون فيما خلقه تفاوت ، وقال تعالى : (الذي احسن كل شيء خلقه) والكفر ليس بحسن ولا فعل متقن : وقال تعالى (الذي أتقن كل شيء) اي اوجد فيه وجهاً من وجوه الحكمة عرياً من سائر القبايح ، وقال تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض بالحق) قال المحسن والبالخي والجبائي والزجاج والطبري ، معناه : خلقهما للحق لا للباطل ، وقال تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا) يدل على بطلان قول المجبره ، ان كل باطل وسفه وما يخالف الحكمة من فعل الله تعالى عن ذلك ثم قال (ذلك ظن الذين كفروا) ووجدنا من الافعال ما هو ظلم وعيب ، وفاعل الظلم ظالمه ، وفاعل الفساد مفسد ، وفاعل العيب عايب ، ووجدنا ايضاً في الافعال ما هو طاعة وخضوع ، وفاعل الطاعة مطيع ، وفاعل الخضوع خاضع ، ولا يجوز ان يكون الله تعالى مطيعاً ولا خاضعاً وتعلق الصاحب بتفاحة على شجرة وأخذ نصفها

وبقي النصف عليها ، فقال له ابو اسحق الاسفراينى : عندك القادر على الشئ ينبغى أن يكون قادراً على ضده ، فقال الصاحب : كما قدرت على اخذها اقدر على ردها ، الا ان الرطوبة خارجة عنها فلا يتقبل ، وقال ابو حنيفة : رأيت موسى بن جعفر عليه السلام وهو صغير السن فى دهليز ابيه فقلت اين يحدث الغريب منكم اذا اراد ذلك فنظر الى ثم قال : يتوارى خلف الجدار ويتوقى اعين الجار ويجتنب شطوط الانهار ومساقط الثمار وافنية الدور والطرق النافذة والمساجد ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء فلما سمعت هذا نبيل فى عيني وعظم فى قلبى فقلت له جعلت فداك ممن المعصية ؟ فنظر الى ثم قال : اجلس حتى اخبرك فجلست فقال : ان المعصية لا بد ان تكون من العبد او من ربه او منهما جميعاً ، فان كان من الله تعالى فهو اعدل وانصف من ان يظلم عبده و يأخذه بماله يفعل به وان كانت منهما فهو شريكه والقوى اولى بانصاف عبده الضعيف ، وان كانت من العبد وحده فعليه وقم الامر واليه توجه النهى ، وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار فقلت (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) ونظم فى هذا المعنى :

لم تغل افعالنا الالانى نذم بها	احدى ثلث خصال حين ناتيها
امما تفرد بباريتنا بصنعتها	فيسقط اللوم عنا حين نشيها
او كانت بشر كنا فيها فيلحقه	ما سوف يلحقنا من لايها
اوله يكن لالهى فى جنابها	ذنب فما الذنب الا ذنب جانبها
سيعلمون اذا الميزان شال بهم	اهم جنوها ام الرحمن جانبها

فصل

قوله تعالى : > سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون > (٩/٤٢) سأل غيلان العبدى ابا الهذيل عن الاستطاعة فقال خبرنى عن هذه الاية هل يخلوا من ان يكون اكدبهم لانهم مستطيعون للخروج وهم تاركون له فاستطاعة الخروج فيهم وليس يخرجون لقوله وانهم لكاذبون اى هم يستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع واواستطعنا لخرجنا فاكذبهم الله على هذا الوجه ، او يكون على وجه آخر يقول انهم لكاذبون اى اننى اعطيهم الاستطاعة ولم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ولا يعقل الاية معنى ثالث وقيل المنظام ان كانت الاستطاعة لك فخذلنا هذا العصفور فقال هذا من استطاعة الباشق واليؤبى لامن استطاعنى وقال الكتبى : لا اقدر

عليه شيء ولا املك احداً ، فقال الشيخ المفيد احكمي حكمك على مالا تملك قال نعم ، قال فرقت مالك على المساكين و طلقت زوجتك واعتقت عبدك و وقفت ملكك و اتى بطرار حول الى والى البصرة فسأل عن الحكم : فقال جبري يضرب خمسة عشرة درة وقال ابو عبد الرحمن : بل ثلثين ، خمسة عشرة لطره و خمسة عشرة لحوله ، فقال يا ابا عبد الرحمن لا ضرب على الحول قال نعم اذا كانا جميعاً من فعل الله فما جعل الضرب على الطر با حق منه على الحول . و قال رجل لابي الهذيل : من جمع بين الزانيين يا ابا الهذيل ؟ فقال : يا بن اخي اما بالبصرة فانهم يقولون القوادون ولا احسب اهل بغداد يخالفونهم في هذا القول ، فماتقول انت فنجعل الرجل . وقال ابو العتاهيه لتمامه و حرك يده من حرك هذا ، قال : ملعون من الملاعين ، فغضب من قوله . فقال : ان لم يكن فعالمك فما هذا الغضب . وقيل لتمامه اترضى بمن خلق المعاصي رباً ، قال لا ولا عبداً . و رفع الى عياش برجل رمى فشج رأس بعضهم ، فقال له لم رميته ، فقال (و عارميت اذ رميت ولكن الله رمى) فضر به مائة سوط ، وقال : وما ضربت اذ ضربت ولكن الله ضرب ، و نزل ابو الاسود الدؤلي في بني قشير فرجموه بالليل فاشتكى منهم ، فقالوا الله رجمك ، فقال : لا تكذبوا على الله فلو ان الله رماني لما اخطأني ، ثم قال في ذلك

رماني جباري ظالماً برمية	فقلت له مهلاً فانكر ما أنى
وقال الذي يرميك ربك جازياً	بذنبك والحويات تعقب ما ترى
فقلت له لو ان ربى رمية	رماني لما اخطى الهى مارمى
جزا الله شراً كل من نال سوءه	و ينجل فيها ربه الشر والاذى

وقال يزيد لعلى بن الحسين عليه السلام : طلب ابوك شيئاً لم يكن له بأهل فقتله الله على يدي من كان له اهلاً فما ذنبى في ذلك ، فقال عليه السلام : قال الله (الا لعنة الله على الظالمين) افتراه انه لعن قاتله ام نفسه فبهت .

الصاحب زعم الرجال المجبرون بانما	قتل الحسين قضت به الاقدار
فعلام يلعن قاتلوه و انما	قتل الحسين قضى بالجبار

وناظر ابو علي الجبائي في حال صباه صقر ا فقال ما تقول ان الله تعالى يخلق العدل قال نعم قال افتسميه بفعله العدل عادلاً قال نعم قال أنقول انه يخلق الجور قال نعم قال مما أنكرت ان يكون بفعله الجور جابراً قال لا يصح ذلك قال مما أنكرت ان لا يكون بفعله العدل عادلاً فانقطع صقر فجعل الناس يقولون من هذا الصبي فقيل غلام من اهل جبال نسب اليه . وكان مجبر

يسأل اصحاب بشر بن المعتز ويقول أنتم تحمدون الله على ايمانكم فهم يقولون نعم فيقول
فكانه يجب ان يحمد على ما لم يفعل وقد قال ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فيقولون
له انما ذم من احب ان يحمد بما لم يفعل مما لم يعز عليه ولم يدع اليه وهو يشغب اذا قيل
نعمامة بن اشرس فقال بشردونك الرجل فسله فسأله عن المسألة فقال هل يجب عليك ان تحمد
الله على الايمان قال لا بل هو يحمدني عليه لانه امرني به ففعلته وانا احمد الله على الامر به
والتقوية عليه فانقطع المجبر فقال بشر شئعت فسهلت ، وقال المؤمن لئنوى خبرني هل
ندم مسيتي قط على اسائة قال نعم قال فالتدم على الاسائة احسان او اسائة قال احسان قال
فالذى ندم هو الذى اساء او غيره قال هو الذى اساء قل فارى صاحب الخير هو صاحب الشر
وقد بطل قولكم اذا الذى ينظر نظرا الوعيد هو الذى ينظر نظرا الرحمة قال فاني ازمع ان
الذى اساء غير الذى ندم قال فهذا الذى ندم على شئ كان منه ام من غيره فافحمه وانشد
ذوالرمة .

و عيان قال الله كونا فكاتسا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

فقل له فعولين خير الكون فقال اوسبحت ربعت واما قلت وعيان فعولان وصفتها بذلك
وانما تجوز بذلك من الجبر .

فصل

قوله تعالى : حكاية عن الكفار دما كنا نعمل من سوء فكذبهم الله تعالى ، بل
ان الله عليهم بما كنتم تعملون (١٦/٣٠) يعترف ابليس بعصيانه يوم القيامة ويقول
(انى كفرت بما اشر كتمونى) ويعاند الجبري فيقول (والله ربنا ما كنا مشركين) فينطق
اعضائه (يوم تشهد عليهم السنتهم) ويقول ابليس (وما كان لى عليكم من سلطان) ويقول قرينه
من الجن والانس او الملائكة (ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد) وقالت الكفرة
(ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله هؤلاء شفعاء ناعذ الله) والجبرية تضيف كل سيئة اليه (وقالت
اليهود يد الله مغلولة) وقالت المشبهة (كلنا يديه يمين) وقالت النصارى (ان الله ثالث ثلاثة)
وقالت المجبرة تاسع تسعة وقالت المشركون (بنات الله) وقالت الجبرية صفات الله قديمة
زعم المجبر انه لا يقدر على تحريك ريشة ثم يعمل بالاختيار والنص والشورى . اول من اظهر
الجبر فى هذه الامة معوية ذلك انه خطب فقال يا اهل الشام انا خازن من خزان ربي اعطى

من اعطاه الله وامنع من منعه الله بالكتاب والسنة ، فقام ابوذر رحمة الله عليه وقال كذبت والله انك لتعطى من منعه الله بالكتاب والسنة وتمنع من اعطاه الله فقام عبادة بن الصامت ثم ابو الدرداء وقال صدق ابوذر صدق ابوذر ، فنزل معوية عن المنبر وقال : فنعم اذا فنعم اذا . وفي رواية انه خطب فقال : قال الله تعالى (وان من شئ الا عندنا خزائنه) فلان لا م نحن ، فقام الاحنف فقال : انا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ، ولكن نلومك على ما انزل الله علينا من خزائنه واغلقت بابك علينا دونه . شاعر :

ان اعطى تمير حين يعطى	وان لم يعط قال ابا القضاء
يبخل ربه سفهاً وجهلاً	ويعذر نفسه فيما يشاء ،
ابو محمد الحسن بن احمد الحسيني :	
زعم السفية ومن بضاهى قوله	ان الكباير من فعال الخالق
ان كان حقاً ما يقول فلم قضى	حد الزناة وقطع كف السارق ،
الصاحب : المجبرون يجادلون بباطل	وبغير ما يجدون في القرآن
كل مقالة الا له اضلنى	واراد امراً كان عنه نهائى
أيقول ربكم لقوم آمنوا	عمداً ويكفهم عن الايمان
ان كان دافنمو ذوامن ربكم	ودعوا تعودكم من الشيطان ،
غيره :	فان بالجبر قالت الفسقة
ايالك والجبران تدبى به	ولا تكن من اولئك الطبقه
فتزه الله عن محارمه	لما قدر حد الزنا والسرقه
لو كان قد قدر الزنا	وقال في الماحد اضربوا عنقه
فقال من يسرق اقطعوا يده	

فصل

قوله تعالى : «من يهدي الله فهو المهتدى» (٧/١٧٢) الهدى الارشاد واصله

الطريق يقال هداه الطريق وتول الطريق والى الطريق ولذلك سمي لكل مرشد هادياً قوله في التوراة (وجعلناه هدى) وفي القرآن (هدى للمتقين) والناار (واجد على النار هدى) وبمعنى الدلالة والبرهان اذا دى الى ذلك وكان مقيداً مقروناً بها قوله (اهدنا الصراط المستقيم، و انك لتهدى الى الصراط ، والله يهدى من يشاء الى صراط) وبمعنى النجاة والثواب اذا اطلق

قوله (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم اولئك الذين هديهم الله) وهذا بعد القتل ، وقوله (يهديهم ربهم بايمانهم واصلح بهم بالجنة) وبمعنى الوصف بذلك والحكم به عليه ، قوله (أتريدون ان تهدوا من اضل الله) يعنى تسموا مهتدياً من قد سماه الله ضالاً ، الشاعر :

ما زال يهدى قومه و يضلنا جهلاً و ينسبنا الى الكفار

وبمعنى زيادة اللطاف وذلك انه يلطف لمن علم انه مؤمن فيأتيه من الاسباب ما يعلم انه يؤمن لسببه قوله (ويهدى اليه من اتاب ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم) وبمعنى البيان والتعريف ، قوله (ان علينا الهدى ، انا هديناه السبيل ، و هديناه النجدين) واما قول المجبرة انه بمعنى خلق الايمان فيهم او بأن يخلق ما يوجب ذلك من قدرة وغيرهما او يحملهم على ذلك جبراً او ما جرى مجراه ففاسد لانه لا يقول اهل اللغة لمن حمل غيره على سلوك الطريق جبراً انه هداه اليه و انما يقال رده الى الطريق وحماته عليه واكرهه وامثال ذلك ويجوز هداه الله بمعنى التمكين او ما يجرى مجراه لانه لا يصح التكليف لامم البيان ، ولنا :

ومن يهتدى يرشد ومن يلق ربه بكفر من الاحزاب فالنار موعده

قوله سبحانه :

« انا هديناه السبيل اما شاكرًا واما كفورًا » (٧٦/٣) المعنى اما ان يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى فيصيب الحق واما ان يكفر نعمه فيكون ضالاً عن الصواب وليس المعنى انه مجبر في ذلك واما خرج مخرج التهديد كقوله (فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر) بدلالة قوله (انا اعتدنا للظالمين ناراً) واما المراد البيان بمن انه قادر عليها فأبهما اختار جوزى عليه بحسبه وفي الآية دلالة على انه تعالى قد هدى جميع خلقه المكلفين لان قوله (انا هديناه السبيل) عام في جملةهم وذلك مبطل قول المجبره ان الله لا يهدى الكافر بنصب الدلالة على طريق الحق واجتناب الباطل وليس كل من ترك الشكر كان كافراً لان الشكر قد يكون تطوعاً كما يكون واجباً ثم ان الله تعالى بين ان ما ذكره على وجه التهديد لكفرهم بقوله (انا اعتدنا للكافرين سعيراً) وذكر ايضاً ما للمؤمنين لايمانهم فقال (ان الابرار يشربون من كأس)

قوله سبحانه :

«فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة» (١٦/٣٨) لم يرد نصب الأدلة على الحق لأنه تعالى سوى في ذلك بين الكافر والمؤمن كما قال (واما نعوذ فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وانما اراد من لطف تعالى له بما علم انه يؤمن فسمى ذلك اللطف هداية و قيل فمنهم من هدى الله الى الجنة بايمانه ومنهم من حقت عليه الضلالة قال الحسن لانهم ضلوا عن طرق الحق وكفروا بالله ، وقال ابو الهذيل : حقت عليه الضلالة عن طريق الجنة بما ارتكبوا من الكفر والضلالة والمراد بالضلالة هي هنا العدول عن الجنة وقد سمي الله العقاب ضلالا في قوله (ان المجرمين في ضلال وسعر) .

قوله سبحانه :

«ان علينا للهدى» (٩١/١٢) قال قتاده : ان علينا لبيان الطاعة من المعصية ، وفيه دلالة على وجوب هدى المكلفين الى الدين وانه لا يجوز صرفهم عنده .

قوله سبحانه :

«والذى قدر فهدى» (٨٧/٣) التقدير تنزيل الشئ على مقدار غيره . قاله تعالى خلق الخلق وقدرهم على ما اقتضته الحكمة فهدى معناه ارشدهم الى طريق الرشاد من الفئ ، وهكذا كل حيوان الى ما فيه منفعة ومضرته ، حتى انه اهدى الطفل الى ندى امه وميزه من غيره ، واعطى الفرج الهداية حتى طلب الزق من ابويه ، والعصفور على صغره يطلب مثل ذلك بهداية الله تعالى له

قوله سبحانه :

«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» (٢٩/٦٩) اى نرشدهم السبيل الموصل الى الثواب ، وقيل : لنوفقهم لازدياد الطاعات فيزداد ثوابهم ، وقيل : معناه لنرشدهم الى الجنة. (١)

(١) فى الآية الشريفة اشارات لطيفة : منها عدم ذكر مصداق معين بخصوصه من مصاديق المجاهدة ، اشارة الى ان المؤثر هو مطلق الجهاد فى الله تعالى باى نوع كان ، اذا اراد به تحصيل رضائه وقربه ، منصرفا عن العدوان والعصيان وعن اتباع الهوى والشيطان و منها تأكيد الجزاء باللام وبالنون : دلالة على تحتم الهداية بحيث لا موز فيها للارتياح والاضطراب . ومنها -

قوله سبحانه :

« من يهدي الله فهو المهتدي » (٧/١٧٢) أي من يحكم الله بهدايته ويسميه بها وباخلاصه الطاعة فهو المهتدي في الحقيقة ، وفيه دعاء الى الاهتداء و ترغيب فيه وفيه معنى الامر به ، وقيل من يهدي الله الى طريق الجنة فهو المهتدي اليها . وقوله (ومن يضل الله فلن تجد له اولياء من دونه) أي من يحكم بضلالته ويسميه ضالا بسوء اختياره للضلالة فانه لا ينفعه ولاية ولي له ولوتولاه لم يعتمد بقوله لانه من اللغو الذي لا منزلة له فلذلك حسن ان ينفي لانه بمنزلة ما لم يكن ، وقيل : من يضل الله عن طريق الجنة واراد عقابه على معاصيه لم يوجد له ناصر يمنعه من عقابه .

قوله سبحانه :

« ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً الا طريق جهنم » (٤/١٦٦) ظاهر الآية ان من كفر بالله ورسوله يعاقبهم الله على كفرهم وظلمهم ولا يهديهم الجنة بل يدخلهم النار ، ويحتمل انه لم يكن الله يفعل بهم ما يؤمنون عنده في المستقبل عقوبة لهم على كفرهم المعاصي واستحقاقهم حرمان ذلك و انه يخذلهم عن ذلك حتى يسلكوا طريق جهنم ويكون المعنى لم يكن الله ليوفقهم للاسلام ولكنه يخذلهم عنه الى طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر .

قوله سبحانه :

« كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم » (٣/٨٠) المراد به الثواب و ما يجري مجراه لانه قديم من الكافر ويتوب الفاجر وينيب الفادر ، والآية دليل لاهل العدل .

قوله سبحانه :

« ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله » (١٦/١٠٦) بمعنى الى طريق

— تعلق الهداية الى السبل المضاف الى الضمير الراجعة الى الله تعالى : اشارة الى عظمة السبيل و كونه صراطا مستقيما و طريقا موصلا الى مقام الحب والقرب . ومنها جمع كلمة السبيل : فان له تعالى سبلا مختلفة باختلاف الانفس ، فلكل سالك الى الله تعالى طريق مخصوص بحسب كونه مأمورا باداء وظايف معينة و تكاليف مشخصة . ففي هذه الآية جوامع آداب السلوك الان لتحقيق دقائقها مقام آخر .

الجنة ، اوقلت لا يحكم الله بهداهم لانهم كفار .

قوله سبحانه :

«ولو هدانا الله لهديناكم» (١٤/٢٥) انما هو حكاية قول رؤساء المشركين في جهنم ، لقوله (فقال الضعفاء للذين استكبروا) .

قوله سبحانه :

«فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة» (٧/٢٨) قد قلنا ان الهدى المطلق انما يكون بمعنى البيان او النجاة ، وهذه الآية انما وردت فيمن اعيد بعد المعاصيات ، الا ترى الى اول قوله (كما بدأكم تعودون)

قوله سبحانه :

«والله لا يهدي القوم الكافرين» (٢/٢٦٦) معناه انه لا يهديهم الى طريق الجنة والثواب لكفرهم ، ويحتمل لا يهديهم بمعنى لا يقبل اعمالهم كما يقبل اعمال المهتدين من المؤمنين لان اعمالهم لا تنفع على وجه يستحق بها المدح ، وقبيل : لا يحكم بهدايتهم لكونهم كفاراً .

قوله سبحانه :

«والله لا يهدي القوم الظالمين» (٢/٢٦٠) اخبار منه تعالى انه لا يهدي احداً ممن ظلم نفسه وكفر بايات الله وجحد وحادثته الى الجنة كما انه يهدي المؤمنين .

قوله سبحانه :

«والله لا يهدي القوم الفاسقين» (٥/١٠٧) اي لا يحكم للفاسق بأنه مهتد ولا يجري عليه مثل هذه الصفة لانها صفة مدح .

فصل

قوله تعالى : «ليس عليك هديهم» (٢/٢٧٤) لم يقل ليس اليك فسقط التعلق وذلك انه اذا قال عليك كذا ، فانما معناه انه يجب عليك كذا كقوله (ولله على الناس

ولا يلزم النبي عليه السلام هداية أولئك ، وإنما عليه التبليغ لقوله (أولئك الذي هدى الله فبهديهم اقتده) ويفسرون الهدى بالفقة والثواب ، ثم قال (ولكن الله يهدي من يشاء) قال ابن الأخشيد والزجاج : إنما علق الهداية بالمشية لمن كان في المعلوم أنه يصلح باللفظ وليس كل أحد يصلح به فلذلك جاء الاختصاص بالمشية ، وقال الجبائي : الهداية في الآية هو إلى طريق الجنة .

قوله سبحانه :

« أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » (٢٨/٥٦) قالوا كان النبي عليه السلام : يحب إسلام أبي طالب ، ويكره إسلام الوحشى ، فنزلت الآية في أبي طالب ونزل في الوحشى (بأعبادى الذين اسرفوا على انفسهم) فلم يسلم أبو طالب ، واسلم الوحشى فلوجاز للنبي عليه السلام أن يخالف الله تعالى في إرادته ليجاز أن يخالفه في أوامره ونواهيه ، وإذا كان لم يرد إيمانه وأراد كفره ، وأراد النبي عليه السلام إيمانه ، فقد حصل غاية الخلاف بين إرادتى الرسول والمرسل ابن ذريك :

ولولم يكن قد شاء طاعتهم لما	اتاهم بها عن ربهم مطلق الامر
يوافق ابليس اللعين بزعمهم	بغير وفاق المصطفى العلم الطهر
وحين اراد الكفر من معشر فلم	دعاهم الى الايمان هذا من الهجر
وما حاجة الدنيا الى الرسل حين من	توخى بهم ايمانهم سبب الكفر

قوله سبحانه :

« هدى للمتقين » (٢/١) الايمان ليس بهدى من جهة كونه إيماناً وليس فيه تخصيص ولا يصح أن يكون هدى مذهبهم لأن العبد عندهم غير مختار و (هدى للمتقين) لا يدل على أنه ليس بهدى لغيرهم .

قوله سبحانه :

« من قبل هدى للناس » (٣/٢) أى بياناً ودلالة على أن الله تعالى هدى الكافر إلى الايمان كما هدى المؤمن .

قوله سبحانه :

« أن تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل » (١٦/٣٩) من فتح الباب ،

أراد أن الله لا يهدي من يشاء ، أوقلت : أن من أضله الله لا يهتدي ، ومن ضم الياء : أراد أن
 من حكم الله بضلاله وسماه أضالاً لا يقدر أحد أن يجعله هادياً ، أوقلت : أن من أضله الله
 لا يقدر أحد على هدايته اليها ، ولا يقدر هو أيضاً على أن يهتدي اليها .

قوله سبحانه :

« اهدنا الصراط المستقيم ، اللفظ لا ينسب عن أنه يفعل خلافه وإنما يسأله ذلك
 المؤمنون ، ولو كان المراد به الإيمان لم يكن لسؤالهم ما أعطوه معنى ، ولكن الواجب
 أن يقول ذلك من لم يعطه والظاهر يدل على الاستقبال . وقال مجوسى لأمير المؤمنين
 عليه السلام : كيف أدخل في دين لم يهتدأ بابه ، حيث لا يزالون يقولون اهدنا ، فاجابه عليه السلام
 أن معناه : نبتنا .

قوله سبحانه :

« فمن تبع هداى » (٢/٢٦) أى جعل الاتباع إلى المخلوق ، ولو كان من الله تعالى
 لقال : فمن اتبعه هداى .

قوله سبحانه :

« ويهدي الله الذين اهتدوا هدى » (١٩/٧٨) يزيد الذين اهتدوا إلى طاعة الله و
 اجتناب معاصيه هدى : ووجه الزيادة لهم فيه أن يفعل بهم اللطاف التى تستكثرون عندها
 الطاعات بما يبينه لهم من وجه الدلالات والامور الداعية إلى فعل الخيرات ، وقيل : زيادة
 لهدى هى بإيمانهم بالناسخ والمنسوخ .

قوله سبحانه :

« أن الله لا يهدي من هو كاذب كفار » (٢٩/٥) معناه أنه لا يهتدي إلى طريق الجنة ،
 أولاً يحكم بهدايته إلى الحق من هو كاذب على الله بأنه أمره باتخاذ الاصنام .

قوله سبحانه :

« وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » (٢٠/٨٤) أى ستر لمن
 تاب من المعاصى ، فاستغفره واستر عليه معاصيه إذاضاف إلى إيمانه بالإيمان الصالحة .

وقال قتاده : معناه : لزم الايمان الى ان يموت ، كانه قال : ثم استمر على الاستقامة ، و
انما قيل ذلك لئلا يتكل الانسان على انه كان اخلاص الطاعة ، وفي تفسير اهل البيت عليهم
السلام : ثم اهتدى الى ولاية اوليائه الذين اوجب الله طاعتهم والانتقياد لامرهم ، وقال
ثابت البناني : ثم اهتدى الى ولاية اهل البيت عليهم السلام .

فصل

قوله تعالى : « يهدي الله نورهم من يشاء » (٢٤/٣٥) اي لدينه وايمانه بأن يفعل
له لطفاً يختار عنده الايمان اذا علم له اهلاً ، وقيل : يهدي الله لنبوته من يشاء ممن يعلم
انه يصلح لها ، وقيل : يحكم بايمانه لمن يشاء ممن آمن به .
قوله سبحانه :

« ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » (٢٤/٤٠) اي من لم يجعل الله له نوراً
في قلبه ويهدم به فماله من نور يهتدى به ، وقيل : من لم يجعل الله له نوراً يوم القيامة
يهديه الى الجنة فماله من نور يهديه اليها .
قوله سبحانه :

« قد جائكم من الله نور » (٥/١٨) اخبر انه يخص بذلك المتبم لرضوانه ، و
المتبم لرضوانه قد حصل له البيان والايمان .
قوله سبحانه :

« فاما الذين كفروا فزادتهم رجساً الى رجسهم وما اتوا » (١٠/١٢٦)
الظاهر ان يكون الايات زادتهم الرجس بالحقيقة ، ولا خلاف ان الايات لا فعل لها في
الحقيقة ؛ وان الله زادهم رجساً بالايات نحو ما ادعوه ، وهذا فاسد ، لان عندهم ان الايات
غير موجبة للرجس ولا يصح ان يزيدهم الله الرجس بالايات وانما يزيدهم ذلك بالقدرة
الموجبة لذلك ، ولا يجوز احد منهم ان تزيدهم الايات رجساً .

قوله سبحانه :

« وما اختلف فيه الا الذين اوتوه » (٢/٢٠٩) وقوله (قل لله المشرق والمغرب

يهدى من يشاء) (٢/١٣٦) الهدى ضد الضلالة وهو من فعله بلا خلاف فإذا هدى الكل صح وصفه بأنه يهدى من يشاء كما لو هدى البعض صح ذلك فيه ، ويدل على أنه هدى الجميع قوله (أنا هديناه السبيل ، هدى للناس) والخصم معترف بأن الهدى فى الآية بمعنى الدلالة لأولها ، لأنه بعث النبيين مبشرين ومنذرين ، وقال اختلفوا بغياً وعدواً لا جبراً اذ محال ان يقول جاءتهم البينات ولم تأتهم ، او يقول كانوا غير متمكنين من التبيين ، كما انه محال ان يقول اتيت زيدا بكتاب فلم يقرأه بغياً وعدواً وهو غير متمكن من قراءة .
قوله سبحانه :

«قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهدىكم» (٦/١٥٠) على سبيل الجبر ، ولم يقل لا هتديتم ، والهداية انما هو البيان والدلالة لانه هدى الجميع بمعناهما ، او الفوز والنجاة ولا خلاف فى انه لو شاء لنجى جميعهم ولا تأتهم ، او الايمان والدين ولا يصح ذلك لانه لا يقال فيمن جبر غيره على امر قد هداه وانما يقال ذلك اذا ارشده اليه ودله عليه ، ومعنى الآية انه حكى عن قول الكفار فقال (سيعول الذين اشر كوا) فجعلهم فى قوله انه لو شاء الله ما اشر كوا ولا حرموا شيئاً كاذبين فوجب ان يكون الله بتكذيبه اياهم فيما ادعوا مريداً لايمانهم كارهاً لما هم عليه من الشرك فلما كذبهم قال (قل لله الحجة البالغة) اذ كانوا اشر كوا من جهة انفسهم من غير ان يكون اراد منهم الشرك ، او امرهم به او حملهم عليه ، اذ لو فعل شيئاً من ذلك لكان لهم الحجة عليه .

فصل

قوله تعالى : «اذا ضللنا فى الارض» (٣٢/٩) (واضله الله على علم) اعلم ان ضل لازم ، يقال : ضل الشيئى اى ضاع وهلك ، قوله (ضل سعيهم فى الحياة الدنيا) و بمعنى العذاب (ان المجرمين فى ضلال وسعر) وبمعنى ابطال العمل (فلن يضل اعمالهم) . ومتعد نحو ضل فلان الطريق ، اى لم يهتد له قوله (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) ، و قد جاء اضل على وجوه : اضله فلان اهلكه قوله (واضل اعمالهم) . وبمعنى اضل الرجل دابته اى ضلت عنه قال الشاعر : هبوني امراً منكم اضل بغيره . فالالف للفرق بين ما لا يفارق مكانه وبين ما يفارق ، وبمعنى انه ضل عنه لا من غيره كما يقولون اضلت فلانة فلاناً واذهبت عقله ، وهى لا تعرفه لكنه فسد وذهب عقله من اجلها وعند رويته اياها

نسب اليها ، و بمعنى الحكم عليه بالضللال والتسمية اضله فلان اى سماه ضالاً مثل اكفرة اذا نسب عليه . قال الكميت : فطائفة قد اكفرونى بحبكم . وقوله (فما لكم فى المنافقين فتنين ، الاية) وقوله (اتريدون ان تهدوا من اضل الله) و بمعنى الوجدان ، اضلت فلاناً قوله (اضله الله على علم) ، و بمعنى ان تفعل ما عنده يضل العبد اولاجله فينسب ضلاله الى نفسه كقوله (رب انهن اضلن كثيراً من الناس) و لا فعل للاصنام ، و بمعنى تشديد الامتحان مثل ان يسأل الرجل شيئاً نفيساً فاذا بخل به قيل له قد بخلك فلان يريدون به عيب المستول لا السائل ويقولون افسدت فضتك فى النار اى فسادها عند محنته وقوله (وما جعلنا اصحاب النار ، الى قوله كذلك يضل الله الظالمين) بين ان اضلاله للعبيد يكون على هذا الوجه من انزاله آية متشابهة او تكليفه اياهم امرأ لا يعرفون الغرض فيه ، و بمعنى الصديق الخير والرشد والدعا الى الفساد مثل قوله (واضلهم السامري ، و اضل فرعون قومه) وقوله (ان الله لا يستحبى ان يضرب مثلاً ، الى قوله يضل به كثيراً) يعنى يضرب المثل ثم قال (وما يضل به الا الفاسقين) ولا خلاف انه لا يضل يضرب المثل احداً وانما يضل المكلف عند ذلك ، و بمعنى الحرمان قوله (ومن يرد ان يضل) ويتعدى لفظة اضل الى مفعولين وهو بائى مع اداة وبغيرها فيقال : اضله الطريق وعن الطريق قوله (واضلونا السبيلاً) و قوله (ليضل عن سبيله) فهذا الاضلال بمعنى الاعراض عن الحق ، واذا كان الاضلال لفظاً مشتركاً فلا يجوز ان ينسب اليه اقبحها وهو ما اضاف الى الشيطان بل ينبغي ان ينسب احسنها واجملها وليس شيئ من هذا الجنس مضافاً الى الله تعالى لانه ليس فيه انه اضل عن الدين او عن الحق ، وانما يجيى مطلقاً غير مقرون بما ضل عنه كقوله (يضل من يشاء) و اضله الله على غام) وقوله اضله الله جائز بمعنى العذاب والاهلاك والحكم والتسمية والوجدان والمصادفة ، و بمعنى ان يفعل ما يضل العبد فيضيغه الى نفسه ، ولا يجوز بمعنى خلق الاضلال فيه او خلق ما يوجب من قدرة وغيره كما يقول المجبرة ، وعند بعضهم يجوز ان يضل بمعنى التلبيس ، وعند بعضهم يجوز ان يضل عن الدنيا ابتداء ، قال بعضهم لا يجوز ابتداء وكلها باطل من وجوه وذلك انه لا يقال فى اللغة اضله بمعنى خلق فيه الاضلال او خلق فيه ما يوجب الاضلال ولا سائر اقوالهم ، لان العرب تقول اضله فلان عن الطريق اذا لبس عليه بشبه ، ولا يقال لمن رد غيره عن الطريق قهراً انه اضله ، انما يقال رده وصرفه ونحوهما والاضلال فى الدين لا يجوز من الله تعالى بحال لانه لا يصح التكليف الا مع البيان ، والاضلال هو التلبيس

والتليس والبيان متضادان ، ولو اضلهم الله هكذا لم يكن للاحتجاج عليهم بالرسول و الكتب واقامة الادلة والترغيب والترهيب والوعود والوعيد معنى ولا فائدة .

قوله سبحانه :

حكاية عن ابليس : « ولا ضلنهم ولا مئنينهم » (٤/١١٨) ذم ابليس وحزبه من حيث اضل الناس عن الدين و امرهم بالاستعانة منه ، فقال (قل اعوذ برب الناس) السورة (وقل اعوذ بك من همزات الشياطين ، واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) فلو كان الله يضل عباده عن الدين كما يضل الشياطين ، لاستحق من المذمة مثل ما استحقوه و اوجبت الاستعانة منه وان يتخذوه عدواً وكيف يجوز ان يذم ابليس وحزبه لامر يتعاطى مثله وهو اوله و آخره وانه اضاف الاضلال عن الدين الى جماعة و ذمهم لذلك فقال (وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل ، ولا ضلنهم ولا مئنينهم ، ولقد اضل منكم جبلاً كثيراً) اى ابليس (واضل فرعون قومه ، و اضلهم السامري ، رب انهم اضلن كثيراً من الناس) اى الاصنام (وقال الذين كفروا ربنا انا الذين اضلانا من الجن والانس ، و انهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون ، و ان تطم اكثر من فى الارض يضلوك) فمؤلاه الذين ذمهم الله اما ان يكونوا قد اضلوا غيرهم عن الدين فى الحقيقة دون الله ، او يكون الله قد اضلهم دون هؤلاء فهو سبحانه منقول عليهم وعابهم بما هو فيه دونهم و ذمهم بما لم يفعلوه ، وبهذا الوجه يقول القدرية و يزعمون ان ابليس و جنوده لم يضلوا احداً من الدين فى الحقيقة دون الله ، وانما اضلهم الله دون هؤلاء ، لان هؤلاء لا يتقدرون على الاضلال بحال ، واذا كان الله مشاركا لهم فى ذلك كيف يجوز ان يذمهم بفعل هو شريكهم قدسا واهم فيه ، وان يستحقوا المذمة و جب له مثل ما استحقوه . شاعر :

أثنان يبدؤا منهما الفعل واحداً يلام عليه ذا و ذلك يجمع

و انه بين انه يضل الظالمين ، و انه لا يضل الا الفاسقين ، و انه لا يهدى الكافرين و الفاسقين و الظالمين ، و انه يضل من هو مسرف مرتاب ، و انه يهدى قلب من هو مؤمن و ان من يجاهد فيه يهديه سبيله ، فلو كان الله هو المضل ابتداء لكان جميع هذه الايات باطلا لانه قد برتد المسلم و يكفر ، و يؤمن الكافر و يتوب و الضال لا يضل ، و على قضية قوله يجب ان يقول : انى لا اضل الا المؤمن ولا اهدى الا الكافر ، و انه نفى الالهية عما سواه مما

كانوا يعيدونه ، فقال (قل هل من شركائكم) فلو كان يضل عن الحق لكان قد ساواهم في الاضلال وفيما لاجله ، عن اتباعهم بسل اربى عليهم والاضلال في الدين على سبيل التلبيس انما يفعله العاجز عن الضد والمنع كالشيطان فانه لو قدر على المنع لما اجتهد بالحيلة والوسوسة والله تعالى غير عاجز فلا يضل عن الدين على سبيل التلبيس ، وانه انما اضاف ما اضاف الى نفسه من الاضلال مطلقا غير مقرون بما اضل عنه ، ولم يقل في آية : اضل او يضل عن الدين ، وانما قال : اضل او يضل من يشاء ، و اذا ورد مطلقا كان معناه الاهلاك والابطال كما ان لفظة ضل اذا اوردت كان معناها الهلاك والبطالان .

قوله سبحانه :

« فيضل الله من يشاء ، ويهدي من يشاء » في خمسة مواضع من القرآن (١٤/٤)

يعنى يهلك وينجي ، ولا يجوز فيها غير ذلك لمقتضى اولها و اخرها ولانه مطلق (١) .

١- فنريد لك كشفا عن حقائق هذه الايات الشريفة فنقول : ان كلامنا هذه الايات الكريمة قد نزلت في مقام الاشعار بالمعظمة والجلال . وانه تعالى قادر لما يشاء ، فعال بما يريد ، لا يستل عما يفعل ، فما اعظم شأنه ، واعز سلطانه ، وهو الملك الجبار الواحد القهار ، ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء . ولا يخفى على ذوى اللب ان الايات غير ناظرة الى جهة مقدمات ارادته وبواعث فعله وموجبات عمله ، حتى يستدل بها على نفي التعليل و سلب الغاية مطلقا كما يقول به الاشاعرة فانهم احط درجة من استحقاق المضاربة . فهذا كما تقول . ان القاضى بلغ من القدرة والعلم والنفوذ والحكم والمدل والاطمينان ، مبلفا لا يترضى في قضائه يحكم بما يريد ولا معقب لحكمه . وان السلطان بلغ من المدل والرافة والعلم والسلطنة ، منزلة يفعل ما يشاء في مملكته ، برحم من يشاء ويعذب من يشاء . ولا يستل عما فعل ، فان الرعية كلهم مذعنون بعمله وكمال علمه ، معقدون في حقه بالعصية من الخطاء والزلل والخطئ . فضلا عن الجور والظلم . هذا حال عبد من عباده آتاه الحكمة وفصل الخطاب ، فكيف بالله خالق السموات والارض سبحانه الله رب العرش عما يصفون لا يستل عما يفعل وهم يسئلون ؛ أنت الفاعل على ما تشاء تعذب من تشاء بما تشاء كيف تشاء وترحم من تشاء بما تشاء كيف تشاء ولا تستل عن فعلك . ومن البديهييات الاولى ان جميع افعال الله الحكيم بمقتضى الحكم والمصالح النامة ، ومن الحكمة ان لا يهدي القوم الكافرين والفاسقين والظالمين ؛ لعدم ميلهم الى الرشاد والنمة ، بل هم كفرون بهلوا مجزاء الكفران الا العذاب الشديد ، فمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليهم بما يصنعون ؛ ويهدي اليه من اناب ، وما الله يريد ظلما للعباد . فارجم البصر كرتين هل ترى من فتور . ح - م

قوله سبحانه :

« فبضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » (٧٤/٣٤) بعنمل امرين ، احدهما انه يحكم بضلال من يشاء اذا ضلواهم عن طريق الحق ، والثاني يضلهم عن طريق الجنة اذا كانوا مستحقين للمعاقب ، ويهدي من يشاء الى طريق الجنة .

قوله سبحانه :

« يضل به كثير » (٢/٢٤) اي بضرب المثل كفروا ولم يقل يضل عن الدين به .
 صاحب : يضل عن ثوابه اعداءه و انما صيره جزاءه
 ولم يرد في حالة اغواءه بل جلب الانسان ما قد شاءه

قوله سبحانه :

« ومن يرد ان يضل » (٦/١٢٥) ليس فيها انه اضل قوماً او يضلهم ولا انه يريد ذلك ولم يقل ومن يرد ان يضل عن الدين ، وانه بين على جهة الجزاء .

مركز تحقيق قوله سبحانه :

« ان هي الا فتنتك تضل به من تشاء » (٧/١٥٤) ولم يقل عن الدين ، وان هي ترجع الى متقدم ولا مذكور متقدم الا الرجفة ، قال (رب لو شئت اهلكتهم من قبل) .

قوله سبحانه :

« فلن تجد له سييلاً » (٤/١٤٢) الى طريق الجنة ، والثاني من يخذله الله عقوبة على معاصيه على طريق الرشاد ولم يوفق له امرانه نفسه بسوء اختياره فلن تجد له سييلاً الى الحق يقضيه اليه .

قوله سبحانه :

« ارايت من اتخذ الله هواءه واضله الله » (٤٥/٢٢) ليس فيه انه اضله عن الدين و اضاف الفعل اليه ، ثم بين ان الله اضله اي عاقبه .

قوله سبحانه :

« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » (١٤/٣٢) والخصم لا يجوز

ذلك (ويضل الله الظالمين) اى يعذبهم .

قوله سبحانه :

« ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم » (٣/٦٢)
الاضلال الدعاء الى الضلال الذى يقبله المدعو . وقال بعضهم : انه لا يصح اضلال احد لغيره
وانما يقال ذلك على وجه المجاز ذهب الى انه فعل الضلال فى غيره ، لانه لا يوصف
بانه مضل لغيره اذا ضل المدعو باغوائه . وقال الرمانى : هذا غير صحيح لانه يذم بالاستدعاء
الى الضلال الذى لا يقبله المدعو ، فلذلك فرق بين الاستدعاءين فوصف احدهما بالاضلال
ولم يوصف الاخر به .

قوله سبحانه :

« قل من كان فى الضلالة فليمدده الرحمن مداً » (١٩/٧٦) ولم يقل انه
يمدهم ، والمد فى الطفيلان غير معقول ، وانما يقال مدله فى العمر ، و امده بكذا ، فالمد
اذا اطلق رجع الى العمر وليس هذا فعل من يريد اضلالهم ، بل جميع ذلك دال على
انه يريد الخير بهم ومريد منهم الطاعة والرجوع .

قوله سبحانه :

« يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين » (٢/٢٤) و
قوله (ويضل الله الظالمين) قال الطوسى : من اطلق ان الله تعالى لا يضل ولا يهدى ، وان
العباد يضلون انفسهم او يهدونها فقد اخطأ و تقول : من اضله الله فهو الضال ومن هداه
فهو المهتدى ، ولكن لا تريد بذلك ما يريد به المخالف فيما يؤدى الى التجوير لله فى حكمه ،
لانهم يقولون : ان الله يضل كثيراً من خلقه ، بمعنى انه يصددهم عن طاعته ويحول بينهم
وبين معرفته ويلبس عليهم الامور ويحيرهم ويغلطهم ويشككهم و يوقعهم فى الضلالة و
يجبرهم عليها ، ومنهم من يقول : يخلقها فيهم ويخلق فيهم قدرة موجبة لها ، ويمنعهم
الامر الذى به يخرجون منها ، فيصفون الله تعالى باقبح الصفات واخبثها ، وقلنا : انه قد
اضل قوماً وهدى آخرين ، وانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، غير انه لا يشاء ان يضل
الا من ضل وكفر كما هو مقتضى الايات ، وانيه لا يشاء ان يضل المؤمنين المهتدين

المتمسكين بطاعته، بل يشاء ان يهديهم ويزيدهم هدى ، وانه يهدي المؤمنين بأن يخرجهم من الظلمات الى النور كما قال (والذين اهتدوا زادهم هدى وانا هم تقواهم) وقال (ومن يؤمن بالله يهد قلبه)

فصل

قوله تعالى « قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الى ربي » (٣٤/٤٩) اضاف الضلالة الى نفسه ، ولم يقل بقضاء ربي و ارادته .

قوله سبحانه :

« و يريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا » (٤/٦٣) يدل على بطلان قول المجبرة ان الله تعالى يفعل المعاصي ويريد بها ، لانه نسب اضلالهم الى انه بارادة الشيطان على وجه الذم لهم ، فلو اراد تعالى ان يضلهم بتخلق الضلال فيهم لكان ذلك اوكد وجوه الظلم اضلالهم .

قوله سبحانه :

« اما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا » (٣/١٤٩) خلاف مذهب المجبرة ، لان الله تعالى نسه الى الشيطان وهم ينسبونه الى الله تعالى .

قوله سبحانه :

« وزين لهم الشيطان اعمالهم » (٢٩/٣٧) اي هو الذي يزني الكفر للكافرين بخلاف ما تقول المجبرة ، ان الله هو العزيز لهم ذلك وفيها حجة على من قال : ان الله تعالى لم يرد من الكافر الايمان ، وانه ارسل الرسل بينة عليهم ، وعلى زعم من زعم انه اخذ الكافرين بالبياساء والضراء في الدنيا ليس لما اراد من صلاحهم ، لانه بين انه انما فعل بهم ذلك ليتضرعوا ، وهذه لام الغرض ، لان الشك لا يجوز على الله تعالى .

قوله سبحانه :

« و اضلهم السامري » (٢٠/٨٧) معناه انه دعاهم الى عبادة العجل فضلوا عند ذلك فنسب الله تعالى الاضلال اليه كما ضلوا بدعائه ، وهذا خلاف مذهبهم .

قوله سبحانه :

« اذ الاغلال في اعناقهم ، الى قوله : قالوا ضلوا عنا بل لم تكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضل الله الكافرين » (٤٠/٧٣) قال الحسن : معناه كذلك يضل اعمالهم بان يبطلها وقيل : كذلك يضل الله الكافرين عن نيل ثواب الجنة . وقيل : كذلك يضل الله الكافرين عما اتخذوه آلهة بان يصرفهم عن الطمع في نيل منفعة من جهتها .

فصل

قوله تعالى : « والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً » (٤/٣٢) وقال (يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره) وقال (يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وقال (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) وقال (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) وقال (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله) قد اخبر الله تعالى ان ما اراد منهم غير ما ارادوه ، واخبر انه لا يريد الظلم بوجه من الوجوه ، قوله (وما الله يريد ظلماً للعباد) والله يريد ظلماً للمعاصي ، ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج) واخبر انه لا يحب المعاصي ، قوله (ولا يرضى لعباده الكفر ، والله لا يحب الفساد) انه لا يحب المعتدين ، لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ، ولا يأمر بالفضيحة ولكن الله يحب اليكم الايمان) وسئل النبي عليه السلام هل يريد الله المعاصي وهو يعلمها ، فاحمر خداه وقال : فقيم بعثت . وسمع ابن سيرين رجلاً يقول : ما فعل فلان قال هو كما يشاء الله فقال ابن سيرين لا تقل كما يشاء الله ولكن قل كما يعلم الله ، ولو كان كما شاء الله . كان رجلاً صالحاً : وقال فضيل بن عياض : لو كانت الامور بالمشية فالناس كلهم مطيعون ، واستدل جبري بقوله (ولو شاء ربك لامن من في الارض) فقال عدلى : فاولها و آخرها يفسد دليلك ، اما اولها (فلو لا كانت قربة آمنت) و آخرها (افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .

فصل

قوله تعالى : « وما نشاقن الا ان يشاء الله » (٧٦/٣٠) كلام مجمل غير مفسر ، و هو في القرآن في ثلثة مواضع ، وجميعه في الطاعات ، والطاعة بامر و مشيته ، والكلام

متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة ، لانه تعالى قال (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) اى لا تشاؤون الاستقامة الا والله يريد لها والله يريد الطاعات و لو اراد جميع ما يشاؤون لادى الى مناقضة القرآن ، لانه بين ان ارادته خلاف ارادة المخلوق ذكرناها قبله ، والحكيم لا يجوز ان يريد القبايح ولا المباح لان ذلك صفة نقص وهو تعالى عن ذلك ، وهذه الآية حجة لنا لانه جعل لنا مشية وعلقها بمشيته ، وعندهم ان مشية الله تعالى فعله ولا حجة لهم فيه لانه معارض بالآيات الصريحة فى انه تعالى لا يريد القبح ، ويمكن حمل الآية على العموم لان العباد يشاؤون عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريدوا ما علم الله سبحانه لانه لا يقيم بمنع او غيره .

قوله سبحانه :

«من يراد الله ان يهديه يشرح صدره الاسلام و من يرد ان يضل يجهل صدره ضيقاً حرجاً» (٦/١٢٥) الضمير فى قوله (يشرح صدره للاسلام) عايد الى اسم الله لقوله «فمن شرح الله صدره للاسلام» وقوله (الم نشرح لك صدرك) والمعنى ان الفعل مسند الى اسم الله فى اللفظ، وفى المعنى الى المشرح صدره ، وانما نسبة الى ضمير اسم الله لانه بقدرته كان وتوفيقه ، كما قال (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ويدل على ان المعنى لفاعل الايمان اسناد هذا الفعل الى الكافر فى قوله (ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله) فكما اسند الفعل الى فاعل الكفر كذلك يكون اسناده فى المعنى الى فاعل الايمان ، ويحتمل ان يكون راجعاً الى من وتقديره ان المهدي يشرح صدر نفسه ، ويكون تقديره من اراده الله يهديه الى طريق الجنة فليطعه ومن اراد ان يعاقبه فليعصه ، والارادة واقعة على فعل العبد بقلبه الضيق ، بوضح ذلك قوله (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره و قلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً) فالاطمينان الى الايمان فعلهم لا محالة لانه ايمان ثم نسب تعالى شرح صدرهم بالكفر اليهم .

قوله سبحانه :

«من يشأ الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم» (٦/٣٩) لا يجوز ان يكون على عمومه لانا قد علمنا انه تعالى لا يشاء ان يضل الانبياء والمؤمنين ولا يهدي الكافرين كما قال (والذين اهتدوا زادهم هدى) وقال (يهدى به الله من اتبع رضوانه) وقال (ويضل الله الظالمين) وقال (وما يضل به الا الفاسقين) وتأويل (من يشأ الله يضلله) اى يخذله

بان يمنع الطافه فاعرض عن الادلة فيكون كالاصم والاعمى وقيل : من يشاء الله اضلاله
عن طريق الجنة ونيل نوابها بضله على وجه العقوبة ومن يشاء ان يرحمه يهديه الى الجنة .

قوله سبحانه :

«ولو شاء الله ما اقتل الذين» (٢/٢٥٤) ليس فيها اكثر من أنه لو شاء ان لا يفعلوا
ذلك ما فعلوه فمن اين يدل على انه قد شاء ما فعلوه وليس كل من لا يشاء شيئاً يكون مريداً
لضده لان المسلمين لو شاءوا لمنعوا اهل الذمة في دار الاسلام عن المنكرات فليسوا بما
نعمين وهم غير راضين ولا مريدون لذلك .

قوله سبحانه :

«ولو شاء لجمعهم على الهدى» (٦/٣٥) لم يقل اني لو شئت من جميعهم الهدى
لامنوا ولم يقل لو شاء لاجتمعوا على الهدى وكيفية جمعهم عليه اما ان يكون جبراً كقول
المجبرة او بأن يوجد فيهم القدرة الموجبة له كقول البخارية ، او بأن يفعل بكل منهم اللطف
يوضح ذلك قوله (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) مع قوله (و لو أننا نزلنا اليهم
الملائكة) فمعلوم ان هذا الايمان الذي نفاء عنهم عند انزاله هذه الايات ليس هو الايمان
الذي اوجبه بقوله فضلت اعناقهم اذ لو كانا واحداً لتناقض القولان لان احدهما يقتضى
انهم لا يؤمنون ابداً عند نزول شئ من الايات والاخر يقتضى ايمانهم عند نزول الآية من
السماء فلا بد من فرق و الاتناقض الكلام فما نفاء فهو الايمان الاختياري و مما اثبت
فهو الضروري .

قوله سبحانه :

«ولو شاء الله ما اشر كوا» (٦/١٠٧) (ولو شاء ربك ما فعلوه) الظاهر انه لو
شاء ان لا يفعلوا ما فعلوا من الشرك والقنبل وليس فيه انه قد شاء ان يفعلوا ذلك ولو شاء
ان يلجئهم الى خلاف ذلك الجاء اذاً فعلوه ولكنه فيه زوال التكليف وارتفاع الامر والنهي
وغير ذلك

قوله سبحانه :

«ولو شاء الله ما اقتلوا» (٢/٢٥٤) قال الحسن : هذا اخبار عن قدرته على

الجماعة على الامتناع من الاقتتال أو بأن يمنعهم عن ذلك ، وقيل لا يدل قوله (ولو شاء الله ما اقتتلوا) على انه قد يشاء اقتتالهم لأنه اذا احتمل الكلام وجهين جائز عليه وغير جائز وجب حمله على ما يجوز عليه وهذا كقول القائل : لو شاء السلطان لم يشرب النصارى الخمر ولا تكلمت المجوس المحرمات وليس في ذلك دليل على انه قد شاء .

قوله سبحانه :

« ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة » (١١/١٢٠) لم يبين على اي وجه جبراً او اختياراً . الوزير الامي :

اذا فعلت ما اراد ربي و لم احد عنه فما ذا ذنبي
يخلق ذنبي وأكون آنما بظلمني ثم اسمى ظالمأ

قوله سبحانه :

« ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة » (٥/٥٣) قال الحسن والجبائي : انه اخبار عن القدرة كما قال (و لو شئنا لا تيناكل نفس هداها) وقوله (ولو شاء الله لا تنصر منهم ولكن ليلو بعضهم ببعض) قال الجبائي : معناه لو شاء الله لفعل بهم ما يختارون عنده الكفر لكنه لا يفعله لانه مناف للحكمة . وقال قزم لو شاء الله لجعلهم على ملة واحدة في دعوة جميع الناس شريعة واحدة مع اختلاف المصالح . وقال الحسن المغربي : معناه لو شاء الله لا يبعث اليهم انبياء فيكونوا متعبدين بما في العقل ويكونون امة واحدة .

قوله سبحانه :

« ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك و لذلك خلقهم » (١١/١٢٠) عني بالمشية الجاء لا اختياراً وانما اراد ان يخبرنا عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا يعصى مقهوراً ولفظة المشية في الآية لا يجوز حملها على الاختلاف والذهاب عن الدين لانه نهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون شائياً له ومجبوراً للعباد عليه ثم ان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على اقرب المذكورين اولى وقوله (ولذلك خلقهم) كناية عن الاجتماع على الايمان كما قال (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقال (و لو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) و

معناه انه لو شاء أن يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعم امة واحدة و لا يزالون مختلفين في الدين والذهاب عن الحق فيه . وقال ابو مسلم : معنى مختلفين اي ان خلف هؤلاء الكافرين بخلف سلفهم في الكفر كما قال (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً) وبهذا الاختلاف يريد الله تعالى .

قوله سبحانه :

« ولو شاء ربك لآمن من في الارض » (١٠/٩٩) انما يقتضى اثبات قدرته على تكوين ذلك الشيء . وانه لو شاء ان يؤمن الكل على سبيل الجبر لامنوا كما قال (ان نشأ نزل من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين) و قد دل على ان المراد به الاكراه قوله (افأنت تكفر بالناس حتى يكونوا مؤمنين) معناه انه لا ينبغي ان يريد اكرامهم لان الله تعالى يقدر عليه ولا يريد له لانه ينافي التكليف . ابن عباد :

و لو اراد ربنا ان يشتما
و فعل الشاتم ما قد حتما
لكان فيه طائفة ما قد علما
و كان من عذبه قد ظلما

قوله سبحانه :

« ولو شئنا لا تيناكل نفس هداها » (٣٢/١٤) لا خلاف انه قادر على هداية الجميع وانه لو شاء ان يفعل له فعله والنزاع في كيفية هدايته بهديهم من جبر او اختيار ، والهداية في الابة الثواب بدل عليه عقبيه (ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين) فين انه قادر على ذلك ولو شاء لنجى الجميع ولكن وجب فيه ان يملأ جهنم منهم لاستحقاقهم ، ويحتمل ان يريد النجاة لقوله فيما قبل ذلك (ربنا ابصرنا) فيبين انهم سألوا ردهم بعد ما عاينوا ما كانوا يوعدون ، فقال (ولو شئنا لا تيناكل نفس هداها) يعني طلبتها وما يتوصل به الى نجاتها .

قوله سبحانه :

« و لو نشاء لطمسنا على اعينهم » (٣٦/٦٦) قال الحسن وقتاده : لتر كناهم ، والطمس محو الشيء حتى يذهب اثره ، والطمس على العين اذهاب الشق الذي بين الجفنين ، والطمس على المال اذهابه ، والطمس على الكتاب امحائه ، وطمس الريح الاثر ، وهذا بيان من الله تعالى انهم في قبضته وهو قادر على ما يريد بهم فليحذروا تنكيله بهم ، ثم قال

زيادة في التعذيب (و لو نشاء لمسخناهم على مكاتمتهم) والمسخ قلب الصورة الى خلقة مشوهة ، كما مسخ قوم قردة وخنزير ، و المسخ نهاية التنكيل ، و قال الحسن وقناده : لمسخناهم على مقعدهم او على ارجلهم ولو فعلنا بهم ذلك لما استطاعوا مضياً .

قوله سبحانه :

« افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » (١٣/٣٠)
ظاهره يدل على أنه لو شاء لهداهم الى الايمان الاختيارى وما اثبتته فهو الضرورى ، ومعنى (افلم ييأس الذين آمنوا) اى لم يبين . قال سجييم :
اقول لاهل الشعب اذ يبشروننى الم ييأسوا انى ابن فارس زهدم

قوله سبحانه :

« وعلى الله قصد السبيل » (١٦/٩) اى بيان الهدى من الضلال ، ومنها جائز اى طريق عادل عن الحق ولو شاء لهداكم اجمعين . قال الحسن والبلخي : لو شاء بالالهاء ، وقال الجبائى : لو شاء لهداكم الى الجنة .

قوله سبحانه :

« ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء » (٩/٢٧) الماعلقه بالمشية لان قبول التوبة واسقاط العقاب عندنا تفضل ، ولو كان ذلك واجباً لما جاز تعليق ذلك بالمشية كما لم يعلق الثواب على الطاعة والعوض على الالم فى موضع بالمشية .

قوله سبحانه :

« وان خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » (٩/٢٨) ان شاء علقته بالمشية لان منهم من لا يبلغ هذا المعنى الموعود به لانه يجوز ان يموت قبله ، ويقال ليقطع الآمال الى الله تعالى ، كما قال (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين)

قوله سبحانه :

« و لو اننا ازلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئنى قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء » (٦/١١١) لاختلاف انهم لا يؤمنون الا بمشيته ، لانه لا يصح من احد ايمان الا بعد ان يأمره بذلك ويريد منه ، ومتى ماله يأمره بذلك ولم

يرد منه فليس بإيمان ؛ وفي قوله (الا ان يشاء الله) وجهان ان تلجيه الى ذلك وهو الصحيح ولا يجوز انهم لا يؤمنون ما لم يشأ الله منهم ان يؤمنوا انه لا يجوز ان يريد المعاصي فانه قد اراد من الجميع الايمان وانه ذكر ذلك تقرعهم ولو ارادهم انما لا يؤمنون لاني ماشئت منهم الايمان ومتى شئت آمنوا كان مبنياً بذلك عندهم واصح احتجاجهم بانه (لو شاء الرحمن ما عبدوا من دونه من شيء) ولادى الى تناقض القرآن نحو (فمن شاء فليؤمن) انا هدينا السبيل

فصل

قوله تعالى : « و لا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله »

(١٨/٢٣) ليس فيه ان افعالنا متعلقة بمشيئته ، لانه لم يقل حتى تقول ان يشاء الله ، اوله يقل الا ان تقول وادعاء المحذوف عدول عن الظاهر . قال الفراء : تجعل حرف الشرط الذى هو ان متعلقا بما قبله وبما هو متعلق به فى الظاهر من تقدير محذوف ، ويكون التقدير ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غداً الا ان تقول ان يشاء الله ، لان من عادتهم اضممار القول فى مثل هذا الموضع والموجود منه دلالة على المققود وهذا تأديب من الله لعباده حتى يخرجوا من حدا القطم ولا شبهة ان ذلك مختص بالطاعات دون المقبيحات ولا يستجيز مسلم ان يقول انى اذن غداً ان يشاء الله ، وقال ابو على . عنى بذلك ان من لا يأتى ان يبقى الى غد فلا يقول انى سافعل غداً كذا وكذا فانه ربما مات او عجز او منع فلا يأتى ان يكون خبره كذبا فى معلوم الله فلا يسلم خبره هذا من الكذب الا بالاستثناء . الناشى :

قد قلت ربى يشاء شيئاً وبسخطه	و انه قد قضى ما ليس راضيه
و انه قد يكون العبد متبعاً	لما يشاء يقضى وهو عاصيه
و انه جائز فى العدل خالفنا	تكليف عبد ضعيف لا قوى فيه
و انه ارسل الداعى ليدعونا	و صد اكثرنا عن امر داعيه
وقال من لم يجب داعى مستبقا	فسوف ادخله ناراً واصليه
كفعل ذى حنق قاس وذى عنف	يعيب جور القضاء منا و يأتيه
يقدر الكفر فينا ثم بسخطه	يقول الم كان ما قضى وانشيه

قوله سبحانه :

«لندخلن المسجد الحرام ان شاء الله» (٤٨/٢٧) (اذقسموا ليصر منها مصبحين ولا يستثنون) (٦٨/١٧) انما امر بالاستثناء ليكون فرقاً بين كلام الخالق وكلام المخلوق يؤيد ذلك ما قلنا انه لا يجوز ان يقول انى ازنى غداً ان شاء الله ، وانما جاز فى الطاعات والمباحات وقال البلخى : معنى ان شاء الله اى امركم الله به ، لان مشيئة الله تعالى لفعل عباده هو امره به . وقال قوم : هو تأديب لما كما قال (ولانقولن لشيئى انى فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله) .

قوله سبحانه :

حكاية عن شعيب * قد افترينا على الله كذباً ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجينا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله » (٧/٨٧) ذكر انه ليس له ان يعود فيها الا ان يشاء الله ، ومتى شاء ذلك كان له ان يعود فيها ، والخصم لا يجيز للمكلف ان يعود فى الكفر ان شاء الله ذلك ، وقوله (فيها) كناية عن العلة .

قوله سبحانه :

«قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضراً الا ان يشاء الله» (٧/٨٨) لم يقل لأضر نفسي ولا أنفعها ، ولا ياحقها نفعا ولا ضراً الا بمشيئته ، بل نفى الملك للضرر والمنفعة فوق الاستثناء بالملك فوجب أن تكون المشيئة مشيئة الملك لا للضرر الذى يملكونه ، وقد جعل له ملكاً بقوله (او املكك يمينك) .

قوله سبحانه :

«وانا انشاء الله لمهتدون» (٢/٦٥) الافعال المستقبلية لا يصح اطلاقها دون تعليقها بمشيئته ليخرج الخبر من أن يكون قطعاً وحكماً بتأكما ذكرناه وبعد فانه انما يصح ذلك فى الطاعات دون المعاصى .

قوله سبحانه :

«فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين» (٣/٣٨) يعنى لا يريد نوابهم من أجل كفرهم فاذا لا يريد كفرهم لانه لو اراده لم يكن نفى محبته لهم لكفرهم .

قوله سبحانه :

« كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال الى برىء منك الى اخاف
الله رب العالمين » (٥٦/١٦) ليس فيها من قصة برصيصا شبي، مما يقولون فيه .
العبدى : وهم شبهوا الله العلى بخلقه و قالوا خلقنا للمعاصى واجبرنا
ولو شاء لم نكفر وقد شاء كفرنا وان شاء لم يؤمن وان شاء آمننا

فصل

قوله تعالى : « لا يكلف الله نفساً الا وسعها » (٢/٢٨٦) (ولا يكلف الله
نفساً الا ما أتيتها ، لا تكلف نفس الا وسعها) والوسع دون الطاقة . قال الشاعر : كلفتها الوسع
فى سبرى لها أصلاً . والنوسع منها دون الجهد والوخد ، وفى ذلك دلالة على بطلان
قول المجبرة من الله تعالى يكلف العبد ما لا قدرة له عليه ، وقوله (فاتقوا الله ما استطعتم) والله
على الناس حجة البيت من استطاع اليه سبيلاً ، ما جعل عليكم فى الدين من حرج ، يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، يريد الله أن يخفف عنكم) ولوجاز تكليف ما لا يطاق ليجاز
أن يكلف الاعمى النظر والمقعّد المشى ، ولجواز أن يكلفنا الطيران ، ولوجاز ذلك ليجاز أن
يكلف الاشجار والاحجار والنبات والجماد . وسئل الرضا عليه السلام : فقيل له هل
يكلف الله العباد ما لا يطيقون ؟ . فقال : الله اعدل من ذلك ، فقيل هل يستطيعون أن يفعلوا
ما لم يقدر لهم ؟ فقال : هم اعجز عن ذلك

الصاحب : لو كلف العبد بلا استطاعة ماذم من أبدى له امتناعه
ولا أقام للعباد الساعة اف لهذا القول من شناعة

قوله سبحانه :

« ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به » (٢/٢٨٦) أى ما يشتد كلفته من العبادات المتعبه ،
يقال والله ما استطيع النظر اليك ولا يطيق الا كتحال برؤيتك مع أنه براه يدل عليه قوله
(ولا تحمّل علينا اصراً) ولا تحمّلنا من العذاب ما لا طاقة لنا به فى الدار الدنيا ، وانه كلام
مبهم ليس فيه دلالة على شبي .

الصاحب : قالت أيلزم نفساً فوق طاقتها فقلت حاشاه هذا فعل ذى خيل
قالت يشاء معاصينا ويؤثرها فقلت لو شاهاهم نخش من زلل

قوله سبحانه :

«الَّذِينَ يَسْتَعِظُونَ عَلَى صَبْرٍ» (١٨/٦٦) لم يرد نفى القدرة وإنما أراد ثقله عليه لقوله (و كيف تصبر على ما لم تحيط به خبراً) ويقتضى أنه لا يستطيع الصبر في المستقبل لأن إن إذا دخلت أفادت الاستقبال ولم يرد به نفى قدرته عن الصبر لقوله (و كيف تصبر) ولا يدل على أنه غير مستطيع الصبر في الحال ، وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ما هو في الحال مستطيع له غير أن الآية يقتضى خلاف ذلك لأنه قد صبر عن المسئلة عما لا يعرف ومثل ذلك يصعب على النفس ، وقد استقبل موسى الصبر عن المسئلة قوله (و كيف تصبر على ما لم تحيط به خبراً) ولولا يمكن كما قلنا قال : و كيف تصبر وأنت مطيق الصبر ، وقوله (لا يستطيع معي صبراً) أي أن الصبر ثقل على طبعك ، كما يقال للمريض أنك لا تستطيع الصيام ، ويعبر بالاستطاعة عن الفعل (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا).

قوله سبحانه :

«إِنَّمَا تَسْمَعُ الصَّمَّ» (١٠/٤٣) ليس فيها أنهم صم وأنهم لا يعقلون ، وإنما فيه أن النبي عليه السلام لا يسمع وإن كانوا يعقلون أوقاتاً .

قوله سبحانه :

«مَا كَانُوا يَسْتَعِظُونَ السَّمْعَ» (١١/٢٢) الظاهر يقتضى نفى استطاعتهم السمع والبصر وليس بفعل للعبد ولا يصح أن يكون له قدرة عليه ، وقد ذمهم بأنهم لا يستطيعون كالاعمى والاصم ، والاعمى والاصم لا يستحقان الذم على كونهما أعمى وأصم والسمع والبصر ليس بمعنى فيكون مقدوراً لأن الإدراك ليس بمعنى ولو ثبت أنه معنى لكان غير مقدور للعبد من حيث يختص القديم تعالى بالقدرة عليه هذا إذا أريد به نفس الحاسة و هي غير مقدورة للعباد ، لأن الجواهر وما يختص به الحواس من البيئة مما يصح به الإدراك ما يتفرد القديم تعالى بالقدرة عليه ، ولم يرد الله تعالى نفى الاستطاعة وإنما أراد بها نفى القبول عنهم واستثقالهم له ، كقول القائل ما استطيع أن اسمع كلام فلان ولا يستطيع فلان أن يراني ولأن يسمع بذكرى وقوله (لا يستطيعون سمعاً) أي يستثقلون ويقول من يكلف غيره أمراً يستطيع أن يذهب به إلى موضع كذا كما حكى الله تعالى عن الحواريين (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) فهم لم يشكوا في إن الله تعالى قادر فلو شكوا لكانوا كفاراً ولكن أرادوا هل ينزل علينا مائدة .

قوله سبحانه :

«المفقرء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون » (٢/٢٧٤) يدل على فساد قول المجبرة فى الاستطاعة لان الله تعالى اذا عذر من لا يستطيع للمخافة كان لا يستطيع لعدم القدرة اعذر *

قوله سبحانه :

«ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئى » (١٦/٧٧) فانه جعل ذلك مثلا ولم يخبر أن جميع الناس كذلك ، فقال اذا كان عبدا لا يقدر على الاتفاق هل يستوى هو ومن يقدر على الاتفاق وانفق وفى الظاهر نفى القدرة عنه اصلا ، ولا نقول القوم بذلك وأخير ان الآخر يقدر على الاتفاق فهو ينفق منه سرا وجهرا وذلك خلاف قولهم *

قوله سبحانه :

«انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا» (١٧/٥١) ليس فيه ذكر الشئ الذى لا يقدرون عليه ولا بيان له وانما يصح ما قالوه لو بين انهم لا يستطيعون سبيلا لامر معين فاما ما لم يذكر ذلك فلا متعلق لهم على ان السبيل مما لا استطاع فلا دله من ترك الظاهر فسقط المتعلق والمراد بالاية انهم لاجل ضلالهم ، ضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلا الى الخير الذى هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب والمراد بنفى الاستطاعة انهم مستقلون بالايمان وقد يخبر عن استثقل شئاً بانه لا يستطيعه *

قوله سبحانه :

«الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا» (١٨/١٠٢) الظاهر أن اولئك لم يستطيعوا السمع الذى هو ادراك الصوت *

قوله سبحانه :

«سحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهاكون أنفسهم» (٩/٤٢) يعنى بالايمان الكاذبة (والله يعلم انهم لكاذبون) اى يستطيعون فلا يفعلون او لو استطاعوا ما فعلوا فلو كانت الاستطاعة مع الفعل لكانوا لعجزة وكانوا صادقين .

قوله سبحانه:

«من استطاع اليه سبيلاً» (٣/٩١) يدل على ان الاستطاعة قبل الفعل لان الله تعالى اوجب الحج على المستطيع ومن لا يستطيع لا يجب عليه وذلك لا يكون الا قبل فعل الحج ، وقبل اي من وجد الزاد والراحلة ونحوهما ، والاستطاعة بالسمع لا يصح للمخصم فيه التعلق لان من جوز تكليف الله تعالى الكافر الايمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبايح عن الله تعالى واذا لم يمكن ذلك يلزمه تجويز القبايح في افعاله و اخباره ولا نأمن ان يرسل كذاباً وأن يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك .

قوله سبحانه :

«يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ، الى قوله وهم سالمون» (٦٨/٤٢) والسالم غير العاجز فلو كانت الاستطاعة مع الفعل لكانوا عجزوا اذا لم يفعلوا لان الفعل معدوم واذا عدم الفعل عدمت الاستطاعة لانها معه .

قوله سبحانه:

«اياك نعبد و اياك نستعين» الظاهر يقتضي التماس الممونة من قبله ولا يدل على تحصيل الممونة بالامور المعينة على الطاعة نحو الصحة والخواطر والتنبية والدواعي وغير ذلك فثبت ان الاستطاعة قبل القدرة ، ولا يدل على ان القدرة مع الفعل لان الرغبة في ذلك تحتمل ان يسأل الله تعالى من الطافه وما يقوى دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل ومتى لطف له بان يعلمه ان له في عاقبته الثواب العظيم زاد ذلك في رغبته ، وايضاً فانه يطلب بقاء كونه قادراً على طاعاته المستقبلية بأن يجدد له القدرة حالاً بعد حال عند من لا يقول ببقائها ولا بفعل ما يضادها وبنفيها عند من قال ببقائها .

قوله سبحانه :

«ومن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً» (٢٦/٢٩) يدل على انه قادر قبل ان يفعل .

قوله سبحانه :

«والذين يظاهرون من نسائهم» الى قوله (فمن لم يستطع فاطعام مستين مسكيناً)

(٥٨/٤) امر الله تعالى أن يحكم على المستطيع بصيام شهرين متتابعين ، وانما يلزمه ذلك بعد العجز عن العتق والصوم ، فثبت ان الاستطاعة قبل الفعل .

قوله سبحانه :

«ستجدني ان شاء الله صابراً» (١٨/٦٨) لا يدل على ان القدرة مع الفعل لانه اخبر انه سيكون صابراً .

قوله سبحانه :

«خذوا ما آتيناكم بقوة» (٢/٦٠) قال ابو علي اي القدرة التي خلقتها فيكم وفي ذلك دلالة على ان القدرة قبل الفعل .

قوله سبحانه :

«والى عليه لقوى أمين» (٢٧/٣٩) يدل على ان القدرة قبل الفعل الا ترى انه اخبر بانه قوى عليه ولم يجرى بعد بالعرش . وقال بخارى لمحمد بن سويد : اتقول ان الاستطاعة قبل الفعل وما من عامي الا ويعلم خلاف قولك فقال بل يعلم خلاف قولك فانظر فدعى بحمال فقال ان هذا يزعم انك لا تستطيع حمل هذا الكور فشتم الحمال لمن يقول هذا الوزير الآتي ما كلف الانسان ماله يطق هل كلف الاخرس المنطق او كلف الاعمي انتقاد الدر او الا صم سمع صوت الذر

قوله سبحانه :

«وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء» (٢/٢٩) وهذا أقبح من تكليف ما لا يطاق ، الجواب ظاهر الآية ان كان امر آي يقتضي التعلق بشرط هو كونهم صادقين عالمين بانهم اذا أخبروا عن ذلك صدقوا فكانه قال خبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى انفسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم ، وقيل أنبؤني وان كان ظاهره ظاهر امر على الحقيقة بل المراد به على التقرير والتنبيه على مكان الحجية : وان الله تعالى لما قال للملائكة (اني جاعل في الارض خليفة) الى قوله (ونقدس لك) قال لهم (اني اعلم ما لا تعلمون) اي اطلعم على مصالحكم ثم اراء التنبيه على انه لا يمتنع أن يكون غير الملائكة مع انها تسبح و

تقدس وتنطيم ولا تعصى اولا بالاستغلاف في الارض واذا كان في ذريته من يفسد ويسفك
الدماء فعلم آدم جميع أسماء الاجناس او اكثرها ثم قال (أنبؤني بأسماء هؤلاء ان كنتم
صادقين) مقرر أنهم ودال على اختصاص آدم بعالم يخصوص به فلما اعترفوا بذلك قال لهم تعالى
(الم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) .

يا رب ما حملتني فوق طاقتي وحوشيت من تكليف ما لا اطيقه

فصل

قوله تعالى: « فطرة الله التي فطر الناس عليها » (٣٠/٢٩) وقوله (صبغة)
الله ومن أحسن من الله صبغة) وروى عن النبي عليه السلام : كل مولود يولد على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . الخبر تكلم الناس في ذلك : فردى أنه قال التوحيد ،
وقال ابو عبيد : صبغة الله دين الله وفطرة الله التي فطر الناس عليها ، وقال ابن قتيبة : يعنى
بذلك حديث الذرفى الاصلاب ، وقال الجبرية : اى خلق على كفر او على ايمان ، وقال
محمد بن الحسن : كان هذا في اول الاسلام قبل ان امر الناس بالجهاد ، والفطرة فى اللغة
هو الابتداء يقال فطر ناب البعير ، وقال مجاهد فى قوله (والسما منقطر به) اى منشق ، وقال
غيره (فاطر السموات والارض) اى مبتدعها فيكون معنى الآية والخبر كل مولود يولد
على الفطرة ، اى ابتداء الخلق كان الله تعالى لما ابتداهم وابتداهم فطرهم على العبودية
له ونهاهم أن يعبدوا غيره يدل عليه ما بعد الآية (لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم)
ويؤيده قوله (وما خالت الجن والانس الا ليعبدون ، فمنهم من اهتدى ومنهم من ضل)
من نفسه او من غيره ، وقال الفراء : سميت صبغة الله لان اليهود والنصارى كانوا يصبغون
اولادهم فيقول الله عز وجل الزموا صبغة الله ، وقال بعضهم كانت النصارى اذا أتى على اولادهم
سبع سنين صبغوه فى ماء نهر الاردن وكان ذلك لهم بمنزلة الختان للمسلمين وتزعم النصارى
أن المسيح صبغه بوحنا المعمودان وكان يسمى هذا الفعل المعمودية .

ابن حماد: يتولون فى الله غير الجميل	فقد الحدوافيه ما وحدوه
بولونه قبح أفعالهم	تنزه عنها العلى التزيه
وقالوا يعذبنا فى المعاد	على فعله جنل من جوزوه

قوله سبحانه :

« ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة » (٢/٦)

الختم في الشاهد غير مانع من الايمان لانه يفك المختوم من الكتب والتكيس ويحمل منه وانما هو علامة يعرف بها تنازل المختوم عليه ، والمختوم على قلوبهم ، اما أن يكونوا قادرين على الايمان قبل الختم او غير قادرين فإن كانوا غير قادرين استحال المنع ، وان كانوا قادرين عليه قبل فهم في حال الختم قادرين . وقيل (ختم الله على قلوبهم) أي يشهد عليها بأنها لا تقبل الحق ، يقول القائل : أراك تختم على كل ما يقوله فلان أي تشهد به وتصدقه ، وقد ختمت عايتك بأنك لاتعلم أي شهدت ، وقيل (ختم الله) اخبار عن تكبرهم واعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق كما يقول فلان أصم عن هذا الكلام اذا امتنع عن سماعه ورفع نفسه عن تحمائه ، ويحتمل أن يكون المراد بختم سيختم ويكون الماضي بمعنى المستقبل كقوله (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) وقيل : المعنى في ذلك أنه ذمهم بأنها كالمختوم عليها في أنه لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر . قال الشاعر : لقد أسمعت او ناديت حياً ولكن لاحياة لمن تنادي

قوله سبحانه :

« بل طبع الله عليها » (٤/١٥٤) وقوله (طبع الله على قلوبهم) وقيل معناه أن الله تعالى يجعل نكتة سوداء في قلب المنافق والكافر لتكون علامة للملائكة يعرفون بها أنه ممن لا يفلح أبداً ، وقيل : أي طبع فيها أثر الذنوب لتعرفها الملائكة فينبشروا منهم ولا يبالوهم يستغفروا لهم ، وقيل : المراد بذلك الذم لها بأنها كالمطبوع عليها فلا يدخلها خير ولا ينتفي عنها شر وحال الذم تقتضي صفات المدح . قال جرير :

السم خير من ركب العطايا و اندى العالمين بطون راح

وبعد فإن الطبع وقع بنفس الكفر . فقال (بل طبع الله عليها بكفرهم) والخصم لا يقول بذلك ، ويكون معنى الطبع والختم العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن والمنع انما يصح في القادر لان من ليس بقادر على الشيء غير معقول .

قوله سبحانه :

« انهم فتية آمنوا بربهم و زناهم همدى ، و ربطنا على قلوبهم »

(١٨/١٢) الربط هو الشد في الاصل ولاتعلق بذلك في باب الايمان وليس فيه ما يربط على قلوبهم وانما فيه الاخبار عن الربط .

قوله سبحانه :

« وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا » (٦٢٥) لا تعلق للمخصم فيه لأنهم لما عدلوا عن الحق جعلت الأكنة على قلوبهم والوقر في آذانهم عقوبة لهم لاختيارهم ذلك وانه قال (أن يفقهوه) ولم يقل لئلا يفقهوه وهذا عدول عن الظاهر ، والكن على القلب والوقر في الاذن غير مانعين من الايمان لان الغطاء المسمى الخلب هو في البطن وله غطاء والصم أكدم من الوقر وقد يؤمن الصم ولا مانع هناك لقوله (وما منهم الناس أن يؤمنوا) ونحوها.

قوله سبحانه :

« لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ، انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون ، وجعلنا من بين أيديهم سدا ، الآية » (٣٦) المنع من الايمان لا يصح على مذهبهم ، وانما صح على مذهب من قال بالاختيار والجري على الظاهر غير موجب المنع من الايمان لان المغلول والمأخوذ عليه يؤمن ، وما ذكره جرى على جهة الذم لهم والتوبيخ وانهم من حيث أعرضوا عن الايمان لم ينتفعوا بالآيات الدالة على الحق بشهد بذلك قوله عقيب الآية بالافصل (سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وعقيب الآية الثانية (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا) ثم ان المراد بهذه الآيات وصف حالهم في الآخرة فقوله (في الاغلال والسلاسل) كقوله (خذوه فغلوه) وقوله (اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون) وقال السدي (يوم يقول المنافقون والمنافقات ، الى قوله ، من قبله العذاب) قل (و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً) قال السدي : ان ناساً من قريش هموا بقتل النبي عليه السلام فلما جاءه جعلت أيديهم الى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا اليه يده وقال قوم : حال الله بينهم وبين ما أرادوه فعبّر عن ذلك بانه (غلت أيديهم) وقوله (أعشىناهم فهم لا يبصرون) اي بظلمة الليل فهم لا يبصرون النبي عليه السلام كما قال (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً).

قوله سبحانه :

« على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » (٢/٦) ليس فيها أنه

يفعلهم الله تعالى في القلب او يصدبهم عن الايمان وانما أراد بالغشاة الفهم للكفر ومحبتهم له ولم يقل تعالى أنه جعل على قلوبهم غشاة بل أخبر أنه كذلك .

قوله سبحانه :

« وجعلنا قلوبهم قاسية » (٥/١٦) اي منعناهم اللطاف التي تنبه المؤمنين .

قوله سبحانه :

« كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (٨٣/١٤) معناه ليس الامر على ما قالوه بل غلب على قلوبهم ، يقال : رانت الخمر على عقله ترين ربنا اذا سكر فغلب على عقله ، فالرين غلبة الشك على القلب قال ابو زيد الطائي :

ثم لما راه رانت به الخمر وات لا يرينه باتفاء

وقال الحسن وقتاده : الرين الذنب على الذنب حتى يموت القلب ، وقيل معناه ران غملي وغشى قال البلخي : وفي ذلك دلالة على ما بقوله أهل العدل لان الله تعالى أخبرهم أنهم الذين يجعلون الرين على قلوبهم .

قوله سبحانه :

« فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » (٣/٩٨) قالوا اذا كان الله هو الذي آلف بين قلوبهم وأنقذهم من النار صح أن أفعال الخلق خلق له ، قلنا لا يجب ذلك لانا نقول أن النبي عليه السلام آلف بين قلوب العرب فأنقذهم من النار ولا يجب ذلك أن يكون أفعالهم أفعالا للنبي عليه السلام ولا مشاركالهم ، ومعنى فأنقذكم من النار أنه دعاهم الى الايمان و رغبهم فلما كان اسلامهم ونجاتهم بمؤنته و دعائه كان هو المؤلف لقلوبهم و المنقذ لهم من النار على هذا المعنى لأنه انشأ أفعالهم وأحدثها ، ويجوز أن يقال آلف الله بين الكفار فلم ياتلفوا وأنقذهم فلم يستنقذوا فيفيد ذلك كما قال (وأما نمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) .

قوله سبحانه :

« واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » (٨/٢٤) وعدهم بالحيلولة بينهم و

بين قلوبهم والوعيد لا يقع الا بما ذكره والظاهر يقتضى أن يفرق بين المرء وقلبه حتى لا يتصل أحدهما بالآخر لان هذا هو حقيقة الحيولة وليس للايمان فيها ذكر يحول بين المرء وقلبه بازالة عقله وابطاء تمييزه وان كان حيا يقال لمن فقد عقله و سلب تمييزه أنه بغير قلب قال الله تعالى (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) . قال الشاعر .

ولى ألف باب قد عرفت طريقها ولكن بالقلب الى أين أذهب

وبمعنى المبالغة فى الاخبار عن قرب من عبيده وأن الضمائر له بادية قوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) واذا كان عز وجل أعلم بما فى قلوبنا منا ، ويجوز علينا السهو والنسيان والضلال جازله أن يقول أنه يحول بيننا وبين قلوبنا لان كل شىء يحول بين شيئين فهو أقرب اليهما فقد بالغ الله تعالى فى صفته القرب ولم يرد به المسافة ، كما تقول العرب فلان أقرب الى قلبى وزيد معنى قريب يحول بينهما أى يحول بينه وبين ما يدعوه اليه قلبه من القبايح بالامر والنهى والوعد والوعيد لانه أعلم انه تعالى اولم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوة والنفاق لم يكن له عن القبيح مانع فكان التكليف حائل بينه وبينه من حيث زجر عن فعله ، ثم أن المؤمنين كانوا يفكرون فى كثرة عددهم فيدخل فى قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبده بالخوف أعنا ويبدل عدوه على ضده . الجبالي : يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يمكنه استدراك ما فات ويقوى ذلك مقالة فى آخر الآية (وانه اليه تحشرون) . هشام بن سالم قال الصادق عليه السلام : يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حق . ابن زريسك : وليس يحول الله بين مكلف وطاعته كلا وهو شىء من الجبر .

قوله سبحانه :

« لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا » (١٨/٢٧) أى وجدناه غافلا متبهاً هواه ، يدل على ذلك قوله (واتبع هواه) كان أمره فرطاً) ويقال لا تطع من سمينا غافلاً او نسبناه الى الغفلة كقولك كفرناه أى نسبناه الى الكفر ، ويقال أى من تركنا قلبه غفلاً ولم نسمه بسمة المؤمنين من الكناية ويكون ترك السمة أصلاً علامة أيضاً على الكفر .

قوله سبحانه :

« واولى قلوبهم العجل بكفرهم قل بنسأياً ، ركبهم به ايمانكم » (٢/٨٧)

ليس فيها ذكر للمحبة والمجل لا يشرب وكذلك المحبة ولم يقل ان الله اشرب قلوبهم وذكر
انهم اشربوا ذلك بكفرهم ولفظ المجهول لاحكامه ، وقد يأتى ان يكون له فاعل سوى
الموصوف. شاعر :

لم يخلق الله خلقه عبثاً ولم يدعه سدى بما صنعوا
ان احسنوا احسنوا لانفسهم وان اساؤا بفعلهم وقروا

قوله سبحانه :

« لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها »
(٧/١٢٨) اى كانهم لم يفقهوا بقلوبهم ولم يسمعوا باذانهم ولم يبصروا بعيونهم ما كانوا
يؤمرون به كانهم سمعوا بكمى مسكين الدارى :

اعمى اذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الستر
وأصم عما كان بينهم سمعى و ما بين غيره وقر

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

« وما لنفى الايات والذکر عن قوم لا يؤمنون » (١٠/١٠١) قالوا (ما) للنفى بضم ما
تغنى عنهم شيئاً يدفع الضرر اذا لم يفكر وافيها كقولك وما تغنى عنك المال شيئاً اذا لم تنفقه فى
وجوه ، وقالوا (ما) للاستفهام كقولك اى شىء تغنى عنهم من اجتلاب نفع او دفع ضرر اذا
لم يستدلوا بها .

قوله سبحانه :

« و اذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له » (١٣/١٢) اراد بالسوء عذاباً ونقمة والعذاب
يكون سوءاً ولا يكون اسائة لان الاسائة هى التى متى فعلها فاعلها فمهموسى ، والاسائة الكفر واما
السوء فقد يكون حكمة وعدلا والعذاب والنقمة من العدل والحكمة .

قوله سبحانه :

« ولا يرضى لعباده الكفر » (٣٦/٩) فيه دلالة على أن الكفر ليس من فعل الله ولا
بارادته لانه لو كان مريداً له لكان راضياً به لان الرضى هو الارادة اذا وقعت على وجه .

فصل

قوله تعالى : « ساء صرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق » (٧/١٤٣) أنه ذكر عن نفس الآيات وليس بالإيمان فيها ذكر، والآيات في الدلائل والكتاب والامور الماضية وأصلها العلامة صرفهم عن ثواب النظر في آيات الله المستحق صاحبها الثواب، ويعنى بآيات الادلة ومعجزات الانبياء وكانواعها غافلين واراد صرفهم عن زيادة المعجزات بعد ما تقدم من آيات الانبياء ، لانه تعالى انما يظهرها اذا علم أنه يؤمن عندها من لم يؤمن بما تقدم من الآيات ، ويكون الصرف اما بأن لا يظهرها جملة او بأن يصرفهم عن مشاهدتها واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم ، بأن بعض الجهال في زمانه عليه السلام اعتقدوا جواز المعجزات على يد الكفار المذكورين ، فأكذبهم الله بذلك وصرف من رام المنع من ادله آياته ، لأن من الواجب على الله تعالى ان يحول بين من رام ذلك وبينه ، لانه ينقض الغرض في البعثة (والله يصمك من الناس) فتكون الآيات القرائن ونحوه، والصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومن شهد على غيره بالانصراف عن شيء ، فجاز أن يقال صرفه عنه كما قال ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بوافقه قوله (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) ولما علم الله تعالى ان الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سيصرفون عن النظر في آياته والإيمان بها اذا ظهرها على ايدى رسله جاز ان يقول (ساء صرف عن آياتي الذين يتكبرون) فيريد ساظهرها اينصرفون بسوء اختيارهم عنه ، يقول سأبخل فلاناً وسأخطيه اي اسأله ما يبخل ببذله وامتنحه بما يخطي فيه والصرف هو المنع من ابطال الآيات والقدرح فيها بما يخرجها ان تكون حججاً ، وان الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وامنه باهلاك عدوهم قال (ساء صرف عن آياتي).

قوله سبحانه :

« ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم » (٩/١٢٨) لم يقل فصرف على سبيل الحكم والخبر اذ لو كان على ذلك لادخل عليه الغاء وانما قال على سبيل الدعاء عليهم كقولك خرج زيد لعنه الله ولو كان ذلك خبر أقال فلعله الله وانما يذكر المصروف عنه والمصرف عنه محذوف غيره المذكور وان ذلك كالأجزاء على انصرفهم لان انصرفهم كفر ولا يجوز ان يجعل الأجزاء عليه كفراً آخر . بيت : وكل امرئ يجزى بما كان ساعياً ، آخر :

كل امرئ في رشده وغيه و انما يجزى بقدر سعيه

قوله سبحانه:

«واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاً مبستوراً» (١٧/٢٧) مثل قوله (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة، الآية) وسبب نزولهما ان الكفار كانوا اذا سمعوا القرآن من النبي عليه السلام آذوه ورجموه وشغلوه عن صلواته كما قال (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) وقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء، وتصدية فحال الله بينهم وبين استماع ذلك في تلك الحال التي كانوا عازمين فيها على اذاه بان القى عليهم النوم اذ قعدوا يرصدونه ولا يعرفون مكانه وانما فعل ذلك لعلمه بانهم لا يؤمنون كما قال (وان يروا آية لا يؤمنوا بها) وقال (ان هذا الا اساطير الاولين) ويمكن انه تعالى يضيق صدورهم فلا يفقهون ولا يسمعون لعلمه بانهم لا يؤمنون من غير ان يكون حائلاً بينهم وبين الايمان والمحجوب والوقر والاكنة على وجه الاستعارة والمجاز، كما سمي الكفر عمى، ويحتمل ان يشبه الكفر الذي في قلوبهم بالكن، وينسب هذا الجمل الى نفسه كما يقول: جعلت فلاناً فاضلاً وجعلته فاسقاً وجعل القاضي فلاناً عدلاً وفاسقاً وان لم يكن من ذلك شيئاً. قال الشاعر:

جعلتني باخلاً كالأودب مني
اني لاسمح كفامنك في الرب

فصل

قوله تعالى: «في قلوبهم مرض» (٩/١٢٦) اي حزن وعلة ولو كان الشك مرضاً لكان الشاك مريضاً والمؤمن صحيحاً فيجب ان يسمى كل كافر مريضاً وكل مؤمن صحيحاً، واما قول الشاعر:

و ليلة مرضت في كل ناحية
فما يضيء له الشمس ولا القمر

فانه بالغ في كثرة حزنه وعلة كانه مظلماً. وقال ابو عبيده: الشك والتناقض. وقال الطوسي: فيكون معناه ان المنافقين كانوا كلما انزل الله آية او سورة كفروا بها، فازدادوا بذلك كفراً الى كفرهم وشكاً الى شكهم، فجاز لذلك ان يقال (فزاده الله مرضاً) لما ازدادوا عند نزول الايات، ومثله حكاية عن نوح (اني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزددهم دعائي الا فراراً) اوهم الذين ازدادوا فراراً عند دعائه، ومثله (فزادتهم رجساً الى رجسهم)

والتقدير في الآية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بنبيه مرض و
حذف المضاف وإقام المضاف إليه مقامه ؛ كما قال باخيل الله اركبني يعني يا اصحاب خيل الله
وكقوله (واسئل القرية) وانما سمي الشك في الدين مرضاً لان كل فاسد يحتاج الى
علاج ومرض القلب اعضل ودوائه اعسر واطبائه اقل ، ثم قال في آخر الآية (وماتوا وهم
كافرون) فيه بيان ان المرض في القلب اداهم الى ان ماتوا على الكفر .

قوله سبحانه :

« فزادتهم الله رجساً الى رجسهم » (٩ / ١٢٦) اظهر لا يقتضي ان الايات زادتهم
رجساً وفي عدولهم عنها ترك للظاهر ، و آخر الآية (وماتوا وهم كافرون) فيه بيان ان
رجسهم كان سبب موتهم كفاراً .

قوله سبحانه :

« ويجهل الرجس على الذين لا يعقلون » (١٠ / ١٠٠) قال الفراء : الرجز العذاب
يجعله على الذين لا يعقلون اي كانوا لا يعقلون شيئاً ذمأ لهم وعيباً . وقال ابن عباس : الرجز
الغضب والسخط وقال ابو عبيد : الرجز العذاب . وقال الحسن : الرجز الكفر اي يجعله
بمعنى أنه يحكم انهم أهله ذمأ لهم وعيباً .

قوله سبحانه :

« فبما نقضهم ميثاقهم لعنا هم وجعلنا قلوبهم قاسية » (٥ / ١٦) القسوة قلة
الرحمة ، وقد يوصف بعض الكفار بأنه رقيق القلب ، كما أنه يوصف بعض المؤمنين بأنه
قاسي القلب فلا تعلق لها بالكفر ، والكفر لا يوجب القساوة لأنها انما يجب عن القدرة الموجبة
لذلك دون الكفر ولأنه جعلنا كالجزاء على الكفر ولا يجوز أن يجعل الجزاء على الكفر كفراً
آخر لانه يؤدي الى ما لا نهاية له .

فصل

قوله تعالى : « ان بهم مسكم قرح فقدم القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها

بين الناس » (٣ / ١٣٤) لا يدل على أنه جعل للكفار دولة على المؤمنين كما جعل للمؤمنين
دولة وغلبة عليهم ، لانه لا يجوز ان ينصر الله الكفار على المؤمنين كما ينصر المؤمنين على الكفار

ويعنى بقوله (تداولها بين الناس) أنه يجعل بعض القوم مبتدئاً آمناً معافاً مسروراً ،
والذين أصابهم القرح في غم وحزن والم ، ويجوز ذلك من الله تعالى في المؤمنين والكافرين
جميعاً لان الله تعالى يمتحن الكافرين والمؤمنين بمثل هذا ، ومعنى الدولة الغناء قوله
(كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) ومنه حديث ابي سفيان تداولها تداول الكرة
قوله سبحانه :

در بنا انك آتيت فرعون وملائته زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا
عن سبيلك، الآية (١٠/٨٨) انما اعطاهم الله تعالى ذلك عليه مع تعربه من وجوه: الاستفساد
وهذا استفهام والاستفهام لا يدل على انه فعل ذلك، ثم قال (ليضلوا) وهذا بخلاف مذهبه،
واللام لام العاقبة وهو ما يؤول اليه الامر كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً)
قال الخليل: اللام ههنا بمعنى الفاء تقديره فاضلوا، وقال الباخي: هذا مقدم ومؤخر تقديره
ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا ربنا اخلص على اموالهم، وقيل المعنى: فلا يؤمنون ايمان
البجاء حتى يروا العذاب الاليم وهم مع ذلك لا يؤمنون ايمان اختياراً أصلاً.

قوله - سبحانه :

«ولكن معتهم واثباتهم» (٢٥/١٩) ليس فيه أنعمتهم لذلك والاعتناع ليس بموجب
للنسيان على مذهبه.

قوله سبحانه :

دو لاتحسبن الذين كفروا انما نعلمي لهم خيراً لانفسهم انما نعلمي لهم ليزدادوا
اثماً ء (٣/١٧٢) قال الباخرى : ولاتحسبن الذين كفروا ان املانا لهم رضى بافعالهم و قبول
لهابل هوشر لهم لانانعلمي لهم وهم يزادون اثماً يستحقون به عذاباً اليماً ، ومثله (ولقد
ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) اى ذرأنا كثيراً من الخلق سيصيرون الى جهنم بسوء
افعالهم ، وجوز الاخفش فى قوله (لاتحسبن الذين كفروا انما نعلمي لهم) كسر انما ليجعله
حجة لاهل القدر ويجمعه على التقديم والتأخير، كانه قال (ولاتحسبن الذين كفروا انما نعلمي
لهم خيراً لانفسهم) فقال بعضهم فكيف يكون هذا والى جنبه ولهم عذاب ممين .

قوله سبحانه :

«انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار» (١٤/٤٣) تأخيرهم اما لقوله (ليزدادوا خيرا) اولقوله (ليزدادوا انما) او يدفع بهم عن الاولياء قوله (ولولا دفع الله الناس) اوليخرج منهم الولد الصالح، اولقوله (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) او أنه يبين حلمه، او أنه انما يجعل من يخاف الفتنة .

قوله سبحانه :

« ولقد ذرأنا لجهنم » الآية (٧/١٢٨) قال المفسرون اللام لام العاقبة وليست بلام الغرض كانه قال ان عاقبة أمرهم ازدياد الاثم ، كما قال (فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا) وقال (وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله) وقال (ولا تكونوا كالذين كفروا و قالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض ، الى قوله، ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) .
وقال الشاعر : لدوا للموت و ابنوا للمخراب . ولا يجوز أن يحمل ذلك على لام الغرض والارادة لوجهين أحدهما أن ارادة القبيح قبيحة ولا يجوز ذلك على الله تعالى، والثانى لو كانت اللام لام الارادة لكان الكفار مطيعين لله من حيث فعلوا ما اراده وذلك خلاف الاجماع وقد قال الله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) . بيت :

وليس للانسان الا ما سعى وكل ساع سعيه سوف يرى

فصل

قوله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله » (٣/١٣٩) الاذن العلم من قولهم أذنت فلاناً بكذا وأذنت لكذا (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) اى بعلمه قوله (فقد أذنتكم على سواء) والامر (فانه نزله على قلبك باذن الله) اى يسهل السبيل اليه ، وقد جاء الاذن بمعنى التخليّة والاباحة ، لان الموت ليس الى الانسان فيكون مأموراً به او مباحاً له و ليس ذلك من فعله ، ولا خلاف بأن الانسان يموت بأجله عند الوقت الذى علم الله تعالى .

قوله سبحانه :

« ما أصاب من مصيبة الا باذن الله » (٦٤/١١) اى بعلم الله فكانه قال :

لا يصيبكم مصيبة الا والله تعالى عالم بها ، قال الباقى : معناه الا بتخليه الله بينكم و بين من يريد فعلها . وسأل محمد بن سليمان الهاشمى عمر بن قائد عن قوله (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) فقال (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خير ألكم) ثم قال (ويجعل الرجز على الذين لا يعقلون) أى الذين لم يعلموا ما اوجب عليهم وصفهم بأنهم لا يعقلون ، كما قال (صم بكم عمى) أى أنه لا يمكن أحد أن يؤمن باطلاق الله له فى الايمان وتمكينه منه ودعائه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك وقال الحسن و ابو على : أذنه هيئنا أمره ، كما قال ابن قائد : و حقيقة اطلاقه فى الفعل بالامر .

قوله سبحانه :

« وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله » (٢/٩٦) يعنى تخليه الله فكانه أفاد أن العباد لا يجزونه و ما هم بضارين به من أحد الا بأن يغالى الله بينهم وبينه ولو شاء لمنهم بالقهر زائداً على منهم بالزجر او تكون الازيادة ، فيكون المعنى وما هم بضارين به من أحد باذن الله ، كما يقال لقيت زيدا الا انى أكرمه ، أى لقيت زيدا فأكرمه ، ويكون الضرر المضاف اليه هو ما يلحق المسحور من الادوية التى بطعمه اياها السحرة ، والضرر الحاصل نحوه هذا من فعل الله بالعادة لان الاغذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً ، وان كان المعرض للضرر من حيث كان الفاعل له هو المستحق المذم ، وعليه يجب العوض والضرر المذكور من التفريق بين الأزواج أنه اذا ارتد أحد الزوجين و كفر بانته منه زوجته فاستضر بذلك كانوا ضارين له مما حسنوه له من الكفر الا أن الفرقه له تكن الا باذن الله وحكمه ، لانه تعالى هو الذى حكم وأمر بالتفريق بين المختلفى الاديان فلماذا قال (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) . والمعنى أنه لولا حكم الله تعالى واذنه فى الفرقه بين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقه ، وقد روى أنه كان من دين سليمان عليه السلام أنه من سحر بانته منه امرأته .

قوله سبحانه :

« وأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة » (٣/٥)

الزبغ هو الميل (ومن يزغ منهم ، هازاغ البصر) والميل يكون عن الحق وعن الباطل ،
وليس في الآيات ذكر وإنما يعرف ذلك بدلائل .

قوله سبحانه :

« فلما زاعوا أزاغ الله قلوبهم » (٦١/٥) لا يخلوا من أن يكون منهم أو
من الله فإن كان منهم فسد مذهبهم ، وكان قوله (أزاغ الله) مصروفا إلى الرحمة والثواب

قوله سبحانه :

« ربنا لا تزغ قلوبنا » (٣/٦) هذا سؤال ومثله لا يدل على أنه أن يفعل خلافه ،
وبينا جواز مسألته أن يفعل ما فعله لا محالة ولا يفعل خلافه كقوله (رب احكم بالحق)
وذلك دعاء بالتثبيت على الهداية و امدادهم بالاطاف التي معها يستمرون على الايمان و
متى قطع امدادهم بالطافه وتوفيقاته زاعوا كما يقال : اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا ،
معناه لا تدخل بيننا وبينه فيتسلط علينا ، لا تزغ قلوبنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف
فيقتضى ذلك بنا إلى زبغ قلوبنا بعد الهداية ، لا تزغ قلوبنا عن ثوابك و رحمتك بعد أن
دعوتنا إليه ودللتنا عليه ، ومعنى هذا السؤال أنهم سألوا الله تعالى أن يلفظ بهم في فعل
الايمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان أن
تزبغ قلوبهم عن الثواب وأن يفعل بهم بدلا منه العقاب كقوله (فمن يرد الله أن يهديه
يشرح صدره للإسلام) وقوله (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وقوله
(أولئك الذين كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وضد هذه الآيات في قلوب
الكافرين الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزبغ القلوب عن اليقين والايمان ، ولا يقتضى
ذلك أنه تعالى سأل ما كان لا يجب عليه فعله لانه غير ممتنع أن يدعو على سبيل الانقطاع
إليه والافتقار إلى ما عنده بأن يفعل ما يعلمه أنه لا بد من أن يفعله بما أعلم أنه واجب أن
لا يفعله إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال ابراهيم (ولا تخزنى يوم يبعثون) و
قال النبي عليه السلام (وقل رب احكم بالحق)

بيت : ومن بعد ما زاعوا أزاغ قلوبهم
وغير لما غيروا نعمة المشرى

-١٦٤-

فصل

قوله تعالى: «ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا» (٢/٢٨٦) النسيان من فعل الله تعالى، ولا تكليف على الناس في حال نسيانه، فكيف يامرنا على سبيل العادة لنا بالدعاء كذلك، ثم انه اما أن يكون النسيان من فعلنا، او نكون متعبدين بمسأاته تعالى ما نعلم أنه واقع، لان مؤاخذة الناس مأمونة منه تعالى قال قطرب: النسيان هيئتنا الترك كما قال (ولقد عهدنا الى آدم من قبل، فنسى) وكتوبه (نسوا الله فأنسيهم) اي تركوا طاعته فتركهم من رحمته كما يقال: لا تنسى من عطيتك قال الشاعر: ولا كنت يوم الروع للمطعم ناسياً اي تاركاً؛ وقوله (أنا مرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) ويحمل النسيان على السهو ويكون وجه الدعاء بذلك على سبيل الانقطاع الى الله تعالى وان كان مأمونا للمواخذة بمثله كقوله (رب احكم بالحق ولا تغرنى يوم يبعثون)

قوله سبحانه:

«فلما نسوا ما ذكروا به» الآية (٦/٤٤) هذا كما قال في قصة آل فرعون (و بلوناهم بالحسنات والسيئات)

قوله سبحانه:

«ان نسينا او اخطانا» (٢/٢٨٦) الخطاء ما وقع سهواً او عن غير عمد: اما الاول فقد يجوز أن يريد بالخطاء ما يفعل بالتأويل للشيء، وعن جهل بأنها معاص لان من قصد شيئاً على اعتقاد أنه بصفة فوقه بخلاف ما هو بخلاف معتقده يقال: قد أخطأ فكانه امره بأن يستغفر وامما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل ومما اقدموا عليه متأولين: ويقال: اخطانا اذنبنا وان كانوا متعمدين وبه عالمين لان جميع المعاصي قد توصف بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب وان كان فاعلها متعمداً وكانه امره بأن يستغفر وامما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من المقبحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب.

قوله سبحانه:

«قل هل انبؤكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل

منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، الآية (٥/٦٥) قد و بخرهم على كفرهم فلا مدخل لكونه خالقاً لكفرهم في باب ذمهم ولا شيء ابلغ في عذرهم من أن يكون خالقاً لما ذمهم من أجله وهذا يقتضي ان يكون الكلام متناقضاً واذا اردنا ذم انسان قلنا الا اخبركم بشر الناس من فعل كذا وصنع كذا فيمدد من الافعال والاحوال قبائحها ولا يدخل في جعلتها ما ليس بقبيح وأكثر ما فيها انه خلق وجعل من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في انه تعالى خلق الكافر غير انه لا يوجب انه خلق كفره وجعله كافراً والدليل قد دل على أن ما به يكون القرء قرءاً والخنزير لا يكون الا فعله وهكذا حكم من كفر ولا يكون قوله تعالى (وعبد الطاغوت) معطوفاً على القردة والخنازير بل معطوفاً على من لعنه الله وغضب عليه ، وتقديره من لعنه الله ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير وهو الصحيح لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم واما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على افعالهم فجري ذلك مجرى افعالهم كما ذمهم بان لعنهم و غضب عليهم من حيث استحقوا ذلك بأفعالهم و عبادتهم الطاغوت .

مرکز تحقیق کتب دینی
قوله سبحانه :

حكاية عن موسى عليه السلام در بنا اطمس على أهوالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ، الى قوله دعوتكما (١٠/٨٨) اطمس على أموالهم لا يوجب نفى الايمان لان مع ذلك يصح منهم الايمان ، وكذلك يصح مع الشدة على القلوب لان معناه يحتمل وجهين أما كن شديداً عليهم والشدة راجعة الى المسئول دون المسئول له لانه لم يقل أشددهم أو شدد قلوبهم ، وايضاً أن لفظ الشدي يختلف باختلاف ما يتعلق به من حروف الصفات وبأماكنها ، يقال شد كذا وشد عليه كذا اذا جملة مشدوداً بحبل او نحوه وشدده اذا جملة شديداً و شد على فلان مطلقاً اذا حمل عليه ، قال ابن مرداس : أشد على الكتيبة لا ابالي . ويقال : شدوا عليهم شدة واحدة اذا حملوا عليهم ، فيحتمل أن يريد احمّل عليهم .

قوله سبحانه :

« ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم » (١٧/٧٦) أضاف التشييت الى نفسه

والركون الى النبي عليه السلام وجعله من فعله ، فان جازا العدول عن ذلك جازا العدل عن الاول ثم أنه نبته ولم يبين وجهه ، و يجوز أن يشبث العبد على الطاعة بوجوه الطافه وليس يوجب ذلك جبراً بيت - :

استأثر الله بالوفاء و بالعدل و دلى العلامة الرجل

قوله سبحانه :

« ربنا أفرغ علينا صبراً » (٧/١٢٣) يعنى تشبيهاً بتفريغ الاناء من جهة أنه نهاية ما يوجب الحكمة كما أنه نهاية ما فى الواحد من الانية وقوله (ونبت أقدامنا) تشبثت الاقدام يكون بشيئين ، احدهما بتقوية قلوبهم ، والثانى بالقاء الرعب فى قلوب أعدائهم حتى يظهر فيهم الخور فى قتالهم ، وقيل : باختلاف كلمتهم حتى يغم التخاذل بينهم ، والصبر والثبوت من فعل العبد لانه يجازى عليهما ، وأما النصرف فعل الله تعالى .

فصل

قوله تعالى : « والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات » (٦/٣٩) وصفهم بأنهم صم وبكم اما أن يكون حقيقة او تشبيهاً فان كان حقيقة فلا يكونون ملومين عليه على أنها غير مانعة من الايمان وكذلك كونهم فى الظلمة فلم يبق الا التشبيه ، وقد جاء فى موضع (بأنهم لا يبصرون ، ولا يسمعون) وأن على أبصارهم وأسماعهم غشاوة ، قال ابو مسلم (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) معناه لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون ما يسمعون ولا يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون ، فكان الله تعالى يقول فى الآخرة (اسمع بهم وابصروم) يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) والمراد به التعجب من قوة أبصارهم واسماعهم فى الآخرة لقوله يوم تأتونا ، فيدل على أنهم عارفون بالله ضرورة وتجري هذه الآية مجرى قوله (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد) وأما الآيات الاخر ففى حال التكليف وهى الاحوال التى كان الكفار فيها ضالاً عن الدين .

قوله سبحانه :

« ولا يفعلكم نصيحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم » (١١/٣٦) وهذا على سبيل الشرط ، ولم يقل أنه فعل الغواية وأرادها وانما أراد أن نصح النبي

لا يقع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك وجواز وقوعها الادلالة عليه في الظاهر، ولا خلاف في أن نصيحة النبي عليه السلام لا تنفع من أراد الله اغوائه ولكن ليس فيها أنه يريد اغوائهم اولا يريد ، وهو محل النزاع على أن الغواية لفظ مشترك يقال أصبح فلان غاوياً اي مريضاً و غوى الفصيل اذا فقد اللبن فمات ، وأغويت فلاناً اهلكته فسوف يلتقون غياً الخيبة شاعر : ومن يقول لا يعدم على الغى لايماناً هؤلاء الذين أغويناكم كما غوينا هذا الاخير لا يجوز على الله تعالى فكانه قال تعالى : ان كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء عملكم فليس ينفعكم نصحي مادمتم مقيمين على ما أنتم عليه ، وما قبل الآية يدل على ما قلنا وان القوم استعجلوا عقاب الله (فقالوا يا نوح قد جادلتنا) الآيات . وقال جعفر بن حرب : كان قوم نوح جبرية فقال الله تعالى على سبيل الانكار عليهم : ان كان القوم كما تقولون فما ينفعكم نصحي . وقال الحسن : ان كان الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان آمنتم به لانه لا يقبل الايمان عند نزول العذاب ولو كان يريد أن لا غوائهم لوجب أن يترك نوح نصيحته بعد ما اعترف بذلك فلما كان نوح مجداً في النصح لهم مجتهداً في مجادلتهم حتى قالوا (يا نوح قد جادلتنا ، الآية) صح ان الله لم يكن يريد الاغوائهم عن الدين .

قوله سبحانه :

« يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم » الى قوله لكاذبون (٦/٢٧) فقوله يا ليتنا نرد ولا نكذب (على وجه التمني وقوله) وأنهم لكاذبون) راجع الى الامر الذي تمنوه لان التمني لا يكون صدقاً ولا كذباً وقم ما تمناه اوله يقع فيكون قوله (وأنهم لكاذبون) مصروفاً الى حال الدنيا ، و يحمل ايضاً على غير الكذب الحقيقي ، والمعنى أنهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب أملهم وتمنيهم ، يقال كذب أمله واكدى رجائه . قال شاعر :

كذبهم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة مادام للسيف قائم

وقالوا (يا ليتنا نرد) هذا هو التمني ثم قال (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) فاخبروا بما علم الله تعالى أنهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من أنفسهم مثل ذلك فلماذا كذبهم . صاحب :

قالت فافعلنا من ذا يكونها فقلت نحن مقالصين عن خلل
قالت فلم لا يكون الله خالقها فقلت لو كان خلقاً لم تكن عملي

فصل

قوله تعالى : « ولو شاء الله لسلطهم عليكم » (٤/٩٢) أنه اخبار عن قدرته
فحسب ، ولم يقل لسلطهم عليكم و كيف يتسلط من لا يقدر قوله (وما كان له عليهم
من سلطان) .

قوله سبحانه :

«إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً» (١٩/٨٦) إنما جعله متعلقاً
بكونهم كفاراً لأن قوله الكافرين ليس باسم جنس وإنما هو جزاء كفرهم ، ولم يقل أرسلنا
هم على المؤمنين لأنهم معصمون بحبلة ، والكافرون لماله يستعصموا بحبلة ولم يقبلوا حجة
أرسل الشياطين عليهم اذ خلاهم وإياهم كما يقال : أرسلت كلابك على الناس اذالم يمنعه ، و
الآية تدل على فساد مذهبهم فإنه أخبر أن الشياطين تؤزهم .

قوله - سبحانه :

«ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين» (٤٣/٣٥) يعنى
فى الآخرة بدلالة قوله (حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)
ثم قال (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) وقد جاء فى الاخبار : ان كل آدمى يدخل جهنم بقرن
بشيطانه الذى كان يقبل منه فى دار الدنيا .

قوله سبحانه :

«وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً» (٦/١٢٩) أى نكل بعضهم الى بعض فى
الآخرة فنكل الذين كانوا يعصون الله بأمر هؤلاء الظالمين واتباع أهوائهم اليوم ليوقنوا
بالإياس من رحمة الله اذ كانوا لا يملكون لهم فى الآخرة نفعا ، ويدل على أنه فى الآخرة
قوله (بما كانوا يكسبون) وهو مثل قوله (نوله ما نولى ونصله جهنم) أى نكله الى ما كان
عبده فى الدنيا من الآلة

قوله سبحانه :

«و قيضنا لهم قرناء» (٤١/٢٤) وقال الحسن : معناه خليفتا بينهم و بين الشياطين
فأغروهم وقال الجبائى : النقيض احواج بعض العباد الى بعض كحاجة الرجل الى المرأة

والمرأة الى الرجل وقال قوم : التقيض الممانلة والمقايضة فالمعنى على هذا اننا ضم الى كل كافر قريناً له من العجن مثله في الكفر في نار جهنم ، كما قال (تقيض له شيطاناً) وقوله (فزينوا له ما بين أيديهم) ولم يقل ليزينوا ، وتزين الفعل انما يصبح على مذهبنا .

قوله سبحانه :

« كذلك زيننا لكل امة عملهم » (٦/١٠٨) وقوله (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينناهم) كيف يزبن للغير عمل نفسه ، ومتى ما أحدثها فسواء كان مزينا لهم ذلك أم غير مزين ولما قال (لكل امة عملهم) استغنى عن تزبين ذلك وأنهم سيفعلونها في المستقبل قال الكلام مجمل .

قوله سبحانه :

« وزين لهم الشيطان أعمالهم » (٢٩/٣٧) التي كفروا بها وعصوا الله فيها فصدهم عن السبيل أي طريق الحق فهم لا يبتدون اليه لاتباعهم دعا الشيطان و عدواهم عن الطريق الواضح و كانوا مستبصرين أي عقلاً يمكنهم تمييز الحق من الباطل بأبصارهم له و فكرهم فيه .

مركز تحقيق كاتبة محمد سليم

قوله سبحانه :

« وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والعجن » (٦/١١٢) وقوله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) قال أبو علي : أي حكمه بأنهم أعداء ، وقال غيره : أي خلا بينهم ولم يمنعهم من العداوة ، وقيل : المراد بذلك ان الله تعالى لما أنعم على أنبيائه بضروب النعم وشرفهم بالبعثة حسدهم على ذلك خلق و عادوهم عليه ، فيجوز أن يقال بأن الله جعل لهم أعداء على وجه المجاز وقيل بيناً أنهم أعدائهم كما يقال جعله لصاً او خائناً وقيل أمرنا ان يسموهم بذلك

قوله سبحانه :

« ونمدهم في طفولتهم بعمهون » (٢/١٤) المدهو الانساء في الاجل ، يقال : مد الله في عمره ولا يقال مد في الطفليان ولم يقل مد في طفليانهم ، وانما قال (نمدهم) ثم قال (في طفليانهم بعمهون) الطفليان الفعلان من طمى يطمى اذا تجاوز حده ، ومنه (كلان الانسان

ليطغى) والطاغية الجبار العنيد ، ولوتعلق بعمهون بنمدهم لقال بعمهوا ، ومعنى الآية انه تركهم فى الكفر فلم يعصمهم بالعصمة التى عصم بها المؤمنين لما عرفهم وبين لهم الكفر من الايمان فاعتصموا بما عرفهم الله من دينه .

قوله سبحانه:

« ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم » (٦٧) استدلال ابو على بهذه الآية ، انه متى كان فى معلوم الله أنه لو أناهم الايات التى طلبوا هالامنوا عندها وجب أن يفعلها بهم ولو لأن ذلك كذلك لم يحتج على العباد فى منعه آياتهم التى طلبوها ، الى انما منعهم اباها لانهم كانوا لا يؤمنون ولو آتيتهم اياها لقالوا ان هذا الاسحر مبین ، وهذا دليل على وجوب اللطف .

فصل

قوله تعالى : « و كذلك جعلنا اكل ابي عدوآ » (٦/١١٢) لم يقل لاجل الاصغاء اولاجل كذا ، وقوله ولنصفى عطف وليس بجواب لقوله جعلنا ، ولاتعلق للخصم فيه اذ ليس شىء منها يحدث عما علقه به على مذهبهم وانما يصح على مذهبنا .

قوله سبحانه:

« انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون » (٧/٢٦) معناه انا حكمنا بذلك لانهم يتناصرون على الباطل

قوله سبحانه

« وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا » (٤٣/١٨) اى حكموا بذلك حكماً باطلاً

قوله سبحانه :

« وجعلناهم أنمة يدعون الى النار » (٢٨/٤١) جعل على وجوه ، الخلق (وجعل الظلمات والنور) والامر (ما جعل الله من بحيرة) والحكم بالشىء ، (وجعلوا الملائكة الذين هم) والانتخاذ (انى جاعل فى الارض خليفة) وبمعنى الآية انه وصفهم بذلك وحكم

به عليهم ، او يعنى به يوم القيامة كقوله فى فرعون (فاورد هم النار) وقول النبى عليه السلام فى امر القيس ، يده لوا الشعاء يقودهم الى النار.

قوله سبحانه :

«وجعلنا قلوبهم قاسية» (٥/١٦) قال البلخى : اى سميناهم بذلك عقوبة على كفرهم ونقيض ميثاقهم وقال فى قوله (وجعلوا لله شركاء الجن) اراد بذلك أنهم سمو الله شركاء ، ويجوز أن المراد ان الله تعالى بكفرهم لم يفعل بهم اللطف الذى ينشرح به صدورهم كما يفعل بالمؤمن وذلك مثل قولهم أفسدت سيفك اذا ترك تعاهده وجعلت اظافيرك سلاحك اذا لم تقصها وجعلته بحيث لا يفلح أبداً وجعلته نوراً وحماراً وقوله (يحرفون الكلم) لا يدل على أنه جعل قلوبهم قاسية ليحرفوا بل يحتمل أن يكون كلاماً مستأنفاً ، ويمكن أن يكون حالاً لقوله (فبما نقضهم ميثاقهم يحرفون) اى يحرفون .

قوله سبحانه :

«وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة» (٥٧/٢٧) وقوله (لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا) لاحجة لهم فيه لان الجمل لفظ مشترك كما بينا ، واذا اضيف جعل الشيئ الى الله تعالى اذا وقع من الارض تخلية بينه وبينه اوبينه وبين ما يحصل عنده كما يقول احدنا جعلتني ذليلاً اذا خلى بينه وبين من اذله .

قوله سبحانه :

«اولئك كتب فى قلوبهم الايمان» (٥٨/٢٢) معناه جعله بحكمه فكانه مكتوب فيه وقال الحسن : ثبت الايمان فى قلوبهم بما فعل فيهم من اللطاف . وقيل جعل فيها كتابة على سبيل العلامة للفرق بين المؤمن والكافر كما فعل الطبع والختم لخلق الكافر وخلق الايمان فى قلوبهم لا يسمى كتابة حقيقة ومجازاً .

قوله سبحانه :

«قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا» (٩/٥١) قال الحسن اى كل ما يصيبنا من خير او شر فهو ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ من امرنا وقال الجبالى والزجاج : اى لن يصيبنا فى عاقبة امرنا الا ما كتب الله لنا فى القرآن من النصر الذى وعدنا . وقال البلخى : يجوز ان يكون كتب بمعنى

علم وبمعنى حكم •

فصل

قوله تعالى: «دام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم» (١٣/١٧)
هذه الآية وردت حجة على الكفار ولو كان المراد ما قالت المجبرة لكان فيها حجة على الله لأنه
إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو الله فلا يلحقهم اللوم بل يكون لهم أن يقولوا إنك خلقت
فيما ذلك فلم توبخنا بفعلك، ثم إن الخلق اختراع وأفعالنا مباشرة أو متولدة في محل القدرة •

قوله سبحانه:

«الله خالق كل شيء» (٣٩/٦٣) أراد به المبالغة كقوله (تدمر كل شيء، ويحيى)
إليه ثمرات كل شيء، وأوتيت من كل شيء) ومن زعم أن الله تعالى تمدح بالآية أكثر المذلقين
خلقاً وأوسع الفاعلين فعلاً حتى إن أفعال العباد مخلوقة له خطأ؛ لأنه لا مدحة في خلق الكفر
به والغربة عليه وعلى أنبيائه والظلم والجور وكل قبيح بل الذم في ذلك والنقص. والخلق
يعبر به عن التقرير قوله (وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير) فيكون معناه أنه خالق أعمال
العباد بمعنى أنه مقدر لها •

قوله سبحانه:

«خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام» (٢٥/٦٠) لا مدحة في خلق
الكفر والضلال وسائر القبائح فلا يدخل فيه أفعال العباد مفعولة في ستة أيام وقد ذكرنا
أنه يجيش بمعنى التقدير •

قوله سبحانه:

«إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً» (٧٠/١٦)
لا يدل على أنه خلق الجزع والهلوع والمراد أنه خلق الإنسان ضعيفاً عن تحمل الشدائد
والصبر على تحمل المحن وكفى عن ذلك بما الضعف سببه كما قال (وخلق الإنسان ضعيفاً) وإذا
كان تعالى قد خلق في الإنسان النفار عن المضار والشهوة للمنافع جازاً أن يقال أنه خلق
جازعاً من تلك ومانعاً من هذه بمعنى أنه خلق فيه ما يدعو إلى ذلك •

قوله سبحانه :

« و من آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم »
(٣٠/٢١) لدلالة لهم فيه لأن حمل اللسان على الجارحة حقيقة فلا يحمل
على المجاز ويريد باختلاف الألسنة ما فيها من غنة ولغة يقتضيها خلق الإنسان و مخارج
الحروف منه .

قوله سبحانه :

« وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ، الأيعلم من خلق »
(٦٧/١٣) معناه الأيعلم قول من خلق وسره وأحواله ، ولو أراد ما ظنه المخالف لقال الأ
يعلم ما خلق لأن من لمن يعقل ، وإنما وجب أن يكون تعالى عالماً بأسرارنا من حيث كان
خالقنا لأن الخالق للعباد لا يكون الا قديماً عالماً لنفسه .

قوله سبحانه :

« وخلق كل شيء فقدره تقديراً » (٢٥/٢) معناه ان كل شيء يطلق عليه اسم
المخلوق فانه خلقه لأن أفعالنا لا يطلق عليها اسم الخلق حقيقة لأن الخلق يفيد الاختراع
وانما يسمونها بذلك مجازاً لا يعتد بما يخلقه العباد في جنب ما خلقه الله لكثرة ذلك
وقلة ما خلقه العبد او يكون المراد أنه قدر كل شيء . وأفعال العباد مقدره الله تعالى من
حيث بين ما يستحق عليها من الثواب و العقاب او لا يستحق شيئاً من ذلك ، يقوى ذلك
قوله (فقدره تقديراً)

قوله سبحانه :

« أفمن يخلق كمن لا يخلق » (١٦/١٧) الخلق في اللسان هو التقدير والاتقان
في الصنعة وفعل الشيء ، لأعلى وجه السهو والمجازفة بدلالة قوله (و تخلقون افكاً) و
قوله (واذتخلق من الطين) وقوله (أحسن الخالقين) فاعلمنا أن غيره يسمى خالقاً لأنه
لأنه يستحق اسم خالق غيره لما قال (أحسن الخالقين) كما لا يجوز أن يقال أنه أعظم
الالهة لما لم يستحق الالهية غيره الا انا لانطلق هذه الصفة الا فيه تعالى لأن ذلك يوهن
والوجه في الآية الرد على عبادة الاصنام والجمادات التي لا تقدر على نفع ولا ضرر ، يقوى

ذلك قوله في آخرها (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء) .

فصل

قوله تعالى: « وكذلك فتننا بعضهم ببعض » (٦/٥٣) قال أبو علي: معنى قوله (فتننا بعضهم ببعض) أي شددنا التكليف على أشرف العرب وكبرائهم بأن أمرناهم بالإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله بتقديم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقديم إياهم في الإيمان وكونهم أفضل عند الله وهذا أمر كان شاقاً عليهم فلذلك سماه فتنه .

قوله سبحانه :

« وجعلنا بعضهم لبعض فتنه » (٢٥/٢٢) قال الحسن : معناه كما يقول الأعمى ، لو شاء لجعل لي عيناً مثل فلان ، ويقول السقيم لو شاء لأصحنى مثل فلان ، وقال الفراء : كان الشريف إذا أراد أن يسلم وقد سبق المشروف إلى الإسلام فيقول أسلم بعد ذاك كان ذلك فتنه ، وقيل : وجعلنا بعضهم لبعض فتنه للعداوات التي كانت بينهم في الدين والفتنة شدة في التعبد تظهر ما في نفس العبد من خير وشر وهي الاختيار .

قوله سبحانه :

« ألم- أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » (٢٩/١) قال مجاهد أي يبلون في أنفسهم وأموالهم ، وقيل أي يصابون بشدائد الدنيا .

قوله سبحانه :

« ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » (٦/٢٣) أصل الفتنة التعريض لما به يظهر المخالص من الشوائب ومتى صرف عن ظاهره سقط تعلقهم بها على أن الفتنة الامتحان ، يقال فتنت الذهب في النار ، فاناقد فتننا قومك وفتناك فتوناً ، والفتنة أيضاً الاحراق ، يقال فتنت الرغيف في النار ، قوله (يوم هم على النار يفتنون ، ذوقوا فتنتكم) قال الشاعر :

إذا جاء عبسى جوراً برأسه إلى النار والعبسى في النار يفتن

ولا يصرف إلى الكفر إلا بدليل ولا دليل ههنا يجب صرفه إليه ، وإذا كانت بمعنى الامتحان

صح أن الانسان مختار وامتحان المجبور محال ، لانه انما جربه ليتبين فيه ما يكون منه من طاعة او معصية و موالة او معاداة و اذا كان الممتحن هو الفاعل بجميع ذلك بطل الامتحان .

قوله سبحانه :

« وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا » (٧٤/٣١) فعدة الملائكة لا تكون كفراً للكافر ولا خلاف أنهم لا يكفرون لاجل عدتهم وانما يكفرون لغير ذلك .

قوله سبحانه :

« ربنا لا تجعلنا فتنة » (١٠/٨٥) وقوله (لا تفتنى) سؤال ولا تعلق بالسؤال ولا يدل على أن المسئول يفعل ما يشاء او يفعل بخلافه . قال امير المؤمنين عليه السلام : لا يقولن أحدكم اللهم انى أعوذ بك من الفتنة لانه ليس أحد الا وهو مشتمل على الفتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فان الله تعالى يقول (انما أموالكم و اولادكم فتنة ومعنى الآية ان الله تعالى يختبرهم بالأموال والاولاد ليتبين الساخط لرضقه والراضى بقسمه وان كان تعالى أعلم بهم ولكن ليظهر الافعال التى يستحق بها الثواب والعقاب لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحب تسمير المال ويكره انثلام الحال

قوله سبحانه :

« فاناقذ فتناً قومك من بعدك » (٢٠/٨٧) اى عاملناهم معاملة المختبر بأن شددنا عليهم فى التعبد بأن الزمناهم عند اخراج العجل الى أن يستدلوا على أنه لا يجوز ان يكون الهأ ولا ان يخلوا من اله .

قوله سبحانه :

« فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة » (٢٤/٦٣) لم يذكر ما فيها وجعلها مضافة اليها ولا يجوز بمعنى الاضلال من حيث توعدهم بها والتوعد لا يصح بالاضلال وكيف يصح أن يتوعد بالاضلال من هو ضال على أنه انما توعد المخالف لامره فلو كان بمعنى الاضلال لكان بمثابة ان لو قل فليحذر من أضلته لمخالفة أمرى أن أضله .

قوله سبحانه:

« وان ادري لعله فتنة لكم » (٢١/١١١) وقوله (وكذلك فتنا بعضهم) وأمثالهما لا يدل على مذهبهم ان الله تعالى انما يضلهم بقدره موجبة للضلال و انه لا يقع اضلالهم بمثل ما تعلق به .

قوله سبحانه:

«ومن ير د الله فتنته فلن نملك له من الله شيئاً» (٥/٤٥) لاختلاف ان من أراد الله فتنته فلن يملك أحد له من الله شيئاً على أى وجه فسر الفتنة وانما الخلاف فى جوازه لانه لاختلاف انه يريد فتنة العبد بمعنى الامتحان والتكليف وهيئنا فى العذاب او نحوه كما قال (يوم لا نملك نفس لنفس شيئاً) وانه لا يريد تطهير قلب من كفر لان تطهيره اما ان يريد به ان يظهره جبراً وبهذا يبطل التكليف ، او يريد به الحكم بطهارته و غير جائز ان يحكم الله بطهارة قلب من هو كافر، او يريد اثابته وهو لا يريد اثابة الكافر . نظم :

وكم حذر الله العباد عدوهم وشيطانهم فاستأثروا الترك للحذر
ولكن اذا ما ضل قوم عن الهدى أضلهم الرحمن فى السر والجهر

فصل

قوله تعالى : « وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون » (٦/١٢٣) اى فعلنا بهؤلاء مثل ما فعلنا باؤلاء ، الا أن اولئك اهتمدوا بحسن اختيارهم و هؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم ، لان كل واحد منهما جعل بمعنى صار به كذا الا ان الاول باللطف ، والثانى بالتمكين من المكر ، فصار كانه جعل كذا ، و انما خص اكابر المجرمين بهذا المعنى لان الاكابر اذا كانوا فى قبضة القادر فالاصغر بذلك أجدر ، ، وقوله : (ليمكروا فيها) اللام لام العاقبة كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) وليس لام الغرض لانه تعالى لا يريد ان يمكروا ، وقد قال (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) و ارادة القبيح قبيحة فيكون التقدير وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليطيعون فكان عاقبتهم ان مكروا بالمؤمنين

وما يمكرون الا بانفسهم اى وبال مكرهم يعود اليهم ، ولا يصح ان يمكر الانسان بنفسه على الحقيقة لانه لا يصح ان يخفى عن نفسه ما يحتال به عليها كما يصح ان يخفى ذلك عن غيره .

قوله سبحانه :

« ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » (٣/٤٧) المكر هو ادخال الضرر على الغير حيلة كان اوسلباً من جهة الحيلة والتورية والله يتعالى عن ذلك ، وليس المكر من الاضلال بسبيل لانه يستعمل فى الحروب وفى امور يستعمل فيها الحيل وقد يسمى قصد الانسان بتدبير مكر ، كقوله (واذ بمكربك الذين كفروا) وليس ذلك الاضلال اياه عن الدين بل هو كما فسر به بقوله (ليشبثوك) والاجماع ان قوله (يمكرون) انما هو ما كانوا يكدون به النبى عليه السلام من القصد لاهلاكه ، وأخبر أنه مكرهم اى أهلكتهم من حيث لا يعلمونه ارجازهم على مكرهم فسمى الجزاء على المكر مكرأ كما سمي الجزاء على الاعتداء اعتداء وهذا من باب تسمية الابتداء باسم العاقبة والعاقبة باسم الابتداء .

نظم : وانى لاستحصى من الله ان ارى
يخالف قولى الفعل سرأ ولا جهرأ
أبى ذلك خوف الله جل ثناؤه
وهل يأمن الانسان من ربه المكرأ

قوله سبحانه :

« ومكروا ومكرنا مكرأ وهم لا يشعرون » (٢٧/٥١) يعنى قوله قبل الآية (قالوا اتقاسموا بالله لنبيتنه) ومكرنا مكرأ ، اى جازيناهم على مكرهم بانادمرناهم وقومهم أجمعين اى أهلكتناهم عن آخرهم ، وقيل : ان الله تعالى أرسل عليهم صخرة عظيمة أهلكتهم بها . وقيل : اى ابحننا المؤمنين المكر بالكفار بكل ما يقدر عليهم من الاضرار بهم والجهائم الى الايمان وانما نسبه الى نفسه لما كان بأمره ، قال النبى عليه السلام : الحرب خدعة ، كما فعله عليه السلام بالمشركين عند اجتماعهم على الايقاع به فأمر علياً عليه السلام بالمبيت على فراشه ، والهجرة الى حيث أمره الله ، فاضاف ما فعله وفعله المؤمنون الى نفسه من حيث كان ذلك بأمره وتعليمه كما قال (ومارميت اذ رميت ، الى قوله ، واذ بمكربك الذين كفروا) قال الطبرى والخطيب فى تاريخهما والقزوينى والنعلبى فى تفسيريهما : كان مكر الله بيات على على فراش النبى عليه السلام . قال الشاعر :

ولما سرى هادى النبی مهاجراً
و نام على فى القراش بنفسه
فكان مكان المكر حيدرة الرضى
وقد مكر الاعداء والله أمكر
وبات ربيط الجاش ما كان يذعر
من الله لما كان بالقوم يعمكر
فيكون المعنى ان الله تعالى يرد مكركم عليكم ، كما يقال ان فلاناً أراد ان يخدعنى
فخدعته وقصد الى ان يمكر بى فمكرت به ، وعلى هذا بأول (وجزاء سيئة سيئة) لان الثانى
لانكون سيئة وانما يكون جزاء وهكذا فى آية الاستهزاء .

قوله سبحانه :

« كذلك كدنا ليوسف » (١٢/٢٦) اى علمنا يوسف من جهة الخفية دون الظاهر
وذلك أن الحكم كان فى أيام العزيز من سرق شيئاً اخذ بسرقة وملك .

قوله سبحانه :

« يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم » (٢/٨) الخداع مشتق
من الخدع وهو اخفاء الشئ مع ايهاا غير ومنه الخدع ، والتغير . انشد : طيب
الريق اذا الريق خدع ، اى تغير وفسد ، قال أبو عبيدة (يخادعون الله) بمعنى يخدعون
قال الشاعر : وخادعت المنية عنه سرأ . ومثل ذلك قولهم قاتله الله ، وعافاه الله ومعناه
ان المنافق يخادع الله بلسانه خلاف ما فى قلبه والله يخادعه بما فيه نجاة نفسه ، قال
الحسن والزجاج والازهرى : معنى (يخادعون الله) أنهم يخدعون نبيه كما قال (وان يريدوا
أن يخدعوك) وقيل أنهم ينافقون والله يجازيهم على فعلهم كما قال (وان عاقبتهم فعاقبوا)
وجزاء سيئة سيئة مثلها)

قوله سبحانه :

« أنهم يكيدون كيداً » (٨٦/١٥) اى يحتالون فى دفع الحجج وانكار الايات
(واكيد كيداً) اى اجازيهم على كيدهم وسمى الجزاء على الكيد بأسمه لازدواج
الكلام ، وقيل أنهم يحتالون لاهلاك النبی وأصحابه وأنا أسبب لهم النصر والغلبة وأقوى
دواعيهم الى القتال فسمى ذلك كيداً حيث يخفى عليهم وجه ذلك .

قوله سبحانه :

حاكياً عن إبليس «رب بما أغويتني» (١٥/٣٩) أنه كلام إبليس وأنه ليس ممن يقبل قوله ، وإن أبانا آدم هو الصدوق المعتمد (قال رب انى ظلمت نفسى) فاعترف أنه الظالم لنفسه فيما يتعاطى من ترك المذنب اليه ولم يضيفها الى ربه فقوله أصبح وكلامه أثبت ، وإن إبليس قد اعترف فى الآخرة اضطراراً فى قوله (وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلأنلوه وننى ولو هو أنفسكم ما أنا به صرحكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركنهونى) ثم أنه لم يقل انك أغويتنى عن الحق وقال تعالى (ولا يفرنكم بالله الغرور ، ولا يفتننكم الشيطان) فأخبر اننا مختارون .

قوله سبحانه :

«ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبشر ما عليه غلبه» (٦/٩) لا تعالى فيه لانه قال لو فعلت كذا لفعلت وليس يوجب ذلك بانه يفعله ، وقد قال فى نظمه لو أردنا ان نتخذ لهم أوتاً لآخذنهم وليس ذلك بمعجزان يفعله .

قوله سبحانه :

«وهو شديد المحال» (١٣/١٤) فتاويله مثل ما قلنا فى الكيد والمكر .

قوله سبحانه :

«و أما الذين سعدوا» الآية (١١/١١٠) أبى ذوالكلاع الحميرى قتال على عليه السلام فوضع عمرو بن العاص ان السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه وانتحلّه الى النبی عليه السلام وقارنه بهذه الآية فبايع ذوالكلاع معوية فانتشر ذلك فى بنى أمیه واتباعهم الا عمر بن عبد العزيز فانه لم يقبله ، فان صح الخبر فتاويله و تاويل الآية ان السعيد والشقى من يظهر أمره فى قبره لان الام كل ما يرجع اليه قوله (فامه هاوية) والارض هو المرجع قوله (منها خلقناكم وفيها نعيدكم) وقوله (الم نجعل الارض كفاتاً احياء وأمواتاً) وقال الضحاك : المعنى أن الذين سعدوا بطاعات الله يدخلون الجنة خالدين فيها ، واستثنى من جملة من كان مستحقاً للنار وأراد عقابهم ثم اخرجهم منها فكانه قال خالدين فيها الامدة ما كانوا معاقبين فى النار وذلك صحيح لاجتماع الامة على جواز

اخراج بعض الاشقياء من النار بعد دخولهم فيها ، وسمع الحسن قول ابي معشر الكوفي ان الله خلق خلقاً وقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار، فقال يا لكم اوجعله الله قرعة بين عباده ، موسى بن جعفر عليه السلام ليس من العدل أن يشترك اثنان في فعل فيعذر القوي ويلام الضعيف ، و حقيقة السعادة انه يتأتى له ما يريد الوصول اليه من المنافع و دفع المضار و هذا لا يوجب ما زعموا .

قوله سبحانه:

«ربنا غلبت علينا شقوتنا» (٢٣/١٠٨) الغلبة انما تصح من القادر الحي ولا وجه لاضافة الغلبة الى الشقاوة على ان السعادة والشقاوة انما يستعمل في اصابة الخير وحرمانه.

قوله سبحانه :

«ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس» (٧/١٢٨) الظاهر انه خلقهم لجهنم ولا يوجب ذلك انه يريد منهم الكفر وأنه يريد العقاب وان لم يرد ما يستحق به ذلك كما يريد التوبة من الفاسق وان لم يرد ما لاجله يجب التوبة ، ولا من لجهنم لام العاقبة دون غرض الفعل لانه قال في اخره (واذكركم بالنعمة بالهم أضل) وكيف يقول ذلك وانما فعلوا ما له خلقوا وكيف يذمهم لفعل ما خلفهم له وأرادهم منهم ، ولا من كى التي تكون لغرض الفعل يدخل على الافعال دون الاسماء ويناقض قوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فاذا خلقهم لعبادته فكيف يخلقهم لجهنم ، واذا كان خالق جميعهم للعبادة فقد شاء من جميعهم العبادة . بيت :

وما الناس الا للعبادة خلقهم ولكن تعدى من تعدى على خبر
وبدل على أنه لام العاقبة قوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً) وآل فرعون لم يلتقطوه لذلك وانما التقطوه لقوله (قرة عين لى ولك) قال الشاعر :

فللموت تغذوا الوالدات سخاها كما لخراب الدور تبني المساكن

قوله سبحانه :

«ولا يزلون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم» (١٢/١٢٠) يعنى به من أسلم من هؤلاء المختلفين لانهم اذا أسلموا ارتفع الخلاف بينهم وصاروا منفقين على الغير ولذلك خلقهم لان برحمهم ابتداء وان برحمهم على فعل ، او خلق النصارى ليخالف

اليهود واليهود ليخالف النصارى كما حكى عنهم (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله) وقال الحسن : انهم يختلفون بالارزاق والاحوال وتسخير بعضهم لبعض .

قوله سبحانه :

«فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء» (٥/١٧) اى اغراء اليهود بمعاداة النصارى فى ادعاء النصارى ان الله ولدأ واعتقادهم التثليث ، واغراء النصارى بمعاداة اليهود بجحدهم بنبوته المسيح وشتمهم امه . وقال البلخى : يكون الاغراء بين النصارى خاصة بعضهم لبعض على ظاهر الاية وهو ان الله تعالى نصب الادلة على ابطال كل فرقة من فرق النصارى فاذا عرفت طائفة منها فساد مذهب الاخرى فيما نصب الله لها من الادلة وان جهلت فساد مقالة نفسها لتفريطها فى ذلك وسوء اختيارها فجازعنا على هذا اضافة الاغراء الى الله تعالى .

قوله سبحانه :

«يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون» (٢/١٩) معنى تتقون لتتقوا لان لعل بمعنى لام كي ، وعند المفسرين لعل من الله واجب فاذا كان خلق جميعهم للتقوى فقد اراد من جميعهم التقوى ،

قوله سبحانه :

«وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واثقوا بعظم ترحمهم» (٦/٥٦) أمر من الله باتقاء معاصيه واتباع نبيه لعلكم ترحمهم لكى ترحموا ، وانما قال (واثقوا لعلكم) مع أنهم اذا اتقوا رحموا لامحالة لامرين ، احدهما اتقوا على رجاء الرحمة لانكم لا تدرسون ماتوا فى الآخرة ، والثانى اتقوا لترحموا ومعناه ليكون الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب .

قوله سبحانه :

«حتى اذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعنى لعلنى أعمل صالحاً فيما تركت» الاية (٢٣/١٠١) فيها دلالة على أنهم كانوا يقدرّون على الطاعة فتمنوا الرجوع ليعملوا الخير بخلاف ماتقول المجبرة .

قوله سبحانه :

«فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا وادفعنا من غير الذي كنا نعمل» (٧/٥١) يدل على أنهم كانوا قادرين على الايمان في الدنيا فلذلك طلبوا تلك الحال ، ولولم يكونوا قادرين لما طلبوا الرد الى الدنيا والى حالهم الاولى ، وتدل ايضاً على بطلان مذهب الحسين النجار في تكليف أهل الآخرة وهو خلاف القرآن والاجماع .

قوله سبحانه :

«لعلكم تهتدون، ولعلهم يشكرون، ولعلهم يرجعون، ولعلهم يعقلون، ولعلهم يفقهون، ولعلهم يذكرون» فيها دلالات على ان الله تعالى أراد منهم المذكورات لان كلها لامات الغرض .

فصل

قوله تعالى : «وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً لفتنهم فيه» (٧٢/١٦) قال اكثر المفسرين أنه لو استقام العقلاء على طريقة الهدى واستمروا عليها و عملوا بموجبها لجازاهم على ذلك بان اسقامهم ماء غدقاً اي كثيراً وفي ذلك ترغيب في الهدى ، وقال الفراء : معناه وان لو استقاموا على طريقة الكفر لافعلنا بهم ما ذكرناه تغليظاً للمحنة في التكليف ولذلك قال (لنفتنهم فيه)

قوله سبحانه :

«فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة» (٦/٤٤) علمنا في الجملة ان هذه الايات مخصوصة فلا نعتقد فيها تخصيص وليس يلزمنا اكثر من ذلك، ومن تكلف وقال انما فتح ابواب كل شيء ليفرحوا ويبتطروا فيستحقوا العقاب قلنا انصرفنا عنه بدليل كما انصرفنا عن آيات الجبر والتشبيه، ثم ان لفظة الكل هي هنا المراد به الكثير دون العموم مثل قوله (واوتيت من كل شيء) وقوله (ولقد ارينا آياتنا كماها) ويقال هذا قول اهل العراق وأهل الحجاز ويراد به قول اكثرهم .

قوله سبحانه:

«ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر أنهم لن يضروا الله شيئا» (٣/١٧٠) يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة، الإرادة لاتتعلق بالألا يكون الشئى وانما تتعلق بما يصح حدوثه قال ابن اسحق : يريد الله أن يحبط أعمالهم بما استحقوه من المعاصي والكبائر وقال غيره: ان الله يريد أن يحكم بحرمان نواب الذين عوضوا بتكليفهم و هو لا يق بمذهبنا لان الاحباط باطل .

قوله سبحانه:

«ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى» (١٦/٦٣) يعنى أنه تعالى لو يؤاخذ الكفار والعصاة بذنوبهم ويعاجلهم بعقوباتهم لما ترك على الارض أحداً من الظالمين ، وانما يؤخرهم تفضلاً منه ليتوبوا و لما فى ذلك من المصلحة لباقى المكلفين ليعتبروا بهم ، والوجه فى تعميمهم بالاهلاك مع أن فيهم مؤمنين ان الاهلاك وانهم هم وعقاب الظالمين دون المؤمنين لان المؤمن يعرض عليه على ان ذلك يكون خاصة والتقدير ما ترك عليها من دابة من أهل الظلم ثم انه لو هلك الالباء بكفرهم لم يؤاخذ الالباء .

قوله سبحانه:

«يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا» الى قوله فنردها على أدبارها (٤/٥٠) قال ابن عباس : المعنى عبدالله بن سلام وغيره فلما أسلموا دافع عنهم ، وقال أبى وكعب الطمى ان ترد عن بصائر الهدى وتحول الوجوه الى الاقفاء ويكون المعنى ان يحول بالمعصية وتسمى بالضلال، وقال الحسن ومجاهد والضحاك والسدى : نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها فى ضلالتها ذماً لها بانها لاتصلح ابدأوان كانوا فى الضلالة فى الحال فتوعدهم بانهم متى لم يؤمنوا بالنبي عليه السلام ازدادوا بذلك ضلالا الى ضلالتهم ، واما ان يستلهم ان يؤمنوا من بعد وهو المروى عن أبى جعفر عليه السلام، ويقال يكون ذلك فى القيامة تقلب وجوههم الى أدبارهم .

قوله تعالى: «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» (١٧/١٧) الإهلاك على سبيل الامتحان أو الاستحقاق حسن وانما يبعج اذا كان ظالماً والله تعالى منزّه عن ذلك ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك ، واذا قامت الدلالة على أنه تعالى منزّه عن القبايح ، علمنا ان هذه الآية لم تتعلق الا بالاهلاك ، الحسن قوله (أمرنا مترفيها) الأمور به محذوف وليس يجب ان يكون الأمور به هو الفسق وان وقع بعده الفسق ، وهذا كما يقول أمرته فعصى ودعوته فأبى والمراد أمرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة ، والله تعالى لم يعلق الارادة الا بالاهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب ، والذي حسن قوله اذا اردنا هو ان في تكرار الامر بالطاعة والايمان اعذاراً الى العصاة و انذاراً لهم واثباتاً للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا بعد تكرار الانذار ممن يحق عليه القول ويجب عليه الحجة ، يوضح ذلك قوله قبل الآية (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ويكون (أمرنا مترفيها) من صفة القرية وصلتها ولا يكون جواباً لقوله (وإذا أردنا) ويكون تقدير الكلام واذا أردنا ان نهلك قرية من صفتها انا اذا أمرنا مترفيها ففسدوا فيها ، ولم يات لها جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه بمافى الكلام من الملاحة عليه نحو (حتى اذا جاءوها رفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) الآية ولم يات اذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه . قال الهذلي: حتى اذا اسلكوهم في قنائة شاكما تطرد الحمامة الشرذاً

حذف جواب اذا والبيت آخر القصيدة ، ويكون ذكر الارادة في الآية مجازاً ، وانهم متى أمروا ففسدوا ويجرى ذكر الارادة في الآية هيئنا مجرى قولهم اذا أراد التاجر ان يفتقر آتته النوائب من كل جهة والخسران من كل طريق ، وقولهم اذا أراد العليل ان يموت خلط في مأكله وتسرع الى ما تنوق اليه نفسه ، وهذا كقوله (فوجدنا فيها جداراً يريد ان ينقض فاقامه) ويحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها اذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب أردنا اهلاكهم ويشهد بذلك قوله (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم) وقوله (واذا كنتم فيهم فأقمتم لهم الصلوة فاتم طائفة منهم معك) والطهارة قبل القيام الى الصلوة وقيام الطائفة معه يكون قبل اقامة الصلوة ويحتمل كانه قال تعالى واذا أردنا ان نهلك قرية مأموراً مترفوها كررنا الامر

عليهم اواعدنا للوعظ لهم أو أمرناهم ثانياً ففسقوا فيها فحق عليهم القول ويمكن ان يتحمل
لاذا في الآية جواب وهو ان يجعل الفاء في قوله (فدمرناها تدميراً) زائدة ويجعل دمرنا
ها جواباً لآذا كقولهم اخوك فمجدد وزيداً فاضرب وعمراً فاكرمه ومنه (وثيابك فطهر ،
والرجز فاهجر)

قوله سبحانه :

«سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» (٦٨/٤٤) لا يقتضى اكثر من أنه يستدرج
من كذب بآياته ولم يذكر ما يستدرجه اليه وأصله من الدروج وهو الهلاك ويقال من
دب و درج وسينه لا يمكن اجراؤه عن السؤال في اوصافه . قال ابن عباس انهم كلما
أحدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما يستدرجهم الى الضرر والعقاب الذى استحقوه بما تقدم
من كفرهم والله تعالى ان يعاقب المستحق بما شاء اى وقت شاء فكانه تعالى لما كفر واو
بدلوا نعمة وعاندا وارسله لم يغير نعمه فى الدنيا بل أمهاتهم الى وقت أراد ولوجاز ان
يستدرجهم الى الكفر ثم يعذبهم عليه ليجاز ان يعذبهم ابتداء ولوجاز ان يامرهم بالفسق
لكانوا بفعله مطيعين ففسقوا فيها دل على انه انما أمرهم بالطاعة فصاروا بمقارفة أمره
فاسقين ولو كان أمرهم بالفسق ففعلوا ذلك لكانوا بذلك مطيعين والارادة لاهلاك قوم
قد يكون حسناً اذا كانوا مستحقين وقديين انه لا يهلك أحداً الا بالاستحقاق قوله (وما
كان ربك ليهلك القرى ، وما كنا مهلكى القرى) .

فصل

قوله تعالى : «فلا تعجبك أموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
بها فى الحياة الدنيا وتزهدى أنفسهم وهم كافرون» (٩/٥٥) ابن عباس وقتاده فى
الكلام تقديم وتأخير فلا يعجبك يا محمد ولا يعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار
والمناققين ولا اولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة عقوبة لهم على
منعهم حقوقها ومثله (فالله اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) المعنى فالله اليهم
فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم ، ومعنى التعذيب بالاموال والاولاد فى الدنيا ما هو جعله
للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبى اولادهم وفى ذلك ايلام لهم ، وقد أخبر الله
تعالى نبيه عليه السلام انه يرزق الكفار الاولاد والاموال لالكرامة لهم بل للمصلحة

الداعية الى ذلك وانهم مع هذه الحال معذبون بها بالوجه المذكور والمراد بذلك كل ما يدخل عليهم في الدنيا من الغموم والمصائب بأموالهم عقاب وجزاء وهو للمؤمنين محنة وجالبة للعوض ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وعند انقطاع التكليف عنه مع أنه حتى من العذاب الدائم الذي قد أعد له واعلامه انه صائر اليه ومنقل الى قراره . الحسن والطبري : المراد بذلك ما الزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم لان ذلك يؤخذ منهم على كره وهم اذا أنفقوا بغيرنية فتصير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عايبها أجراً وهذا غير صحيح ، وقال المرتضى : تقدير الآية انما يريد الله ليعذبهم بأموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا من انفاقهم الاموال في وجوه المعاصي وحملهم الاولاد على الكفر .

قوله سبحانه :

«وَيُزْهِقْ أَنْفُسَهُمْ» (٩/٥٥) اي يموتون على الكفر وليس يجب ان كان مريداً لا تزهد أنفسهم وهم على هذه الحال ان يكون مريداً للحال نفسها على ما ظنوه لان الواحد منقاد يأمر غيره ويريد منه ان يقاتل أهل البغي وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريداً للحرب أهل البغي للمؤمنين وان أراد قتالهم على هذه الحال ، وكذلك قد يقول لغلامه اريد ان تواظب الى في السجن وانا محبوس وللطبيب صرالى ولازمى وانا مريض ولا يريد الحبس ولا المرض و ان كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين ولا يكون قوله (وهم كفرون) حالاً لزهد أنفسهم بل يكون كانه كلام مستأنف ، والتقدير (فلا يعجبك أموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهد أنفسهم و هم مع ذلك كلهم كفرون صايرون الى النار ، وتكون الفائدة انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ويكون معنى (يزهد أنفسهم) على هذا الجواب غير الموت بل المشقة الشديدة .

قوله سبحانه :

«وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته» (٤/١٥٧) لم يقل الا وقد آمن به في الماضي وانما قال (الا ليؤمنن به) في مستقبل من الزمان فيجوز ان يكون ذلك عند

نزول عيسى وخروج المهدي (ع) ويجوز ان يريد بقوله (قبل موته) اذا عين حاله لان المعائن لم يمت الا وقد عرف ما كان عليه من هدى او ضلال .

قوله سبحانه:

« سيصلي ناراً ذات لهب » (١١١/٣) لما سمع ابولهب هذه السورة لو كان آمن لكان فيه تكذيب الله تعالى وان لم يجب عليه الايمان فهو خلاف الاجماع ، الجواب : خبر الله تعالى مشروط بانه سيصلي ناراً ان لم يؤمن ، و يجب عليه ان يعلم ذلك ، و انه يدل على صدق معجزة النبي عليه السلام .

قوله سبحانه:

« ذرهم في خوضهم يلعبون » (٦١/٩١) (ذرهم يخوضوا ويلعبوا) اجماع ان الله تعالى لا يطلق الكفر به والشتم له والفرية عليه فالمجوز له خارج عن الاجماع وقوله (يلعبون) ليس بجواب ذرهم .

قوله سبحانه:

« ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم » (٩٦/٩٦) أخبر انه منهم من الخروج فليسوا يخلون من ان يكونوا قادرين على الخروج او غير قادرين فمنع غير قادرين محال وان كانوا قادرين وقد منهم الله فقد صح مذهبا ، وبعد فقوله (ولكن كره الله) والله تعالى غير كاره على قاعدتك .

فصل

قوله تعالى : « واذا انجيناكم من آل فرعون يسوءونكم سوء العذاب يذبحون ابنائكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاعن ربكم عظيم » (٢/٤٦) قوله (وفي ذلكم) اشارة الى المقدم ذكره من انجائهم من المكروهات ، وقالوا انه معطوف على ما تقدم من قوله (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي) الاية والبلاء مشترك بين الخير والشر قوله (ونبلوكم بالخير والشر فتنه وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً) وهو الاختيار قوله (ونبلوناهم بالحسنات والسيئات) ومصدر بلي الثوب يبلى ، قال الرازي : المرء يبليه السربال ، ويقال قدأبلى فلان في الحرب واذا وقعا على الامرين لم يكن الخصم في رده الى المحنة باسعد منافي رده الى النعمة ، على انه في الانعام اولى لقوله (واذا انجيناكم) فبين انه انجاهم من قتلهم الابناء واستحيائهم

النساء ، ثم قال (وفى ذلكم بلاء) أى نعمة ولو كان كما زعموا لم يكن ذلك امتحاناً عليهم
ولكان موجباً استقاط اللائمة من فرعون فيما كان يفعله ، وأما إضافة النجاة إليه تعالى
وان كانت واقعة بسيرهم لودل على ما ظنوه لوجب اذا قلنا ان النبى عليه السلام أنقذنا من
الشرك وأخرجنا من الضلالة ونجانا من الكفر ان يكون فاعلاً لأفعالنا ، ويقال انا نجيتك
من كذا وكذا وخلصتك ولا يريد انه فعل فعله ، فلهذا صح ان ما وقع توفيق الله تعالى
ودلالته ومعونته والطفه قد يصح اضافته إليه تعالى ، وقوله (واذا أنجبناكم من آل فرعون)
يغاطب بذلك من لم يدرك فرعون فلا نجا من شره هذا كما يقال قتلناكم يوم عكاظ، المعنى
واذا أنجبنا اباؤكم وأسملافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف .

قوله سبحانه :

«اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» (٢/١٤) الاستهزاء اما يقصد به الى عيب المستهزاء به والازراء
عليه ، واذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبكيك هذا المعنى جاز أن يجرى عليه اسم
الاستهزاء ويشهد بذلك قوله (وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر
بها ويستهزاء بها) والآيات لا يصح عليها الاستهزاء والسخرية ، وانما المعنى اذا سمعتم
آيات الله يكفر بها ويزرأ عليها ، وقد بقاء الشئى مقام ما قاربه فى معناه ليجرى عليه اسمه
قال الشاعر :

سكت الدهر زماناً عنهم ثم أبكاهم دماً حين نطق

وانه تعالى يجازيهم على استهزائهم فسمى الجزء على الذنب باسم الذنب كما قال (وحزاء سيئة
سيئة مثلها) وقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وقال (وان عاقبتهم
فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به) وقال عمرو بن كلثوم :

الا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والعرب تقول الجزء بالجزء ، والاول ليس بجزء ولا شك ان ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء
على الحقيقة ولكنه سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان ، وقيل استهزأؤهم
لما رجع ضرره عليهم جازان يقول عقيب ذلك (الله يستهزاء بهم) والله تعالى هو الذى يرد
استهزائهم عليهم وان ضررهم فعلوه لم يتعدهم كما يقال أراد فلان أن يخدعنى فخدعته
المعنى ان ضرر خداعه عاد اليه ولم يضررنى ، وقيل الاستهزاء من الله هو الاملاء الذى
يظنونه اغفالا ، وروى ان ذلك يكون فى القيامة كما جاء فى التفسير قوله (كلما أرادوا ان

يخرجوا منها اعيادوا فيها) واستهزاء الله تعالى الاهلاك والتدمير، واستهزاء الخلق السفه والعنف ولاخلاف ان المبتداه ليس بعقوبة ولاجزاء ويجرى هذه مجرى قوله (يخادعون الله وهو خادعهم ، ويمكرون ويمكر الله ، ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) قوله سبحانه :

«فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين» (٢/٨٥) مالا م هؤلاء على عالم يفعلوا ولم يدركوا وانما ذلك كقولهم : هز مناكم يوم الجفار، وفضحناكم يوم الستار. اى قتلت آباءنا آباءكم ثم انه لما كانت الابناء راضية بما صنعت الآباء دخلوا معهم فى الغضب وشاركوهم فيه .

قوله سبحانه :

«وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء» انهم لكاذبون» (٢٩/١١) ان الله لا يؤخذ أحدا بذنب غيره فلا يصح اذا ان يتحمل أحد ذنب غيره كما قال (ولا تزر وازرة وزر اخرى) وليس ذلك بمنزلة تحمل الذية عن غيره، لان الغرض فى الذية اداء المال عن نفس المقتول فلا فصل بين ان يوديه زيد عن نفسه وبين ان يوديه عمرو عنه لانه بمنزلة قضاء الدين .

قوله سبحانه :

«وليحملن أثقالهن وأثقالهن» (٢٩/١٢) معناه انهم يحملون خطاياهم فى أنفسهم التى لا يعملونها لغيرهم ، ويحملون الخطايا التى ظلموا بها غيرهم فحسن لذلك فيهم التفصيل الذى ذكر الله تعالى .

قوله سبحانه :

«ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم» (١٦/٢٧) وقوله (أنهلكم بما فعل السفهاء منا) وقوله (انى اريد أن تبوء بائعى وائممك) واشباهها اذا عرض على العقل والكتاب والسنة والاجماع بطل ذلك ، ولا يجوز فى العقل ان يفعل ما هو ظالم والاخذ بغير الجرم ظالم فهو غير فاعل له ، والحمل المعقول انما هو حمل شىء به ثقل، والوزر فى اللغة الثقل ، ومن نقل الحمل والوزر عن ذلك كان تارك للظاهر والمعلوم ان من حمل من ثقل غيره يكون ذلك تخفيفا عنه ولاخلاف انه لا يخفف عن

المحمول من اوزارهم لانهم يقولون ان هؤلاء لا يعملون من اوزارهم من غير ان يخفف عنهم ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم اى من اوزار اضلال الذن يضلونهم مثل قوله (واسئل القرية) وفي القران (قل ان ضللت فانما اضل على نفسي، ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى) وأشباههم او بالاجماع لا يجوز ذلك من حيث ان ذلك يوجب التخفيف عنه فمعناه انهم يحملون مثل اوزارهم لا غوائهم وذلك انهم فعلوا فعلين ضلوا واصلوا فاستحقوا حظين من العذاب وتحملوا وحملين من الوزر. بيت: بذنبيها تؤخذ كل وازرة.

فصل

قوله تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (٢/٢٥٨)

النور والظلمة المذكور ان في الآية جائز أن يكون المراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب وقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم في الجنة بانه نور وعن العقاب في النار بانه ظلمة واذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغ اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور لانه لاشبهة في انه تعالى هو المدخل المؤمن الجنة والعاقل به من طريق النار، فلو حمل على الايمان لتناقض المعنى واصار تدبير الكلام انه يخرج المؤمن من الكفر الى الايمان، واذا كان الكلام يقتضى الاستقبال في اخراج المؤمن من الظلمات كان حملا على ذكر طريق الجنة والعدول بهم عن طريق النار أشبه بالظاهر وبعد فلو كان الامر على ما ظنوه لم صار الله تعالى ولياً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله لامن فعلهم، ولم كان خادلاً للكفار ومضيفاً لولايتهم الى الطاغوت اذا كان من فعله، ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولى للامرين فيهما وفيه كلام كثير.

قوله سبحانه :

«قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» (٣٧/٩٣) اى ما تعملون في الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه آلهة ويعبدونها ولم يرد انكم تعبدون نحتكم الذى هو فعل لكم بل اراد ما تعملون فيه النحت، كما قال (فاذا هي تلقف ما يا فكون) وعشاه (والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا) وعصى موسى لم تكن تلقف افكهم وانما كان تلقف الاجسام التى هى العصي والحبال ثم انه اخرج الكلام مخرج التوبيخ لهم لعبادتهم الاصنام فلو كان ذلك من فعله تعالى لما توجه عليهم العتب بل يكون لهم الحجة لاعليهم، ومتى

لم يكن المراد ما تعملون فيه ليصير تقدير الكلام ما تعبدون الاصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التي تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى على ان اضافة العمل اليهم بقوله (تعملون) يبطل تأويلهم الآية لانه لو كان خالقاً لهم لم يكن عمالاً لهم لان العمل انما يكون عملاً لمن أحدثه فكيف يكون عمالاً لهم والله خلقه ، وان قوله (وما تعملون) يقتضى الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال ان يقول تعالى انى خالق للمعدوم ولو كان كما ظنوه لقال: والله خلقكم وخلق عبادكم الاصنام فيكون عاذراً و مزيلاً للوم عنهم لان الانسان لا يذم على ما خلق فيه ، والخلق اذا كان بمعنى التقدير فقد يكون الخالق خالقاً لفعل غيره اذا كان مقدراً يقال خلق الاديم اذا قدر وان الله تعالى قال (انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله) وهذه الآية تدل على بطلان الجبر وان الله تعالى لا يريد من الكفار الكفر لانه صرح ههنا انه يريد من جميع المكلفين الايمان والطاعة .

قوله سبحانه :

«أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (٤/٨٤) هذه الآية تدل على أربعة أشياء : أحدها على بطلان التقليد وصحة الاستدلال فى اصول الدين لانه حث ودعا الى التدبر وذلك لا يكون الا بالفكر والنظر ، والثانى يدل على فساد مذهب الجبرية والحشوية ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول عليه السلام لانه تعالى حث على تدبره ليعلموا به ، والثالث يدل على انه لو كان من عند غير الله لكان على قياس كلام الخلق من وجوه الاختلاف فيه ، والرابع يدل على ان المتناقض من الكلام ليس من فعل الله لانه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره . منصور الفقيه :

لى جار جمعت فيه من الشر امور كلما أبصر شخصى ظل يغلى ويفور

لالجرم غير انى قلت ربى لايجور

قوله سبحانه :

«ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس (٧/١٢٨) اللام لام العاقبة والمعنى انه خلق الخلق كلهم ، وتصير عاقبة كثير منهم الى جهنم بسوء اختيارهم من الكفر بالله وارتكاب معاصيه .

قوله سبحانه:

«وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» (٥١/٥٦) دليل على انه لم يخلق الثقيلين الالعبادته، فاللام لام الفرض، ولا يجوز ان يكون لام العاقبة لحصول العلم بان عالماً لا يعبدون الله تعالى.

قوله سبحانه:

«قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق من السباع والهوام وما شبه ذلك مما يؤذي الناس» (١١٣/١) هذا التعوذ انما هو من شر ما خلق من أنواع خلقه من السباع والهوام وما شبه ذلك مما يؤذي الناس.

قوله سبحانه:

«وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر» (٤/٤٣) دلالة على بطلان قول المجبرة في ان الكافر لا يقدر على الايمان لان الآية نزلت على انه لا عذر للكافر في ترك الايمان ولو كانوا غير قادرين لكان فيه اوضح العذر لهم، ولما جاز ان يقال وماذا عليهم لو آمنوا بالله وانهم لا يقدرون عليه ولا يجدون السبيل اليه، ولذلك لا يجوز ان يقال لاهل النار ماذا عليهم او خرجوا منها الى الجنة من حيث لا يقدرون عليه ولا يجدون السبيل اليه، وكذلك لا يجوز ان يقال للمريض ماذا عليه لو كان صحيحاً ولا للفقير ماذا عليه لو كان غنياً. ابن الصوفي:

من رأى الظلم قبيحاً فعله لانهى الامر المقتدر

ثم لا يأمن من موبقة يزدرىها وهي احدى الكبر

قال مثله بشيىء. بين قلت في التحصيل كسب الاشعري.

فصل

قوله تعالى: «ان الله لا يظلم مثقال ذرة» (٤/٤٤) اعلم ان الله تعالى قد نفى

الظلم عن نفسه في الدنيا والاخرة، فاما في الدنيا فقوله (وما الله يريد ظلاماً للعباد، ان الله لا يظلم الناس شيئاً، وما كان الله ليعظلمهم، ذلك من انباء القرى تتلوها عليك بالحق، الم يأتيهم نبياً الذين من قبلهم وما ظلمناهم ولكن كانوا، وما كنا مملكي القرى، وما كان ربك ليهلك القرى) ونحوها، وأما في الاخرة فقوله (ما يبدل القول لدى، وما انا بظلام للعبيد، ثم توفي كل نفس ما عملت، ووجدوا ما عملوا حاضراً، ولا يظلم ربك أحداً) ووضع الكتاب

وجيئ . بالنبيين ، اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم ، ان الله لا يظلم مثقال ذرة)
دخل يزيد بن معاوية الشامي على الرضا عليه السلام بمرور وسأل عن قول الصادق عليه السلام
لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين فقال عليه السلام : من زعم ان الله فعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد
قال بالجبر ، ومن زعم ان الله فوض أمر الخلق والرزق الى حجبجه فقد قال بالتفويض ، والقائل
بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك ، قال فما أمر بين أمرين ؟ فقال عليه السلام : وجود السبيل
الى اتيان ما نوهو عنه ، قال فهل لله ارادة ومشية في ذلك ؟ فقال : اما الطاعات فارادة الله و
مشيته فيها الامر بها والرضا بها والمعاونة عليها وارادته ومشيته في المعاصي النهي عنها
والسخط لها والعقوبة عليها و الخذلان بها ، قال فله فيه القضاء ؟ قال نعم ما من فعل
فعله العباد من خير وشر الا ولله فيه القضاء قال فما معنى هذا القضاء ؟ قال الحكم عليهم
بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والاخرة . الفقيه الاصفهاني :

أيكلف الذنب العظيم عبادة وبه يعذبهم فذا ظلمان
والله ليس بظالم لعباده وبذلك أنطق محكم القرآن

قوله سبحانه :

« والله لا يحب الظالمين » (٣/٥٠) واذا لم يحب الظالم لم يحب فعل الظلم
لانه انما لم يحب الظالم لظلمه والمحبة هي الارادة .
قوله سبحانه :

« وما الله يريد ظلماً للعالمين » (٣/١٠٤) رد على المجبرة لانه لو أراد ظلم بعضهم
لبعض لكان قد أراد ظلمهم وكذلك لو أراد ظلم الانسان لغيره لجاز ان يريد ان يظلمه هو
لانه لا يفعل ما لا يريد وقوله (وما الله يريد ظلماً للعالمين) نفى لارادة ظلمهم على كل حال
قوله سبحانه :

« وما كان ربك ليهلك القرى بظلم » (١١/١١٩) اي بظلم صغير يكون منهم مع
ان اكثرهم المصلحون لان القليل لا يعتد به في جنب الكثير وقيل ان المعنى بظلم منا
كما قيل (ان الله لا يظلم الناس شيئاً) بيت : جل اله الخلق من ظلم البشر .
قوله سبحانه :

« وما ربك بظلام للعبيد » (٤١/٤٦) ذكره بلفظ المبالغة في نفى الظلم عن

نفسه وان كان لا يفعل القليل منه لانه خرج جواباً للمجبرة ورداً عليهم لانهم ينسبون كل ظلم في العالم اليه تعالى فيبين انه لو كان كما قالوا لكان ظلاماً وانه ليس بظالم وسئل متكلم له ورد على وزن فعال الذي صيغ للكثير وهو منزله عن الظلم اليسير فقال لانه لو فعل أقل الظلم لكان عظيماً منه لانه غير محتاج اليه مع علمه بقبحه وبأنه غنى عنه والقيح لا يتأتى الا من جاهل او محتاج فلو فعله من غير حاجة اليه فهو أعظم من كل ظلم فعله فاعل لحاجة اليه .

فصل

قوله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »

(٤/٨١) قال ابن عباس والحسن : الحسنة ما أصاب النبي عليه السلام يوم بدر من الظفر والنفيمة ، والسيئة ما أصابه يوم كسر رباعيته . وقال : ابو العاليه وابو القاسم ان الحسنة والسيئة الطاعة والمعصية ويكون المعنى ان الحسنة التي هي الطاعة من أمر الله وترغيبه فيها ولطفه لها والسيئة بخذلانه على وجه العقوبة على المعاصي المتقدمة وسماها سيئة كما قال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) والتقدير ما أصابك من ثواب حسنة فمن الله لانه الذي عرضك للثواب وأعانك عليه وما أصابك من عقاب سيئة فمن نفسك لانه تعالى نهاك عنها وزجرك عن فعلها فلما ارتكبتها كنت الجاني على نفسك ، ويجوز ان يكون المراد بالسيئة ما يصيبهم في دار الدنيا من المصائب لانه لا يجوز ان يكون ذلك عقاباً او بعض ما يستحقونه وقوله (فمن نفسك) قال الحسن وقتادة والسدي وابن جريج و الضحاك ، اي فبذنبك اضاف المعصية الى العبد في هذه الآية ونفاها عن نفسه ولو كانت من خلقه لكانت منه على او كذا الوجوه .

قوله سبحانه :

« وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله » ١ (٤/٨٠) قال الحسن وابو القاسم وابو علي : هذه حكاية عن

(١) لا تنافي بين هذه الآية مع ما بعدها (ما أصابك من حسنة - الخ) الذي تقدم في المتن : فان كل امر لا بد وان يكون من عنده وبأذنه فهو الله الباري الخالق السلطان المحيط ، واما السبب والباعث للصدور فهو قد يكون نفس ارادة الله تعالى ومشيته وقد يكون بواعث واسباب آخر . و .

المنافقين وقال الزجاج والفراء : ان اليهود لما قدم النبي عليه السلام المدينة فكانت اذا زكت ثمارهم واخصبوا قالوا هذه من عند الله واذا اجذبوا وخاست ثمارهم قالوا هذا لشوم محمد (ص) وقال ابن عباس وقنادة الحسنة والسيئة هو السراء والضراء والبؤس والرخاء والنعمة والمصيبة والخصب والجذب وقال الحسن وابن زيد : هو النصر والهزيمة ، وقال ابن زيد قوله (من عندك) معناه بسوء تدبيرك وقال الجبائي والباغلي والزجاج : اى بشومك الذى يالحقنا بك كما حكى عن موسى (وان تصيبهم سيئة يطبروا بموسى ومن معه) فامر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول ان جميع ذلك من عند الله والاية معارضة بقوله تعالى و يقولون هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)

نظم : وليس بمجزي كاسب غير ما جنى اذا ما سواه كان محتقب الوزر
وما ذاء عليهم قال لو آمنوا ولم يعل لمريض لم مرضت و ذى قبر
ولكنه ابدى الخطاب لعاقل تهاين عن جنس المستبين بالقهر

فصل

قوله تعالى : « ليقضى الله أمراً كان منقولا » (٨/٤٣) القضاء له اربعة عشر وجهاً (قضيتهن سبع سموات) خلق (اذا قضى أمراً) فعل (والله يقضى بالحق) يفعل ومنه

لما كان الله تعالى لا يريد سوء أو لا يحب شرأ (وما الله يريد ظلماً للعالمين) فلا يجوز صدور سيئة منه تعالى بحيث يكون هو السبب والمريد لها (تعالى الله عما يقول الظالمون). نعم توجد السيئة من عنده بسبب سوء اعمال العباد واستحقاقهم للخذلان والعذاب ، فمنشأ السيئة وعلتها الاولى هي نفس من تصيبه السيئة ، فان الله لا يظلم مثقال ذرة . واما الحسنات المصيبة فلا ريب ان صدورها من الله ، ولا يصلح ان يكون اعمال العباد هو السبب التام كما قال تعالى يا ابن آدم بشيتى كنت انت الذى تشاء وتقول وبقوتى اديت الى فريضتى - الخ (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) . وقد اشار الى هذه اللطيفة الكريمة باختلاف التعبير فى الايتين فاضاف كلمة (عند) فى هذه الاية فقال : كل من عند الله ، واما فى الاية السابقة فى المتن فقال : (فمن الله ، فمن نفسك) اشارة الى السبب التام والعللة الاولى ومنشاء الصدور . ثم ان المراد من المصيبة فى الايتين هى ما اصابته من الخارج فلا يشمل اعمال العباد من الطاعات والمعاصى التى هى صادرة من العبد (بحول الله وبقوته) وبدل على هذا المعنى التعبير بكلمة (اصابت) كما لا يخفى على ذوى النهى - ح - م

سمى القاضي للحاكم (وقضى ربك) أمر (وقضينا الى بنى اسرائيل) اعلمنا فهذا يأتى مقرونا
بأنى (اذ قضينا الى موسى الامر) عهدنا (فاذا قضيتم مناسكتكم) فرغتم (فوكزه موسى
فقضى عليه) مات (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) وجب (أمرأ مقضيا) كتاباً (من قبل
ان يقضى) اتمام (فلما قضى موسى الاجل) وفى (فاقض ماأنت قاض) فاصنع (ليقضى الله أمراً)
يقدر. النبى عليه السلام يقول الله تعالى (من لم يرض بقضائى ولم يشكر لنعمائى ولم يصبر
على بلائى فليتخذ رياسوائى) زياره بن أعين قال الصادق عليه السلام : اذا كان يوم القيامة
وجمع الله الخلايق سألهم عما عهد اليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم . النبى عليه السلام
سيكون فى اخر هذه الامة قوم يعملون بالمعاصى ثم يقولون هذه من الله قضاء وقدر فاذا
لقيتموهم فاعلموهم انى منهم برى . وأتى امير المؤمنين عليه السلام بمفتري قاذف فقال له يا هذا
لم قذفت هذا المؤمن فقال يا امير المؤمنين من قضاء الله وقدره فقال كذبت يا عدو الله على
الله والله يقضى بالحق وهذا هو الباطل فامر بحد القرية ثم أمر ثانياً حتى اقيم عليه حد
الاقتراء فلما أفاق وقام قال يا امير المؤمنين جمعت على بين ماله يجمع الله على ، فقال عليه
السلام كذبت يا عدو الله ما ضربتك الا حداً لله اما الاربعين فلا فكك على الله حين نسبت اليه
قضاء المعصية ، واما الثمانين فهو حد القذف . وقال جميع الحشوية ومعظم رواة العامة
و نقله احمد بن حنبل : ان عمر بن الخطاب أتى بسارق فقال ما حملك على هذا فقال
قضاء الله وقدره فضربه عمر ثلثين سوطاً ثم قطع يده فقال قطعت يدك بسرقتك وضربتك
بكذبك على الله . وقال ابو مريم الثنوى لابی موسى الاسوارى : ما أحسن دينكم اولا
أنكم تقولون ان الله يقضى هذه القواحش ثم يعذب عليها ، فقال الحسن هذه حجة الله
قامت على لسان ابى مريم اعلموه اننا لا نقول هذا انما يقول السفهاء منا فاسلم ابو مريم .
وقال ابو محمد المداينى اقول اذا اعطيت الكتاب يا رب انى معترف بما فيه ولكن خبرنى
اهوشى ركبته ام شىئى قضى على فان كنت فعلت فعبدك أخطا وأساء فان تعف فبفضلك
وان تعذب فبعدلك وان كان قضى على قلت يا معشر الخلايق ابن العدل الذى كنا نسمع
به فى دار الدنيا ليس ههنا منه قليل ولا كثير وقال بعض الناس لو كان الزنا كما قضى الله
لكان الرضاء به خيرة لاجماع الناس على قولهم الخيرة فيما يصنع الله . نظم :

أصنع المجرى الذى بقضاء السوء قد رضى فاذا قال لم فعلت فقل هكذا قضى
الملك الصالح :

ولو قد قضى الله المعاصى بقولكم لمهد لا تى بهاوسع العذر
ولم يعذر الا عمى بما قد قضى به عليه ولا اهل الزمانة والضر
ولكنه لم يعذر السارق الذى تعدى ولا الزانى ولا شارب الخمر
يكون معاصى الخلق جوراً و باطلا ونسبة بارينا لذاك من النكر
وحاشاه يبدأ باطلا فى قضائه وقد قال يقضى الحق فى محكمه الذكر
و لكن قضا الله فيها عقابه عليها وتعجيل النكال الذى يجرى
ايغضب مما قد قضا مقدر له ان هذا ليس من قول ذى حجب
فكيف يكون الحمد والذم لامرى على فعلة يلجأ اليها ولا يدري .

فصل

قوله تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل » (١٧/٤) لم يقل قضينا عليهم او قضينا
فسادهم وانما قال (قضينا اليهم فى الكتاب) فهذا القضاء مما حصل فى التوراة ، والقضاء
بمعنى الخلق لا يحصل فيها ولا خلاف انه لا يامر . وقال لنفسدن فاضاف اليهم وأخبر انهم
يفعلون فى المستقبل ومعناه انه اخبرهم فيها بفسادهم مرتين : يدل عليه (وقضينا اليه ان
داير هؤلاء مقطوع مصبحين) الاصبح بن ثبانه والحسن البصرى لما قدم امير المؤمنين عليه
السلام من صفين قام اليه شيخ ممن شهد الواقعة فقال يا امير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا
هذا الى الشام اكان بقضاء من الله وقدر ؟ قال نعم يا اهل الشام والذى فلق الحبة وبره
النسمة ما وطننا موطناً ولا هبطنا وادياً ولا علونا تلمعة الا قضاء من الله وقدر ، فقال الشامى
عند الله احتسب عناى يا امير المؤمنين وما أظن ان لى أجراً فى سعى اذا كان قضاء الله على وقدره ،
فقال عليه السلام ان الله قد أعظم لكم الاجر فى مسيركم وأنتم سائرون وفى منصرفكم و
أنتم منصرفون ولم تكونوا فى شىء من رحالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها
مجبيرين فقال الشامى كيف ذاك والقضاء و القدر ساقانا وعنه ما كان مسيرنا و انصرفنا ؟
فقال عليه السلام : يا أخا أهل الشام لعلك ظننت قضاء لازماً وقدر احتمالاً ولو كان كذلك
لبطل الثواب و المقاب وسقط الوعد و الوعيد و الامر والنهى من الله وما كان المحسن
بثواب الاحسان اولى من المسيئ ولا المسيئ اولى بعقوبة المذنبين من المحسن تلك
مقالة عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وشهداء الزور و أهل العمى عن

الثواب وهم قدرية هذه الامة ومجوسها ان الله أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يقطع مكرهاً ولم يعص مغلوباً ولم يرسل الانبياء لعباً ولم ينزل الكتب الى عباده عبثاً ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلاً (ذلك ظن الذين كفروا ، الآية) فقال الشامي فما القضاء والقدر اللذان كان مسيرنا بهما ، فقال عليه السلام : الامر بذلك من الله والحكم به ثم نلّي (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) ثم قرأ (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) فقام الشامي فرحاً مسروراً لما سمع هذا المقال وقال فرجت عني فرج الله عنك يا امير المؤمنين .

فصل

قوله تعالى : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه » (١٢/٢٤) لا يجوز بسعنى الخلق اذ لو عنى به جازان يوجد في الناس من يعبد سواه ولم يقل انه قضى عبادتهم وانما قال (قضى الاتعبدوا) ولا يصح ان يقال خلق ان لا يفعلوا كذا وانما يصح ذلك اذا أردت به الامر بالحكم .

مركز تحقيقات كميته ترميز علوم اسلامی
قوله سبحانه :

« واذير يكموهم اذا الفيتم في أعينكم قليلا » (٨/٤٦) انه قادر على ما يشاء غير محتاج الى الاستعانة بشيئ من الاشياء من جراحة وتقليل للفريقين ، و كيف يقضى ما هو مفعول والمفعول الموجود لا يصح فعله ثانياً ، وانما قلل الكفار في أعين المسلمين للجراحة وقلل المسلمين في أعين الكفار للتحرز .

قوله سبحانه :

« قضى الامر الذي » (١٢/٤١) انه فعل مجهول ولا حكم للمجهول لانه اما ان يكون فاعله معلوماً ولا فاعل له كقوله (ولما سقط في أيديهم) وقوله (والقي السحرة) واما ان ياتى اللفظ على هذه الصيغة فتعطف نحو أعجب بكذا وسربه و اشرب قلبه مع زيد وان أراد به خلق فمعلوم ان الامر له يكن مخاوفاً وقتئذ وانما خلق ذلك بعد مدة فالمراد به حكم .

قوله سبحانه :

« قل لن يصيبنا » (٩/٥١) ظاهره انه لا يصيبهم الا ما كتب لهم و لم يقل عليهم فليس هو من القضاء في شئى وانما هو فى الثواب وذلك ان بعده (قل هل ترون بنا) فالله تعالى أمرهم ان لا يجتنبوه انه لا يصيبهم من الثواب لان فى الخير يقول (لها ما كسبت) وفى الشر (وعليها ما اكتسبت) .

قوله سبحانه :

« قل لو كنتم فى بيوكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » (٣/١٤٨) كتب بمعنى فرض ، والقتل لا يفرض على المقتول ، وبمعنى حكم والحكم انما يكون على سبيل الوجوب ولم يكن هؤلاء مستحقين للقتل ولا كان قتلهم واجباً فيحكم عليهم بذلك ، وبمعنى الخبر والعلم فيكون معناه ان من اخبر الله بانه يقتل او من علم انه سيقتل الا انهما لا يكونان قضاءً ولا جبراً ولا يوجبان الافعال والفعل لا يتعلق بواحد منهما ولو كان خبره وعلمه موجباً للافعال لا وجب ما اخبر به عن أفعال نفسه وذلك يوجب انه مجنون .

قوله سبحانه :

« فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليهم عباداً لنا اولى بأس شديد فجاؤا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً » (١٧/٥) لم يقل ان ذلك بقضائى ، فأما البعث فيجوز ان أرسلهم عليهم بأن أمرهم بذلك على لسان بعض الانبياء و ذلك ان بنى اسرائيل لما أرسل عليهم من عاقبهم على معاصيهم ولم يذكر الله ان ذلك كان معصية ولا ذمهم بل هو كما أمر من الجهاد والسبى والهدم والاحراق وكل ذلك يجرى مجرى واحد ، والبعث بمعنى الارسال بالامرو التخلية والتمكين يقال بعث فلان أعداء على مكارهه ، ولم يأت بمعنى الجبر والقضاء والقدر . ابن علوية الاصفهاني :

وقضى وقدر كل شئى بالذى	قد كان منه به على عرفان
فقضائه يجرى بسابق علمه	من غير اجبار على العصيان
قدراً قضاء مقدراً بخلاف ما	اولته بالحدس والخيالان

وكذاكم يوم الحساب بعدله
لا يظلمون ولا يجار عليهم
يجزيهم بالقسط في الميزان
وكفى لهم بالله ذا حسابان

قوله سبحانه:

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة» (٣٣/٣٦)
دلالة على أنه لو كان الله تعالى قضى المعاصي لم يكن لاحد الخيرة ، ولوجب
عليه الوفاء به ومن خالف ذلك كان عاصياً وذلك خلاف الاجماع . محمد بن البرقي :
وزعمتم ان القضاء اقامة لا ذنب للمعدى فيما جاء في كذا اليهود مع النصارى فاعلموا
لعمري انما فعلوا او كان قضاء ، وكذلك ابليس اللعين فقياسوا تجدوا القياس مع القياس سواء

فصل

قوله تعالى : «وقدر فيها أوقاتها» (٤١/٩) القدر له خمسة معان : الاحداث (و
قدر فيها) الكتابة والاعلام (قدرنا انها لمن الغابرين) وبيان حال الشئ وما يجي منه
يقال قدر الخياط الثوب ، وقد يستعمل بمعنى التقدير ، وروى عن الصادق عليه السلام ان
التقدير هو العلم . امير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجوه
وطريق مظلم فلا تسلكوه . وسر الله فلا تنكفوه ، وروى ان النبي عليه السلام كان اذا مر
بصدف مائل أسرع المشى ، ابن بابويه ان علياً عليه السلام عدل من عند حايط مائل
الى مكان آخر ف قيل له يا امير المؤمنين تفر من قضاء الله فقال عليه السلام أفر من قضاء الله
الى قدر الله وكتب الحسن البصري الى الحسن بن علي عليهما السلام يا بني هاشم أتمم اللجج
الزاخرة والافلاك الدائرة مثلكم مثل سفينة نوح من تمسك بها نجى وقد اختلفنا في
القضاء والقدر وتجيرنا في الكسب والاستطاعة فاكتب اليها ما عليه مذهب آبائك ، فكتب
عليه السلام (بسم الله الرحمن الرحيم) من لم يؤمن بقضاء الله وقدره فقد كفر ، ومن حمل
على الله ذنبه فقد فجر . ان الله لا بطاع استكراها ولا يعصى بغلبة وهو القادر على ما قدره
عليه فان ايتمروا بالطاعة فلا حاجز بينهم وبينها فهم لها مستطيعون ولما نهوا عنه
مستطيعون فلو جبر الله تعالى عباده على الطاعة لسقط عنهم التكليف ولو جبرهم على المعصية
لسقط عنهم العقاب فله العنة على المطيع وله الحجة على العاصي (سبحانه وتعالى عما
يشركون) وجاء رجل بصرى الى الباقر عليه السلام وهو صبي : وقال قد فتننا فينا القدر

هربنا إليك ، فقال عليه السلام سل ، قال ما تقولون في الخير ، فقال عليه السلام : اكتب علم وقضى وقدر وشاء ، واراد ورضى واحب فقال زدنى فقال عليه السلام هذا خرج الينا قال فالشر ؛ قال علم وقضى وقدر ولم يشأ وام يرد ولم يرض ولم يحب ، فقال زدنى فقال عليه السلام هكذا خرج الينا ، قال فخرج الرجل الى البصرة فنصب له منبر وخطب عليهم بما أفتى ، فرجع أكثر الناس . أبو عبد الله الحسين القطان قال جمع الحجاج أهل العلم و سألهم عن القضاء والقدر ، فقال الشعبي قال على عليه السلام : يا بنى آدم من وسع عليك الطريق لم يأخذ عليك المضيق ، وقال عمرو بن عبيد قال على عليه السلام : اذا كانت الخطيئة على الخاطي حتماً كان القصاص في القضية ظلماً ، وقال واصل بن عطا قال على عليه السلام : ما كان من خير فبأمر الله وما كان من شر فبإمر الله لا بأمره ، وقال بشر قال على عليه السلام : ما تحمد الله عليه فهو منه وما تستغفر الله منه فهو منك ، وقال الحسن قال على عليه السلام : أنظن أن الذي نهاك دهاك انما دهاك أسفلك وأعلاك وربك المرى . من ذلك ، فقال الحجاج لم يجدوا ما أخذوا الا من أبى تراب . وقال عمرو بن عبد العزيز لرجل سأله عن القدر ، ان الله لا يطالب بما قضى وقدر وانما يطالب بما نهى وأمر . المسترشد بالله :

اذا كان القضاء على حتماً و كان الامر يجرى بالقضاء
فكيف الامر في خطاي وسهوى وتدير الامور الى سوائى
ابن ذريك : يا امة سلكت ضلالاً بيناً حتى استوى اقرارها وجودها
قلتم الى ان المعاصى لم تكن الا بتقدير الاله وجودها
لو صح ذا كان الاله بزعمكم منم الشريعة ان تقام حدودها
حاشا وكلا ان يكون الهنا ينهى عن الفحشاء ثم يربدها

فصل

قوله تعالى : « انا كل شئ خلقناه بقدر » (٥٤/٤٩) لا خلاف ان كل شئ خلقه بقدر وانما الخلاف فيما خلقه وانما يعنى ان جميع ما خلقه بقدر معلوم بالاتفاوت وانه خلق الجزاء على الاعمال بمقدار ما يستحقونه لما قبلها (ذوقوا مس سقر) قوله سبحانه :

« فكل شئ عنده بمقدار » (١٣/٩) لم يقل انه قدر ذلك ، وانما يريد بمقدار ما يجب وبينهما بون بعيد ، ولم يقل انه قدر جميعه ، وانما قال (كل شئ عنده) مع ان جميع الاشياء في حكمه وعلمه بمقدار ليس فيه زيادة ولا نقصان عما يجب .

أجمعت الامامية على تفضيل الانبياء على الملائكة ويقولون ان الائمة افضل منها ايضاً واجمعهم حجة لان المعصومين من جملتهم، وتستدل على ذلك ايضاً بقوله (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم) لانه يقتضى تعظيمه عليهم وتقديمه واكرامه ، واذا كان المفضول لا يجوز تعظيمه وتقديمه على الفاضل ، علمنا أنه عليه السلم افضل من الملائكة وكل من قال أن آدم افضل من الملائكة قال ان جميع الانبياء افضل من جميع الملائكة ، والدليل على ان تعبدتهم بالسجود كان للمتعممين والتقديم انما ابليس من السجود وتكبره عنه قوله (انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وقوله (أرايتك هذا الذي كرمت علواً) ثم ان من اراد تعظيم آدم نعته بأسجاد الملائكة له .

قوله سبحانه :

«ما نهىكم الله عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين» (٧/١٩) المعنى ان المنهى عن تناول الشجرة غير كما وان النهى يختص الملائكة . والخالدين دونكما وليس فيه تفضيل الملائكة

قوله سبحانه :

«لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون» (٤/١٧٠) ان هذا القول متوجه الى قوم اعتقدوا ان الملائكة افضل من الانبياء فاجرى الكلام على اعتقادهم كما يقول القائل لغيره لا يستنكف ابى من كذا ولا أبوك وان كان القائل يعتقد أن أباه افضل ثم انه انما أخر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لان جميع الملائكة أكثر ثواباً لا محالة من المسيح منفرداً ، وهذا لا يقتضى ان كل واحد منهم افضل منه والخلاف في ذلك

قوله سبحانه :

«لا أقول لكم عندي خزانة الله ولا اعلم الغيب ولا أقول انى ملك» (٦/٥٠) لا يدل على ان حال الملائكة افضل من حال النبي عليه السلم لان الغرض في الكلام انما هو نفى ما لم يكن عليه لا التفضيل لذلك على ما هو عليه ، الا ترى أنه لما تبرأ عن علم الغيب وكون خزانة الله عنده لا يكون فيه فضل بوضح ذلك آخر الآية (ولا أقول للذين تزدري أعينكم ان يؤمنهم الله خيراً) وهذه منزلة حظيطة وهو على احوال أرفع منها فما المنكر

من ان يكون نفى الملائكة عنه في انه لا يقتضى ان حاله دون حال الملك بمنزلة نفى هذه المنزلة .

قوله سبحانه :

«وقلن حاش لله ما هذا بشراً ان هذا الا ملك كريم» (١٢/٣١) استدلال الجبائي بذلك على تفضيل الملائكة على البشر لانه خرج مخرج التعظيم ولم يشكره الله تعالى ، وهذا ليس بشيء لان الله تعالى حكى عن النساء انهن أعظم من يوسف لعمار ابن من وقاره وسكونه وبعده عن السوء وقلن ليس هذا بشراً بل هو ملك ، يعنون ان الملك لا يأكل ولا يشتهي النساء ولم يقصدن كثرة نوابه على ثواب البشر و كيف يقصدنه وهن لا طريق لهن الى معرفة ذلك على ان هذا من قول المايلات اليه بما لا يجوز فكيف يحتاج بقولهن و انما لم يشكره الله لانه تعالى علم انهن لم يقصدن ما قال الجبائي ولو كن قصدنه لانكر قصدنه لانكر

قوله سبحانه :

«ولقد كرّمنا بنى آدم» الى قوله تفضيلاً (١٧/٧٢) فالمراد بقوله (على كثير ممن خلقنا) اننا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير ولم يرد التبويض كما قال (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) المعنى لا تشتروا بآياتي ثمناً ، فكل ثمن تاخذونه عنها قليل ولم يرد التخصيص والمنع من الثمن القليل خاصه وغير ممتنع ان يكون جميع الملائكة أفضل من جميع بنى آدم وان كان من جملة بنى آدم الانبياء عليهم السلام من تفضيل كل واحد منهم على كل واحد من الملائكة ، وقال الطوسي : المراد بالاية تفضيلهم بالنعم الدنياويه وضروب العالاذ والالطاف و ليس المراد بذلك الثواب بدلالة جواز ابتدائهم بهذا التفضيل والثواب لا يجوز الابتداء به

فصل

قوله تعالى : «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» (٤/١٦٣) اتفقت الامامية على ان الانبياء والائمة عليهم السلام معصومون من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها وخالفهم الامة بأسرها في ذلك ، دليلاً ان جميع ما تنزه

الانبياء عليهم السلام عنه يستند الى دلالة العلم المعجز اما بنفسه او بواسطة والعلم المعجز بمنزلة قوله تعالى اصدقت في انك رسولى فلا بد من ان يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه فيما يؤديه من الوحي لان تصديق الكذاب قبيح كما ان الكذب قبيح فاما الكذب فى غير ما يؤديه وسائر الكبائر فانما دل المعجز على نفيها من حيث كان دالاً على وجوب اتباع الرسول وتصديقه فيما يؤديه لان الغرض فى البعثة والتصديق هو ان يمثل ما يتون به فما قدح فى الامتثال والقبول يجب ان يمنع المعجز منه ، والدليل على ان تجوز الكبائر بقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول والامتثال وينفر عن القبول ان من يجوز عليه الكبائر لان آمن منه الاقدام على الذنوب ولا تكون أنفسنا ساكنة الى قبول قوله واستماع وعظه وسكونها الى من لا يجوز عليه شيئاً من ذلك على حد سكونها من يجوز عليه الاختيار يوضح ذلك ولا تختلف ان يكون ذلك فى حال النبوة او قبلها وسواء كانت كبيرة او صغيرة لان الطريقة فى الامرين واحدة .

قوله سبحانه :

«الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس» (٢٢/٧٤) وقال (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) وقال فى جماعة منهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار تدل على عصمتهم اجمعين لانه لا يختار ولا يصطفى الا من كان مرضياً معصوماً.

قوله سبحانه :

« الخبيثات للخبيثين » الآية (٢٤/٢٦) لا يجوز ان يكون عاماً لاننا نجد الطيبين للطيبات مثل آدم وحواء قوله (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) ونجد الخبيثات للخبيثين مثل أبى لهب وام جميل وقوله (تبت يدأبى لهب ونب) السورة . ونجد الخبيثات للطيبين مثل امرأة نوح وامرأة لوط (كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين) ونجد الطيبات للخبيثين مثل آسية امرأة فرعون قوله (رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله) وكذلك الحكم ان جملتنا على الاولاد فلم نحكم بها الا بدليل نحو قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً) وبعد فان كل منفر لا يجوز على الانبياء والائمة عليهم السلام مثل كفر الوالدين وفسق الأزواج لانهما يتعديان اليهم وما لا يكون منفر أجاز فيهم مثل كفر اولادهم وازواجهم او فسقهم الا ان الفاحشة لا يجوز على أزواجهم فانها لازمة

لهم قوله (ان ابني من أهلي) فقال (انه ليس من أهلك) وقوله (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما) في المتظاهرتين ، ثم انه روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن والضحاك وعمار بن ياسر وأهل البيت عليهم السلام انهم قالوا المراد به الكلمات الطيبات للطيبين من الناس والكلمات الخبيثات للخبيثين من الناس يدل عليه قوله (ومثل كلمة طيبة كشجرة) وقوله (ومثل كلمة خبيثة).

فصل

قوله تعالى: «قل امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل وآدم حق وبهتوب والاسباط» (٣/٧٨) فقوله (الاسباط) لا يدل على أنهم كانوا أنبياء لان الانزال يجوز أن يكون على بعضهم ممن كان نبياً ولم تقع منه الافعال القبيحة والمعصية مثل ما فعلوه مع يوسف وليس في ظاهر القرآن أنهم كانوا أنبياء ، ويحمل قوله (والاسباط) على أن يكون المراد أنهم أمروا باتباعه ، كما يقال انزل الله الى امة النبي عليه السلام القرآن كما قال (وما انزل الينا) وان كان المنزل على النبي عليه السلام لكن لما كانوا مأمورين بما فيه فوصف بانه انزل اليهم.

قوله سبحانه :

«ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» (٣٥/٢٩) الاصطفاء لا يليق الا بمن هو معصوم كالانبياء والائمة عليهم السلام ، فكيف قال بعد ذلك فمنهم ظالم لنفسه ؟ فنقول فمنهم يرجع بالكناية فيه الى العباد لا الى الذين اصطفوا لانه أقرب اليه في الذكر فكانه قال تعالى (ومن عبادنا ظالمه لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات)

قوله سبحانه :

«واقفد فضلنا بعض النبيين على بعض» (١٧/٥٧) وقوله (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين) يعني عالمي زمانهم وتفضيله اياهم بان جعل فيهم النبوة والحكمة.

قوله سبحانه :

«تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» (٢/٢٥٤) انما ذكر تفضيل الرسل

بعضهم على بعض لأمور : منها أن لا يغالط مغالط فيسوى بينهم من الفعل كما استووا في الرسالة ، والثاني أن يبين أن تفضيل محمد عليه السلام كتفضيل من مضى من الأنبياء بعضهم على بعض ، والثالث أن الفضيلة قد تكون بعد أداء الفريضة والعماد بالفضيلة هيمننا ما خص به بعضهم من المنازل العلية مثل موسى بالكلام وعيسى بأحياء الموتى ومحمد (ص) بأرساله إلى كافة الخلق والرابع فضائلهم بأعمالهم التي استحقوا بها الفضيلة على غيرهم .

قوله سبحانه :

« يختص برحمته من يشاء » (٣/٦٧) دالة على أن النبوة ليست مستحقة بالأفعال لأنه لو كان جزاء لما جاز أن يقول يختص بها من يشاء كما لا يجوز يختص بعقابه من يشاء من عباده ، أما اللطف وإن كان مستحقاً وهو يختص به من يشاء من عباده فإنه يكون لطفاً على وجه الاختصاص دون الاشتراك وليس كذلك الثواب .

قوله سبحانه :

« يا معشر الجن والإنس ألم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا » (٦/١٣٠) قال الضحاك : ذلك يدل على أنه تعالى أرسل رسالاً من الجن وبه قال الطبري واختاره الباغي ، وقال ابن عباس : هم رسل الإنس إلى غيرهم من الجن كما قال (ولوا إلى قومهم منذرين) والاول أقوى .

قوله سبحانه :

« وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم » (٢١/٧) قال الحسن : ما أرسل الله تعالى امرأة ولا رسولا من الجن ولا من أهل البادية ، ووجه اللطف في إرسال الرجال من البشر إن الشكل إلى شكله أنس وعنه أفهم والانفة منه أبعد لانه يجري مجرى النفس و الإنسان لا يأنف من نفسه .

قوله سبحانه :

« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه » (٢/٢٠٩) قال ابن عباس والحسن والجبائي : أنهم كانوا على الكفر ، وقال قتادة والضحاك : كانوا على

الحق فاختلفوا وانما أخبر الله تعالى على الغالب من الحال . واذا قيل اذا كانوا مختلفين في الحق على اصابة بعضهم له فكيف يعمهم الكفر ؟ قلنا لا يمتنع أن يكون الكل كفاراً بعضهم يكفر من جهة الغلو وبعضهم من جهة التقصير كما كفرت اليهود والنصارى في المسيح وعلى هذه الآية سوالات كثيرة .

قوله سبحانه :

«وان من امة الا خلا فيها نذير» (٣٥/٢٢) اي من قرون سلفت و ايس معنى به غير الناس لان التكليف مقصور عن الجن والانس لقوله (سنفرغ لكم ايها الثقلان) ولم يخاطب غيرهما واول الآية تدل على أنه خاص قوله (ولامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم) المعنى فيه وان من امة من البشر المكلفين بالاخلاق فيها نذير ولان شرايط التكليف لا تصح حصولها للبهايم والطيور ولذلك شبه الجاهل بالانعام ولو كانت الانعام مكلفة لكان فيها المؤمن والكافر.

فصل

قوله تعالى : «كتب الله لاغلبين أنا ورسلي» (٥٨/٢١) قيل كتب الله في الروح المحفوظ أنا ورسلي أجرا مجرى القسم فاجابه بجوابه ، الحسن : ما أمر الله نبياً قط بحرب الاغلب ، اما في الحال او في الاستقبال ويقال لاغلبين أنا ورسلي بالحجج والبراهين ، و قيل في يوم القيامة .

قوله سبحانه :

«انا لننصر رسلنا و الذين آمنوا في الحياة الدنيا و يوم يقوم الاشهاد» (٤٠/٥٤) وقد خذلهم حتى قتلوا فنقول النصر الغلبة على العدو وهو على ضرين نصر بالحجة ونصر بالغلبة في المحاربة بحسب المصلحة وما تقتضيه الحكمة هذا اذا كان في دار التكليف وأما نصره اياهم يوم القيامة فهو علو كلمتهم وظهور حقهم "بجزيل الثواب وادلال عدوهم بمظالم العقاب .

قوله سبحانه :

«ثم بقي عليه لينصره الله» (٢٢/٥٩) معناه اما بالغلبة و اما بأخذ الحق له ،

فالنصرة من الله المبعى عليه واقعة لامحالة والخذلان لا يكون الا للظالمين لان الله لا يخذل
أهل طاعته.

قوله سبحانه :

«ان ينصركم الله فلا غالب لكم» (٣/١٥٤) ان الله تعالى قد ينصر رسله باقامة
الادلة ونصب البراهين والامر بطاعتهم والنهي عن مخالفتهم ، ولا يجوز أن ينصرهم بما
أدى الى الجاء وينافى الاختيار فان معها يزول التكليف والامر والنهي والثواب والعقاب

قوله سبحانه :

«لقد نصركم الله في مواطن كثيرة» (٩/٢٥) اخبار بأنه نصرهم دفعات كثيرة
ولا يدل على أنه لم ينصرهم في موضع آخر ، وقال البلخي : انهم لما انهمز موالهم يكونوا
منصورين وكان ذلك منهم خطأ وان وقع مكفراً.

قوله سبحانه :

«وانهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون» (٣٧/١٧٢) نزل العذاب
على الامم في أيام نوح وهود وموسى وعيسى عليهم السلام و نال نبينا (ع) ما نال ولم ينزل
عليهم لانه خص امته بأمان الى يوم القيامة قوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون)

قوله سبحانه :

«قل اوحى الى» (٢٢/١) سمى وحياً لان الملك سترة عن جميع الخلق ، وخص
به النبي المبعوث قوله (يوحى بعضهم الى بعض) هذا هو الاصل ، ثم يستعمل بمعنى
الالهام قوله (واوحى ربك الى النحل) وبمعنى الامر قوله (واذا وحيت الى الحواريين)
وبمعنى الاشارة قوله (فارحى اليهم أن سبحوه بكرة وعشيا) وبمعنى الكتابة قال الشاعر :

كوحى صحائف في عهد كسرى فاهداها لاعمى طمطمى

وأما قوله (واذا وحيت الى الحواريين) اى المهمتهم وقيل أمرتهم وقيل ألقيت اليهم
الايات التى اريتهم وقال أبو على : اى اوحيت اليك أن تبلغهم اوالى رسول متقدم ، والقران
كله وحى ويوحى ، وحى غير قران مثل قوله عليه السلام أمرنى ربى بمداواة الناس كما أمرنى

بأداء الفرائض ، ومثل قول جبريل حين فرغ من غزاة الغندق يا محمد (ص) ان الله يامرك
أن لاتصلى العصر الا فى بنى قريظة .

قوله سبحانه :

«وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً» (٤٢/٥٠) هو داود او حى فى صدره فزبر
الزبور (او من وراء حجاب) هو موسى (او يرسل رسولا) هو جبريل ارسل
الى محمد (ص)

قوله سبحانه :

«يا ابليس مالك الاتكون مع الساجدين» (١٥/٣٢) اختلفوا فى كيفية هذا
الخطاب ، فقال الجبائى قال الله تعالى له ذلك على لسان بعض رسله وهو الايق لانه
لا يصح أن يكلمه الله بلا واسطة فى زمان التكليف ، وقال اخرون كلمه بالانكار عليه و
الاهانة له كما قال (اخشوا فيها ولا تكلمون) وهذا ينبغى أن يكون حكاية عما يقول له فى
الآخرة ، فقال ابليس مجيباً لهذا الكلام (ما كنت بالذى أسجد لبشر خلقتة من صلصال
من حماء مسنون)

قوله سبحانه :

«سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم» (١٨/٢١) قالوا ان كلب أصحاب الكهف
خاطبهم بالتوحيد والاعتراف بما اعترفوا به ولذلك تبعهم وهذا خرق عادة يجوز أن يكون
الله تعالى فعله لطفاً لهم او معجزة لبعضهم على ما حكى ان بعضهم كان نبياً و هو رئيسهم
فيكون ذلك معجزة له غير أنه غير مقطوع به .

قوله سبحانه :

«حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا» (١٢/١١٠) معنى ذلك
بالتخفيف ان الرسل ظنت ان القوم كذبوهم ويكون الظن غير العلم ، وبالتشديد اى
ظنت الرسل ان القوم قد كذبوا اى كفروا والظن ههنا العلم

قوله سبحانه :

«يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتهم» (٥/١٠٨) تقرير للرسل فى صورة

الاستفهام على وجه التوبيخ للمناقبين عند اظهار فضيحتهم وهتك أستارهم على رؤس الاشهاد
وقال الحسن والسدى في قوائمه لاعلم لنا قالوا ذلك لذهواهم من هول ذلك المقام، فان
قيل انهم آمنون لقول (لا يحزنهم الفزع الاكبر) وقوله (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
فقالوا الفزع الاكبر دخول جهنم، وقوله لاخرف عليهم كقولك للمريض لاخوف عليك
ولا بأس عليك ما يدل على النجاة من تلك الحال، وقال ابن عباس ان معناه لاعلم لنا الاما
علمتنا فحذف الاما علمتنا لدلالة الكلام عليه وقال الجبائي معناه لاعلم لنا مع علمك اى ليس
عندنا شيء، مما نعلمه الا وأنت عالم بكل ما غاب و حضر بدلالة قوله (انك أنت
علام الغيوب)

قوله سبحانه :

«ولا أعلم الغيب» (٦/٥٠) وقوله (الذين يؤمنون بالغيب) النبى والامام يجب
أن يعلموا علوم الدين والشريعة ولا يجب أن يعلموا الغيب وما كان وما يكون لان ذلك يؤدى
الى أنهم ما شاركوا المقدم تعالى فى جميع معلوماته ومعلوماته لا تنهاى وانما يجب أن يكونوا
عالمين لانفسهم وقد ثبت انهما عالمان بعلم محدث، والعلم لا يتعلق على التفضيل الا
بمعلوم واحد ولو علما لا يتناهى لوجب أن يعلما وجود ما لا يتناهى من المعلومات وذلك
محال. ويجوز أن يعلما الغايبات والكاينات الماضيات او المستقبلات بأعلام الله تعالى
لهما شيئاً منها، وما روى ان أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم انه مقتول وان قاتله ابن
ماجم فلا يجوز أن يكون عالماً بالوقت الذى يقتله فيه على التعبير لانه لو علم ذلك لوجب
عليه أن يدفعه عن نفسه ولا يلقى بيده الى التهلكة وان هذا فى علم الجملة غير واجب.

فصل

قوله تعالى: فى قصة آدم «ولا تقر باهذه الشجرة» (٢/٣٣) (ألم أنهما عن تلكما
الشجرة) الامر والنهى لاصيغة لهما وقد يؤمر بلفظ النهى وينهى بلفظ الامر، يقال أمرته
بان لا يلقى الامر، معناه انه نهى عن لقاءه، ويقال نهيتك عن هجر أخيك معناه أمرتك
بمواصلته قال الله تعالى (اعملوا ما شئتم) اى لا تفعلوا فيكون قوله (لا تقر باهذه الشجرة)
أرادة لذلك التناول فيكون أمراً لان الامر والنهى لا يصيران أمراً ونهياً الا بالارادة

والكرهية ، ثم ان الامر والنهي يشتركان في الوجوب و الندب ، و قد ثبت أن الانبياء لا يخلون بالواجبات فلم يبق الا الندب وهو ما الاولى تركه ، ولانقول انه نهى عن جنسها لانه يدل على انه فعل القبيح ، وانه أخطأ في الاستدلال .

قوله - سبحانه :

«فما كلامها» (٢٠/١١٩) ثقة يمينه بالله تعالى قوله (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) ولم يظن انه يجسر أحدان يحلف بالله كاذباً .

قوله سبحانه :

«فلما ذاقا الشجرة» (٧/٢١) قال الرماني له يقصد آدم وحواء بالتناول من الشجرة القبول من ابليس والطاعة له ، بل انما قصدا عند دعائه شهوة نفوسهما ولو قصدا القبول لكان ذلك قبيحاً لامحالة ، قال الحسن : لو قصدا ذلك لكانا كافرين .
قوله سبحانه :

«فوسوس لهما الشيطان» (٧/١٩) وكان آدم وحواء في الجنة والابليس في الارض ، الوجه في ذلك انه وصلت وسوسته بالقوة التي خلقها الله له ، وقال ابو علي : انهما كانا يخرجان الى السماء فيلقاهما هناك ، وقال ابن الاخشيد : انه خاطبهما من باب الجنة وهما فيها ،
قوله سبحانه :

«وعصى آدم ربه» (٢٠/١١٩) المعصية مخالفة الامر والامر من الله تعالى يقع بين الواجب والمندوب : يقال أمرت فلاناً بكذا وكذا من الخير فمعصاني سواء كان ما أمر به واجباً او مندوباً وترك النفل غير قبيح .

قوله سبحانه :

«دفعوى» (٢٠/١١٩) أى خاب من حصول عظيم الثواب لاكل الشجرة . شاعر :
ومن يقول لا يعدم على الغى لا يما

قوله سبحانه :

«أهبطوا منها» (٢/٣٦) على سبيل المصلحة لا الاهانة ، والمهبط هو النزول من

فوق الى أسفل ، والحلول من المكان والنزول به قوله (اهبطوا مصر أفان لكم ما سألتهم
ويقال هبطنا بلد كذا، قال زهير :

ما زالت أرمقهم حتى اذا هبطت أيدى المطى بهم من راكس فلما

قوله سبحانه :

« اهبطوا بعضكم لبعض عدو » (٢/٢٤) عداوة ابليس لآدم وذريته مشهورة ،
وأما عداوة آدم والمؤمنين من ذريته لابليس فهي واجبة ، لما يجب على المؤمنين من
معاداة الكفار المارقين عن طاعة الله ، وأما إذا حمل الخطاب على آدم وحواء وغيرهما
يحمل قوله (لبعض عدو) على أن المراد به الذرية ، كانه قال اهبطوا وقد علمت من أحوال
ذريتهم أن بعضهم يعادى بعضاً وعلى الخطاب بهم على الاختصاص بين الذرية وبين أصلهم .

قوله سبحانه :

« فقلنا يا آدم ان هذا عدوك وازوجك فلا يخرجنكما من الجنة »
(٢٠/١١٥) قيل أى بأن يغويكما لتخالفا ما أمر الله تعالى به وبوصيائه ، فتقتضى المصلحة
حينئذ إخراجكما ، نسب الإخراج الى ابليس إذ كان بدعائه واثوائه ومعنى فتشقى تعب
بأن تاكل من كديبك .

قوله سبحانه :

« فأخرجهم مما كانوا فيه » (٢/٢٤) فبدت لهما سواتهما ، هاورى عنهما من سواتهما)
(٧/١٩) نفس الإخراج و تقلب اللباس لا يكون عقاباً لأن العقوبة هي الضرر والالام
الواقعان على سبيل الاستخفاف والاهانة ، ومن تعبد الله تعالى فيه بنهاية التعظيم لا يكون
منا ومنه تعالى الاستخفاف والاهانة ، و أى نفس تسكن الى ان والديها مستخف مهان .

قوله سبحانه :

« كما أخرج أبويكم من الجنة » (٧/٢٦) يعنى أغوى أبويكم آدم وحواء ، نسب
الإخراج اليه لما كان باغوائه ، وجرى ذلك مجرى ذم الله فرعون بأنه يذبح أبناءهم ، والذم
فيها راجع الى فعل المذموم ، وأكد بذكر هذه الصفة لبيان منزلة فعله فى عظم الفاحشة

قوله سبحانه :

«ربنا ظلمنا» (٧/٢٢) أى بخسنا حقنا ما كنا نستحقه من الثواب بفعل ما اراد منا و هو معنى قوله (فتكونا من الظالمين) فالمعنى الرجوع الى الله ، والاعتراف بالنقص عن حقوقه ، او بمعنى انه حرم الثواب المستحق بفعل الذنب .

قوله سبحانه :

«فتاب عليه» (٢/٣٥) أى قبل توبته وضمن الثواب لان التوبة غير موجبة لاسقاط العقاب و انما يسقط الله تعالى العقاب عنها تفضلاً ، والتوبة هى الرجوع فيجوز ان تقع ممن لا يبعد من نفسه قبيحاً ووجه حسنهما في هذا الموضع استحقاق الثواب بها او كونها لطفاً

قوله سبحانه :

«وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين» (٢/٢٩) وقوله (أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم) الاشارة بهذه الاسماء الى جميع الاجناس من العقلاء وغيرهم وعليه اجماع المفسرين ويشهد به قوله (وعلم آدم الاسماء كلها) وقوله (ثم عرضهم) لا يليق الا بالمسميات لاجل الكناية ، و قال قوم أراد اسماء الملائكة خاصة ، وقال اخرون أراد اسماء ذريته ، وقال ابن الاخشيد يجب أن يكون عالماً بسائر الاسماء حتى القصعة والقصيعة وقال ابن عباس ، لقد تكلم آدم بسبع مائة لغة يعنى بذلك حتى منطق الطير والحيتان والدواب ، وقال في هذه الايات سموات كثيرة الا ان النكتة فيها أن أصل اللغات الموضوعة ثم التوقيف

فصل

قوله تعالى : «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» (٢/٣٥) ان آدم عليه السلام رأى

مكتوباً على العرش فسأل عنه ف قيل له هذه أسماء على وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم فسأل بهم ربه وجعلهم الوسيلة في قبول توبته ورفع درجاته ، والكتابة تسمى كلمات على ضرب من التوسع واذا كنا قد ذكرنا أن آدم رأى كتابة يتضمن أنها قوم فجاءه ان يقال انها كلمات تلقاها ورغب الى الله بها ويجوز ايضاً أن يكون آدم لما رأى

تلك الكتابة سأل عنها فقال الله له هذه أسماء من أكرمته وعظمته ورفعت منزلته ومن
لأسأل بها إلا أعطيت وكانت هي الكلمات التي تلقاها وانتفع بها .
قوله سبحانه :

« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » (٧/١٠) الأمر
إنما كان لقوم ليسوا من نسل آدم بل للجن وغيرهم وقوله (خلقناكم) لم يرد به الإيجاد
والأحداث وإن كان الخطاب به لبني آدم ، وإنما أراد تعالى التقدير وعلى هذا حملوا
قوله (والله خلقكم وما تعملون) يعني أنه قدرها وعلم كيفيتها وأحوالها وقد يسبق الخلق
الإيجاد والأحداث .

قوله سبحانه :

« واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » (٢/٢٨) والخليفة
من قام مقام الأول في أمره من بعده ، ولا يريد بمعنى الإبقاء بعد من مضى قوله (ثم جعلنا
كم خلائف من بعدهم لننظر كيف تعملون) لأن هذا منفي عنه ، سمي آدم خليفة لأنه
جعل آدم وذريته خلفاء الملائكة لأن الملائكة كانوا من سكان الأرض ، وقال ابن عباس : أنه كان
في الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم وقال الحسن :
أراد بذلك قومًا يخلف بعضهم بعضًا من ولده الذين يخلفونه في إقامة الحق وعمارة الأرض وقال
ابن مسعود : أي من يخلفني في الحكم بين الخلق وهو آدم ومن قام مقامه ، وقيل أنه
يخلفني في انبات الزرع وشق الأنهار .

قوله سبحانه :

« ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » (٢٠/١١٤) قال ابن
عباس ومجاهد : معناه عهد الله بأن أمره به وصام ونسى أي ترك ، وقيل إنما أخذ
الإنسان من أنه عهد إليه فنسى .

قوله سبحانه :

« ولم نجد له عزما » (٢٠/١١٤) أي عقداً ثابتاً على المعصية ، وقال قتادة صبراً ،
وقال عطية أي لم نجد له حفظاً .

قوله سبحانه :

« فلما اتيهما صالحا جعل لهما شركاء فيما اتيهما » (٧/١٩٠) غير راجعة إلى آدم

وحوا بل الى الذكور والاناث من اولادهما ، او الى جنسين ممن اشترك من نسلهما وان كانت الكناية الاولى تتعلق بهما ، و يكون تقدير الكلام فلما اتيهما الولد الصالح الذى تمنياه جعل شرك اولادهما الى غير الله ، يؤيد ذلك قوله (فتعالى الله عما يشركون) ويدل ايضاً على ذلك ما تقدم من قوله (هو الذى خلقكم) ثم ان الكناية فى جميعها متعلقة بآدم و حواء و يجعل الها فى تغشيتها والكناية (فى الله ربهما ، و اتاهما صالحاً) راجعتين الى من اشرك ولم يتعلق بآدم من الخطاب الا قوله (خلقكم من نفس واحدة) ثم خص منها بعضهم كقوله (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) والهاء فى قوله (جعلنا له شركاء) راجعة الى الولد لالى الله تعالى ويكون المعنى انهما طالبا من الله أمثالا للولد الصالح فأشركا بين الطلب اثنين ، كقولك طلبت منى درهماً فلما أعطيتته شركته باخر اى طلبت اخر مضافاً اليه ، وتكون الكنايات راجعة الى آدم ، وقيل (فلما اتاهما صالحاً) مضافاً الى الوجه المقدم الذى هو أراد بالصالح الاستواء فى الخلقة والاعتدال فى الاعضاء .

قوله - بجانه :

«لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباطل يدى اليك لاقتلك» (٥/٣١) ان هاييل لم يرد من أخيه قبيحاً ولا أراد ان يقتله و انما أراد (انى اريد أن تبوء) بجزاء ما أقدمت عليه من القبيح وعقابه ، و قوله (بانمى) اى عقوبة انمى الذى هو قتلى كقول القائل للمجرم هذا ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبت يداك ، و قولهم لقاك الله عملك وستلقى عملك يوم القيامة المعنى جزاء عملك (بانمى) عقاب قتلك لى (واثمك) اى عقاب المعصية التى أقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك لسببها ، اى اريد زوال ان تبوء بانمى واثمك لانه لم يرد له الا الرشد والخير فحذف الزوال وأقام ان و ما اتصل به مقامه (واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) أراد حب العجل فحذف الحب و اقام العجل مقامه كقوله : وسئل القرية (انى اريد أن تبوء بانمى واثمك) اى اريد أن لا تقتلنى ولا تبوء بانمى فحذف لا واكتفى بما فى الكلام كما قال (يبين الله لكم أن تضلوا) معناه لان لاتضلوا وكقوله (والقى فى الارض رواسى أن تميد بكم) معناه لان لاتميد بكم . خنساء :

فأقسمت اسى على هالك

و أسأل نايحة عاليا .

أرادت لاسى

فصل

قوله تعالى : « و رفعناه مكاناً علياً » (١٩/٥٨) استدلل بعضهم في رفع ادريس عليه السلام بهذه الآية ، وفي عيسى عليه السلام بقوله (وما قلوه يقيناً بل رفعه الله اليه) والله أعلم بذلك الا أنه لا يقال رفعت فلاناً السطح ، او رفعته مكاناً عالياً ، وانما يقال رفعت الى السطح والى مكان عال ولا رفعت الشيء الى العلو ليس بمدح ولا شرف ولو كان كذلك لكان من عاجلاً أرفع حالا ممن هو في الحضيض وانما المراد به الموت ، لقولهم في وفاة الرجل دعاه الله فأجابه قضى نحبه (رفع الله اليه) يدل على ذلك قوله (انى متوفيك ورافعك الى) وقد جمع بين اللفظتين كقوله (بالمؤمنين رؤف رحيم) قال المرتضى : معناه أنه توفاه في ارض ثم رفعه الى السماء وقالوا أنه من المقدم والمؤخر والمعنى رافعك الى السماء ثم اتوفيك بعد ذلك يعنى عيسى عليه السلام وكان الجبالي يستدل بقوله حكاية عن عيسى عليه السلام (و كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) ان فيها دلالة على انه تعالى أمات عيسى وتوفاه اليه عند ما رفعه الآية لأنه بين انه كان شهيداً عليهم ما دام فيهم فلما توفاه الله كان الله هو الرقيب الشهيد عليهم ، واجابه الطوسي : ان الذى ذكره لا يدل على انه أماته لان التوفى هو القبض اليه ولا يستفاد منه الموت الا بشاهد الحال ولذلك قال (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) فنفس التوفى لا يفيد الموت به حال والصحيح في موته ما تقدم ذكره .

قوله سبحانه :

في قصة نوح عليه السلام « ان ابني من أهلى وان وعدك الحق » (١١/٤٧) الجعم بينه وبين قوله (انه ليس من أهلك) لم يتناول نفى النسب وانما نفى أن يكون من أهله الذين كان وعده بنجاتهم كقوله (احمل فيها من كل زوجين اثنين) الآية ، يوضحه قوله (وان وعدك الحق) وقول اخر (ليس من أهلك) اى على دينك. كما قال النبى عليه السلام : سلمان منا أهل البيت، يدل على ذلك قوله على سبيل التعليل (انه عمل غير صالح) ويقال انه قال على الظاهر (انه ابني) وانما كان ولد على فراشه، والله تعالى اطلع نبيه على خيانة امرأته ذكر الحسن ومجاهد وابن جريح وهذا سقيم .

قوله سبحانه :

« فلا تسألنى ما ليس لك به علم انى أعطاك أن تكون من الجاهلين »

(١١/٤٨) ثم قال نوح (رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والانفعر لى و ترحمنى اكن من الخاسرين) وليس بممتنع أن يكون نهى عن سؤال ما ليس لى به علم ويتعود منه وان لم يقع منه كما قال (لئن أشركت ليحبطن عملك) ولا شك فى أن وعظه هو الصارف عن الجهل .

قوله سبحانه:

« ولا ينفعكم نصيحى ان أردت أن أنصح لكم » (١١/٣٦) مع وقوع هذا النصيح استظهاراً فى الهجة لأنهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقالوا لو كان نصيحاً مانفع من لا يقبله ، وكان اصح اوح لقومه اعلامهم موضح الفى ليتقوه وموضع الرشيد ليشعوه ، وقال البلخى : ان قوم نوح كانوا جبرية ولولا ذلك لغيره فقال نوح على وجه الانكار عليهم والتعجب من قولهم (ان نصيحى لا ينفعكم) ان كان القول كما تعتقدونه ان المعاصى يريد ها الله تعالى .

قوله سبحانه :

« ان تسخر وامنّا فلاننا نسير منكم كما تسخرون » (١١/٤٠) اى نذمكم على سخريتكم ، أطلق عليهم اسم السخرية على وجه الازدواج كما قال (سخر الله منهم)

قوله سبحانه:

« قال رب انى دعوت قومى لبلا ونهاراً فلم يزد هم دعائى الا فراراً » (٧١/٥) اى لم يزد ادواب دعائى الا فراراً من قبوله وبعد استماعه ، وانما سمى كفرهم عند دعائه زيادة فى الكفر لانهم على كفرهم بالله وضلال عن حقه فلما دعاهم نوح الى الحق فلم يقبلوه كان زيادة فى الكفر ، وقيل انما جاز أن يكون الدعاء الى الحق يزيد الناس فراراً منه الجهل الغالب على النفس ، فتارة تدعوه الى الفرار مما ينافره وتارة يدعوا الى الفساد الذى يشاكله .

قوله سبحانه :

« رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً » الى قوله كفاراً (٧١/٢٧) ولم يكن نوح يعلم الغيب ، قال قتادة : مادعا عليهم الا بعد أن أنزل الله عليهم انه لن يؤمن

من قومك الامن قد آمن فلذلك قال (رب انك ان تذرهم) يعنى ان تركتهم ولا تهللكهم
يضلوا عبادك عن الدين بالاغواء الى خلافه (ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً) انما قال ذلك
بعد ان جاز تسميتهم بالكفر والفجور اوجه الحكاية والاخبار مما يكون منهم على
ما اوحى اليه .

قوله سبحانه:

«ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون» (١١/٢٩) نهاء أن يخاطبه
ويسأله في أمرهم لانه حكم باهلاكمهم وأخبر أنه سيغرقهم ولا يكون الامر على ما أخبر به
ولا يجوز أن يدعو بما يعلم أنه لا يكون ولأن يرضى باختياره .

قوله سبحانه:

«ونادى نوح ابنه وكان في هزل يا بنى اركب معنا» (١١/٤٤) قال الطوسي
انما دعاه الى الركوب مع أن الله تعالى نهاء أن يركب فيها كافر بشرط أن يؤمن ، وقال الجبائي
والحسن : انه كان ينافق باظهار الايمان

فصل

قوله تعالى : في قصة ابراهيم عليه السلام دفعا جن عليه الليل رأى كوكباً «
(٦/٧٦) اى الزهرة (قال هذاري) على وجه الاستخبار وكذلك في الشمس والقمر لانه
وجد قومه يعبدونها ، فلما رأى أفولها قطع على حدوثها فقال (انى برى مما تشركون)
من بطلان دينهم وانما قال (هذاري) فاضاً ومقدراً على سبيل الكفر لا مخبراً ، وانه
أخبر عن ظنه كما يظن المتأمل في حال نظره ذكره الاصل له ثم يرجع عنه بالدلة و
لا يكون ذلك منه قبيحاً ، وانما قال على سبيل الانكار على قومه والتنبية لهم فقوله
(هذاري) اى هو كذلك عندكم كما تقول المشبهة هذاربه جسم يتحرك ويسكن (هذاري)
قال ذلك مستفهما وأسقط حرف الاستفهام .

قال الاخطال : كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خبالا
قال ابن عباس : فلا اقتحم العقبة هو أفلا اقتحم العقبة .

قوله سبحانه:

«أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا اِبْرَاهِيمَ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا (٢١/٦٣) هذا الخبر مشروط غير مطلق لقوله (ان كانوا ينطقون) والنطق مستحيل على الاصنام فما علق بهذا المستحيل من الفعل ايضاً فهو مستحيل فسلوهم انما هو أمر بسؤالهم على شرط والنطق منهم شرط في الامرين ، فكانه قال ان كانوا ينطقون فاستلوهم فانه لا يمنع أن يكون فعله كبيرهم ، كقول القائل لغيره من فعل هذا الفعل فيقول زيد ان كان فعل كذا وكذا ايضيفه الى زيد من غير حقيقة ، و يكون غرض المسئول نفى الامرين عن زيد و تنبيه السائل على خطيئته في اضافة ما اضافته الى زيد وقرأ بعضهم فعله اي فعله ، شاعر ، يا أبقا علك او عساكا .

قوله سبحانه :

«فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ اِنِّى سَقِيمٌ» (٣٧/٨٦) يحتمل انه شخص ببصره الى السماء او الى الارض ، لان النجوم تكون الكواكب والنبات كالمفكر المتأمل ، وقيل اى نظر وفكر ، ثم انه قال (فى النجوم) ولم يقل فى علم النجوم ، وقيل أراد ما نجم من رأيه ، وقيل أراد الشمس والقمر لما ظان انهما آلهة فى حال مهلة النظر ثم لسا علم حدوده بالدلالة قال (انى سقيم) اى لست على يقين من الامر وهذا كلام ضعيف ، وقوله (سقيم) يحتمل انه كانت به علة تأنيه فى اوقات مخصوصة فلما دعوه الى الخروج معهم نظر الى النجوم فقال (انى سقيم) اى مشارف كما يقال هو ميت اى مشارف قال الله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) ويجوز أن يكون الله تعالى اوحى اليه انه سيمتحنه بالمرض فى وقت مستقبل وجعل له العلامة بالنجوم ، قال (انى سقيم) تصديقاً للوحى ، ويقال ان من كان آخره الموت فهو سقيم ، ويقال انى سقيم القلب والرأى من كفر القوم .

قوله سبحانه :

«بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا» (٢٧/٨) من بمعنى ما ، كانه قال ما فى النار اى بوركت النار مثل قوله (فمنهم من يمشى على بطنه) وقوله (وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين) اى البهائم ، ومعنى اخر انه عنى الدنو يقال ورد نابلد كذا ولم

ندخلها وقد صار في النار اى قرب

قوله سبحانه :

« فلما لبث أن جاء به جل حنيد فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم » (١١/٧٢)
العقل لم يكن مانعاً من أكل الملائكة الطعام وانما علم ذلك بالاجماع والا كان يجوز أن
يكون قدم اليهم الطعام ومع علمه بأنهم الملائكة ويجوز أن يأكلوه

قوله سبحانه :

« دينا قيماً ملة ابراهيم حنيفاً » (٦/١٦٢) وصف دين النبي عليه السلام بأنه ملة
ابراهيم ترغيباً فيه للعرب لجلالة ابراهيم في نفوسهم .

قوله سبحانه :

« أتعبدون ما أنتحتون والله خلقكم وما تعملون » (٣٧/٩٣) غير قومه بعبادة
الاصنام وانما أراد المنحوت دون عملهم لانهم انما كانوا يعبدون الاصنام ولم يكونوا يعبدون
النحت الذي هو فعلهم ، وقد شرحناه في باب العدل .

قوله سبحانه :

« ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه أن اتاه الله العاك » (٢/٢٦٠)
ليس انتقال ابراهيم من حجة الى حجة لعجزه ، وانما عدل عن ذلك لكيلا يلبس على
الحاضرين ولم تقو الشبهة ، ويقال انه دعا رجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فقال عند
ذلك أنا حيى واميت وموه بذلك على من يحضرته فعدل ابراهيم عن ذلك الى ما هو أبعد
من الشبهة .

فصل

قوله تعالى : « رب أرني كيف تحيي الموتى » (٢/٢٦٢) انما سأل ذلك ليعلم

على وجه يبعد من الشبهة وان كان قد علم ذلك بالدليل يوضحه قوله (أولم تؤمن قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي) وانما سأل ذلك لقومه لنزول شبههم كما سأل موسى الرؤية
لقومه ، وقال الرضا عليه السلام : ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم اني متخذ من عبادي

خليلاً ان سألني احياء الموتى أجبتة فوق في نفس ابراهيم انه ذلك الخليل فقال (رب أرني كيف يحيى الموتى) وقال له نمرود أنت تزعم ان ربك يحيى الموتى وانه أرسلك لندعوني الى عبادته فأسأله أن يحيى لنا ميتاً ان كان على ذلك قادراً فان لم يفعل قتلتك فقال ابراهيم (رب أرني كيف يحيى الموتى) ما قال اوله تمكن قد آمنت بل قال (اوله تؤمن) ان كان اللفظ لفظ الاستقبال فانه يريد به الماضي كما يقول الواحد من الصاحبه اوله تعاودني على كذا وتعاودني على أن تفعل كذا

قوله سبحانه :

«استغفر لك ربى انه كان بى حفياء» (١٩/٤٨) وقوله (لاستغفرن لك) وجه استثنائه لاييه من جملة ما أمر الله تعالى بالناسى فيه انه لو أطلق الكلام لاوهم الامر بالناسى به فى ظاهر الاستغفار الكفار واستثناء الاستغفار من جملة الكلام لهذا الوجه ولانه لم يكن ما أظهره لابراهيم من الايمان ووعد به معلوما لكل أحد يزول الاشكال فى انه استغفر لكافروا انه استثناء من الناسى من الجملة الثانية التى يعقبها هذا القول بلا فصل وهى قوله (انا برآء منكم) وانه انما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل ولم يكن قد استقر بعد قبح الاستغفار للمشركين وان معنى (سأستغفر لك) اذا تركت عبادة الاوثان وأخلصت العبادة لله تعالى .

قوله سبحانه :

«وما كان استغفار ابراهيم لاييه الا عن موعدة وعدها اياه» (٩/١١٥) معنى الآية ان اياه كان وعده أن يؤمن وأظهر له الايمان على سبيل النفاق حتى ظن به الخير فاستغفر الله تعالى على هذا فلما تبين له انه مقيم على الكفر رجع عن الاستغفار له و تبرأ منه وقد عذره الله تعالى فى هذه الآية وقوله (عن موعدة وعدها اياه) قيل كانت من الابن بالاستغفار ومن الاب بالايمن .

قوله سبحانه :

«قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم» الى قوله لاستغفرن لك (٦٠/٤) وجه استثنائه لاييه من جملة ما أمر الله تعالى بالناسى فيه انه لو أطلق الكلام لاوهم الامر

بالتأسي به في ظاهر الاستغفار المكفر فاستثناء الاستغفار من جملة الكلام لهذا الوجه
قوله سبحانه :

« يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر » الى خمس آيات (١٩/٤٣) هذه
المخاطبة كانت لجده من امه وهو الصحيح عند أصحابنا .

قوله سبحانه :

« واذ قال ابراهيم لايه آزر » (٦/٧٤) (قال الزجاج أجمع النسابة ان اسم أبي ابراهيم
تارخ ، والذي هو في القرآن يدل على أن اسمه آزر ، وقال مجاهد : ان آزر اسم صنم
كانه قال لايه اتخذ آزر الهاً اتخذ أصناماً الهة ، وقيل ان آزر هو سب وعيب بكلامهم
و معناه معوج ، وقيل معناه مخطئ ، وقالوا ان العرب تسمى العم أبا للاحترام قال الله
تعالى حكاية عن يعقوب (ما تعبدون من بعدى قالوا تعبد الهك واله أبائك ابراهيم واسماعيل)
واسماعيل كان عمه ، وقال النبي عليه السلام : العم والد ، وقال ردواعلى أبي يعنى عباساً .

قوله سبحانه :

« رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » (١٤/٤٢) فيها دلالة
على انه سأل المغفرة لها يوم القيامة ، فلو كانا كافرين لما سأل ذلك لانه قال فلما تبين له انه
عدو لله تبرأ منه ، فدل ذلك على أن أباه الذي كان كافراً جده لاه او عمه على الخلاف ، و
قال البلخي : ان امه كانت مؤمنة لانه سأل أن يغفر لابويه .

فصل

قوله تعالى : « و اجنبني و بنى أن نعبد الاصنام » (١٤/٣٨) هذا الدعاء على
الخصوص متناول للمعصومين حتى يكون مستجاباً ، والعدول عن ظاهر المقتضى للعموم
الى الخصوص بالدلالة واجب ، ويجوز انه يريد أفعلى بي وبهم من اللطاف ما يبعدنا من
عبادة الاصنام ويصرف دواعيها ، والوالد يقول لولده اذا حذر من شيء وبين له ضرره
انى جنبتك كذا وكذا .

قوله سبحانه :

« رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي » (١٤/٤٢) ظاهر الكلام يقتضى

الخصوص، وفي ذريته الكثير ممن أقام الصلوة .

قوله سبحانه :

« ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين » (٢/١٢٤) لا يجوز أن يوحى الله تعالى إليه قبل اسلامه بأنه نبي الله ، لان النبوة حال اعظام واجلال ولا يكون ذلك قبل الاسلام ، وتقديره ولقد اصطفيناه حين قال له ربه اسلم . وقال الحسن : انما قال ذلك حين أفلت الشمس فقال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى حينئذ ، وهذا يدل على أنه كان قبل النبوة وانه قال ذلك الهاماً استدعاء به الى الاسلام فأسلم حينئذ لما اوضح له طريق الاستدلال بما رأى من الايات الدالة على توحيده .

قوله سبحانه :

« ولما جاء رسلنا براهيم بالبشرى قالوا اسلاماً فما لبث أن جاء بعجل حنيذ » (١١/٧٢) انما جاء بالطعام لانه كان مضيقاً وقد حسبهم الضيف لانهم كانوا على صورة البشر (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه) أنكر ذلك منهم وخاف وظن ان الامتناع لسوء يريدونه حتى خبروه بأنهم رسل الله أنفذهم الله لاهلاك قوم لوط .

قوله سبحانه :

« قال أنا منكم و جاؤن قالوا لا تو جل انا نبشرك بغلام عليم » (١٥/٥٣) انما وصفه بأنه عليم قبل كونه لدلالة البشارة على انه سيكون بهذه الصفة فقال ابراهيم (أبشر نعمونى على أن مسنى الكبر فبه تبشرون) انما عجب من ذلك لكبره واستغفهم فقال (أبأمر الله تبشروننى) .

قوله سبحانه :

« يجادلنا في قوم لوط » (١١/٧٧) قال الحسن : اى يجادل رسلنا وعلق المجادلة به تعالى من حيث كانت لرسله ، وانما جادلهم مستغفماً منهم هل العذاب نازل على سبيل الاستيصال او على سبيل التخويف وهل هو عام للقوم او خاص وعن طريق نجات لوط وأهله من المؤمنين مما الحق القوم وسمى ذلك جدالاً لما كان فيه من المراجعة ، وقيل جادلنا اى سألنا في قوم لوط وانه يوخر عذابهم رجاء ان يؤمنوا فخببره الله تعالى بأن المصلحة فى

اهلاكهم، وقيل (يجادلنا) اى يكلمنا ويخاطبنا كقوله (قال فما خطبكم ايها المرسلون) وقد ذكر قبل الآية كلاماً ومخاطبة، وقال أبو علي: جادلهم بأى شىء استحقوا عذاب الاستيصال.

قوله سبحانه:

حكاية عن ساره دقالت يا ويلتى أألدوا ناعجوز وهذا بعلى شيخاً ان هذا شىء عجب قالوا أنعجبين من أمر الله (١١/٧٥) ولا يجوز العجب من الله لانه تعالى قادر على سائر اجناس المقدرات مما يصح ان يكون مقدوراً له لا يعجزه شىء، وما عرف سببه لا يتعجب منه انما كان منها التعجب بطبع البشرية اذ ورد عليها عالم بجر به العادة قبل ان تفكرت فى ذلك لانها كانت عارفة بان الله تعالى يقدر على ذلك كماولى موسى مدبراً حين انقلب العصا حية حتى قيل له (أقبل ولا تخف)

قوله سبحانه:

ديانار كوفى برداً وسلاماً على ابراهيم (٢١/٦٩) قيل ان الله تعالى أحدث فيها برداً من شدة الحرارة التى فيها فلم تؤذ، وقيل انه تعالى حال بينها وبين جسمه فلم تصل اليه.

قوله سبحانه:

«وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً» (٢٢/٢٨) قالوا ان أذانه بالحج هو اذ وقف فى المقام فنادى أيها الناس اجيبوا داعى الله، فأجابه من الاصلاب من كتب له الحج فكل من حج فهو ممن أجاب ابراهيم وهذا غير صحيح لانه لم يكن مبعوثاً الى امة محمد صلى الله عليه واله، والصحيح أن المخاطب والمأمور بهذه الآية محمد عليه السلام، وهذا غير متمم أن ينفصل هذا التكليف من الاول وان كان مقارناً له ويتوجه الى غير من توجه التكليف الاول اليه.

فصل

قوله تعالى: حكاية عن ابراهيم واسماعيل «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا امة مسلمة لك» (٢/١٢٢) انما سأل الله تعالى أن يجعلهما مسلمين بمعنى أن يفعل لهما

من اللطاف ما يتمسكان معه بالاسلام في مستقبل عمرهما ، لان الاسلام كان حاصل في وقت دعائهما ، ويجرى ذلك مجرى أحدهما اذا أدب ولده حتى صار أديباً جاز أن يقال جعل ولده أديباً ، وعلى عكس ذلك اذا عرضه للفساد جاز أن يقال جعله ظالماً فاسداً ، ويجوز أن يكون ذلك تعبداً كما قال (رب احكم بالحق) وانما خصا بالدعوة بعد الذرية في قوله (ومن ذريتنا) لان من للتبعيض من حيث ان الله تعالى كان أعلمه ان في ذريتهما من لا ينال العهد لكونه ظالماً ، وهو قول أكثر المفسرين ، وقال السدي انما عني بذلك العرب ، والاول هو الصحيح .

قوله سبحانه:

«وَبِأَعْيُنِنَا» (٢/١٢٢) اي ارجع الينا بالرحمة والمغفرة ، وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة او فعل القبيح عليهم ومن ادعى ذلك فقد أبطل ، وقيل معناه تب على ظلمة ذريتنا والصحيح انهما قالا ذلك انتطاعاً الى الله تعالى وتعبداً ليقتردي بهما فيه ، وعلى مذهبننا اذا قلنا قبل الله توبته اوتاب عليه معناه انه استحق الثواب ، واذا قلنا تاب العبد من كبيرة مع الإقامة على كبيرة أخرى معناه عند من أجاز ذلك انه رفع العقاب بهاعنه وعندنا انه يستحق بها الثواب ايضاً .

قوله سبحانه:

«وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ» (٢/١٢٩) ولم يكن هناك بيت بعد ، قال السدي :معناه أنبأنا بيتاً مطهراً ، وقال عطاء : طهرا مكان البيت الذي يبني فيما بعد .

قوله سبحانه:

«إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ» (٣٧/١٠١) اختلف الناس في الذبيح ، فقال جماعة انه اسحق ، والصحيح انه اسمعيل روى ذلك عن ابن عباس وابن عمر وابن المسيب والحسن و القرطبي والشعمي ، وهو المروي عن الباقر والصادق والرضا عليهم السلام ويؤيد ذلك قوله بعد هذه القصة (وبشرناه باسحق نبياً) فكيف يبشره بذرية اسحق ثم يأمر بذبحه ، ومن قال انه بشر بنبوة اسحق دون مولده فقد ترك الظاهر

لأن الظاهر يقتضي البشارة بإسحق دون نبوته ، ويدل عليه أيضاً قوله (فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب) ولم يذكر اسمعيل فدل على أنه كان هو اوداً قبله ، وقول النبي عليه السلام أنا ابن الذبيحين عنى بذلك عبد الله أباه واسمعيل ، وسأل الأصمعي أبا عمرو بن العلاء عن ذلك فقال يا أصمعي ومتى كان إسحق بمكة وإنما كان بها اسمعيل وهو بناء البيت والمنحصر بمكة يعنى مسجد الكعبش وهو بالمزدلفة ، وقال ابن عباس كان قرنا الكعبش معلقين فيها ولم يزالا فيها الى أن حرق الحجاج البيت .
قوله سبحانه:

« قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَالْآبَاءُ ابْنُكَ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ إِلَهُهُمَا وَاحِدًا »

(٢/١٢٧) قال ابن دريد: إنما قدم اسمعيل على إسحق لانه كان اكبر منه

قوله سبحانه:

« فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ ابْنُ إِسْرَاهِيمَ فَقَدْ صَدَقَتِ الرُّقُبَا » (٣٧/١٠٣)
يقال ان الله تعالى أمر ابراهيم بمقدمات الذبح يقدم مقعد الذابح ويشد يديه ورجليه و يترك المدينة على حلقه وينتظر الامر بأداء الذبح على ما رأى فى منامه وأسباب الموت هو الموت بعينه ، ويقال انه أمره بالذبح وذبح وكل ما فرأ جزءاً من حلقه وصله الله بلا وصل حتى انتهى الى آخره فانصل به وصل الله تعالى فقد فعل ما أمر به ولا بين الرأس ولا انتفت الروح ، وأما من قال أنه أمره بالذبح بشرط التخلية والتمكين وانقلب الشفرة وجعل على حلقه صفيحة نحاس محال لان الله لا يأمر بشرط لانه عالم بالعواقب وانه أمر بما منع منه وهذا عبث ، واما جزع ابراهيم فلانه أشفق أن يؤمر بالذبح نفسه لما أمر بالمقدمات ومن قال انه الفدية دالة على انه كان مأموراً بالذبح لان الفداء يكون من جنس المفدى أخطأ لان من حلق رأسه وهو محرم يلزمه دم ، وكذلك اذ البس ثوباً مخيطاً او شم طيباً او جامع وان لم يكن من جنس المفدى

فصل

قوله تعالى: فى قصة زكريا عليه السلام « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى

الكبر وامراتى عاقراً قال كذلك الله يفعل ما يشاء » (٣/٣٥) مراجعته مع ما بشره الله تعالى بأنه يهب له ذرية طيبة وبعد سؤاله (رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك

سميع الدعاء) قال الحسن: انما كان ذلك ليعرف على أى حال يكون ذلك ايرده الى حال الشباب وامرأته مع الكبير فقال الله تعالى (كذلك يفعل الله ما يشاء) اى على هذه الحال وقيل انه كانه أراد كيف يكون لى غلام منها وهى عاقر أ يكون باصلاحك لها فانه قال (واصلحنا له زوجه) وقيل انه كان على وجه الاستعظام لمقدور الله والتمجيد الذى يحدث للانسان عند ظهور آية عظيمة من آيات الله كما يقول القائل كيف سمحت نفسك باخراج ذلك الملك النفس من يدك تعجباً من جوده واعترافاً بعظمه

قوله سبحانه:

«كل ما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً» الى قوله انى يكون لى غلام (٣/٣٢) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى: كان فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف، فزكريا عليه السلام كان عالماً بانه تعالى يقدر على خلق الولد من العاقر وان لم يجر به العادة فانه كان لا يجوز ان يفعل ذلك لبعض التدبير فاعلم رأى خرق العادة بخلق الفواكه فى غير وقتها قوى ظنه انه يفعل ذلك اذا اقتضت المصلحة وقوى فى نفسه ما كان علمه، كما ان ابراهيم وان كان عالماً بانه تعالى قادر على احياء الاموات سأل ذلك مشاهدة لتأكيد معرفته وتزول عنه خواطره، وقال الجبائى: ان الله تعالى كان اذن له فى المسألة وجعل وقته الذى اذن له الوقت الذى رأى فيه المعجزة الظاهرة فلذلك دعا

قوله سبحانه:

«وانى خفت الموالى من ورائى» (١٩/٥) الخوف لا يكون من الاعيان، وانما يكون من معان فيها فتوالتهم خفت الله اى خفت عقابه، وخفت الموالى خفت تضيقهم مالى وانفاقه فى معصية الله تعالى.

قوله سبحانه:

«فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا» (١٩/٦) قال مخالفونا: اى يرث العلم والنبوة، ونحن نقول ان زكريا صرح بدعائه وطلب من يرثه ويحجب بنى عمه وعصبته من الولد وحقبة الميراث انتقال ملك الموروث

الى وراثته بعد موته بحكم الله ، وحمل ذلك على العلم والنبوة خلاف الظاهر على ان العلم والنبوة لا يورثان لان النبوة تابعة للمصلحة لادخل للنسب فيها، والعلم موقوف على من يتعرض له ويتعلمه على ان ذكر باسأل ولياً من ولده يحجب مواليه من بنى عمه وعصيته من الميراث، وذلك لا يليق الا بالمال لان النبوة والعلم لا يحجب الولد عنهما بحال حتى ان اشتراطه ان يجعله رضيعا لا يليق الا بالنبوة لان النبى لا يكون الارضيا معصوماً فاز معنى لمسأله ذلك وليس كذلك المال لانه يرثه الرضى وغير الرضى

فصل

قوله تعالى : فى قصة لوط عليه السلام «هؤلاء بناتى هن أظهر لكم» (١١/٨٠)

قال الحسن وقتاده : المعنى أحل لكم على التزويج وكان المشركون يتزوجون فى صدر الاسلام المسلمات ، زوج النبى عليه السلام بنته من أبى العاص بن الربيع والآخرى من عتبة بن أبى لهب قبل أن يسلمانم نسخ بقوله (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) و قال الزجاج : ان ذلك عرض بشرط أنت يسلموا كما هو شرط النكاح الصحيح ، و قال مجاهد : كل نبى يرسل الى قوم فهو ابوالذين يرسل اليهم فيكون المعنى فى هؤلاء بناتى بنات امته . يقول تزوجوا نساءكم وهذا كقول النبى عليه السلام أنا وعلى أبوا هذه الامة ، وقال الجبائى : هذا القول كان من لوط لقومه قبل أن يعلم انهم ملائكة بعثوا لاهلاك قومه .

قوله سبحانه :

« ان اقول الا اعتريك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله و اشهدوا انى برىء مما تشركون » (١١/٥٧) قول هود عليه السلام (انى برىء) اخبار عما جابهم به هود بان قال اشهد الله على ادائى اليكم ونصيحتى اياكم وتكذيبكم اياى (واشهدوا انى برىء مما تشركون) وانما أشهدهم على ذلك وأن لم يكونوا أهل الشهادة من حيث كانوا كفارا فساقا اقامة للحجة عليهم لانتقوم الحجة بهم ويجوز أن يكون أراد بذلك واعلموا كما قال شهد الله بمعنى علم الله .

فصل

قوله تعالى: في قصة يعقوب عليه السلام «كل الطعام كان حلالاً بنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه» (٣/٨٧) وذلك أن اليهود أنكروا تحليل النبي عليه السلام لحوم الأبل والبانمافين الله أنها كانت حلالاً إلى أن حرمها يعقوب على نفسه بعد أن برأه من النساء أن يحرم أحب الطعام والشراب إليه وهو لحوم الأبل والبانمافلما برأوا فأنذروه، فإن قيل كيف يجوز للإنسان أن يحرم على نفسه شيئاً وهو لا يعلم ماله فيه من المفسدة، قلنا يجوز ذلك إذا أذن الله له في ذلك وأعلمه وأذن ليعقوب في هذا النذر فلذلك نذره.

قوله سبحانه:

«إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا قصص رؤياك على أخوتك فيكبدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين» (١٢/٤) حقيقة الحسد إرادة الحاسد لزوال نعمة المحسود إليه أو كراهة النعمة التي هو فيها وإرادة أن تصبح تلك النعمة بعينها له، بخلاف الغبطة فإذا لا يكون قوله (يا بني لا قصص رؤياك على أخوتك) دلالة على أنه أراد به الحسد.

قوله سبحانه:

حكاية عن أخوة يوسف إذا قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أينا منا ونحن عصبة» (١٢/٨) المحبة من ميل الطباع لآمن الكسب وذلك من فعل الله تعالى فإذا لا يكون حسداً لتفضيل يوسف على أخوته بالبر والمحبة ويكون للرجل عشرة أولاد فيحب واحداً منهم وعلى هذا قوله (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) بمعنى في المحبة لا في النفقة ويجوز أن يكون يعقوب مفضلاً ليوسف بالبر والتقريب وليس ذلك بقبيح لأنه لا يمنع أن يكون يعقوب لم يعلم أن ذلك يؤدي إلى ما أدى إليه، ويجوز أن يكون رأى من سيرة أخوته وجميل ظاهريهم ما غلبه في ظنه أنهم لا يحسدونه فإن الحسد وإن كان في الطباع فإن كثيراً من الناس يجتنبونه.

قوله سبحانه:

«إن أبا نازلي خلال هيين» (١٢/٨) أي الذهاب عن التسوية بينهم في العطية

وأصل الضلال العدول والغمور في الشئ ولو أرادوا الضلال في الدين لكانوا كفاراً .

قوله سبحانه :

« قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين » (١٢/٩٨) قال أكثر المفسرين إن أخوة يوسف كانوا أنبياء ، وقال قوم له يكونوا كذلك وهو مذهبنا لأنه وقع منهم القبايح من طرحهم يوسف في العجب ويبيعهم إياه بالثمن البهيس وقولهم أكله الذئب و ادخالهم الغم على أبيهم .

قوله سبحانه :

« وأخاف أن يأكله الذئب وإني شافون » (١٢/١٣) ليس يغرب به لأنه لما رأى من بنيهِ من الإيمان والاجتهاد في الحفاظ مع ذلك السلامة وقوى في نفسه أن يرسله معهم اشفاقاً من إيقاع الوحشة بينهم ويكون مزيلاً للتهمة لكثرة حبه إياه .

قوله سبحانه :

« وما أنت به مؤمن لنا ولو كنا صادقين » (١٢/٩٧) لما علموا شدة تهمة أبيه لهم وخوفه على أخيه منهم لما كان يظهر منهم من أمارات الحسد ايقنوه بأنه يكذبهم فيما أخبروا به من أكل الذئب أخاهم فقالوا إنك لاتصدقنا في هذا الخبر لما سبق إلى قلبك من تهمتنا وإن كنا صادقين كما يقول المخادع أنا أعلم أنك لاتصدقني في كذا وإن كنت صادقاً

قوله سبحانه :

« وجاء على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل » (١٢/١٨) وصف الدم بأنه كذب ، والكذب من صفات الأقوال لا من صفات الأجسام ، أما كذب فمعناه أنه مكذوب فيه وعليه مثل قولهم هذا ماء سكب ورجل صوم وامرأة نوح ، ويقال ما فلان معقول وماله في هذا الأمر مجلود ، وأما وصف الصبر بالجميل لأن الصبر صبران جميل إذا قصد به وجه الله وقبيح على غير ذلك الوجه .

قوله سبحانه :

« رأيت عينا من الحزن » (١٢/٨٤) لكون يوسف في غاية الجمال والعلم و

العفاف ، ثم أصيب به اعجب مصيبة ، وقد يرد على الانسان من الحزن ما لا يمكن رده و لهذا لا ينهى عن مجرد الحزن وانما ينهى عن النوح والطمع والجزع ثم ان التجالد على المصائب و كظم الحزن من المندوب وليس بواجب ، قال النبي عليه السلام العين تدمع والقلب يحزن ، ولم يسئل يعقوب من رؤيا ابنه يوسف لان يوسف رآها وهو صبي غير نبي ولا موحى اليه ، فلاقطع على صحتها على ان يعقوب وان كان قاطعاً على بقاء ابنه وان الامر سؤال فيه على ما تضمنه الرؤيا لا يوجب نفى الحزن لان طول المفارقة يقتضيه لسائر الناس .

فصل

قوله تعالى : في قصة يوسف عليه السلام دوشروه بثمن بخس دراهم معدودة ،

(١٢/٢٠) انما كان صبره على العبودية لان الله تعالى لا يمتنع أن يكون أمره بكتمان أمره والصبر على مشقة العبودية امتحاناً لثباته في التكليف كما امتحان ابراهيم بتمرود واسماعيل بالذبح ، ويجوز أن يكون قد خبرهم بأنه حر الا انهم لم يسمعو امنه ، وقالوا انه لم يكن في تلك الحال نبياً ولما خاف على نفسه القتل جاز أن يصبر على الاسترقاق ، وقالوا انه خاف القتل فكتم أمر نبوته وصبر على العبودية وهذا باطل يعلم ان الله تعالى عاصمه للنبي حتى يؤدي والا كان نقضاً للغرض .

قوله سبحانه :

«ولقد همت به وهم بها» (١٢/٢٤) الهم لفظ مشترك ، أما قوله (ذهم قوم ان يبسطوا) اي عزموا وقال شاعر :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلاته

وأما قوله (اذهمت طائفتان) اي خطر ببالهم الفشل عن غير عزم يدل عليه والله وليهما لانه قال (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله) و ارادة المعصية والعزم عليه معصية ، قال كعب بن زهير فكيف فيهم من سيدمتوسم ومن فاعل للخير ان هم او عزم ، فرق بين الهم والعزم لان الهم بالامر حديث النفس بفعله والعزم نهاية القوة في النفس ، وهو مقدمة النية ، وبمعنى المقاربة يقال هم بكذا اي كاد يفعله وليس هذا من همى وهذا هم الاشياء الى من ميل الطباع و قل تعالى (جداراً يريد أن ينقض) فالعزم على القبيح لا يجوز ، ويجوز على الوجوه الاخر ولقد همت به بالفحشاء هم بها بالدفع عن نفسه

وقالوا يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه ولقد همت به واولاً أن رأى برهان ربه لهم بها كقوله (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك) والمهم لم يقع لمكان فضل الله ورحمته يقال قد كنت هلكت لولا انى تداركتك وقتلت لولا انى خلصتك ، المعنى لولا تداركنى لهلكت ولولا تخلصنى اقبلت . قال الجبائى : هم بها اشتبهوا مال طبعه الى مادعنه اليه ، وتستعمل الشهوة هماً فى مجاز اللغة يقال ليس هذا من همى وهذا أهم الاشياء الى ، ولا قبج فى الشهوة فانها من فعل الله تعالى فيه واما يتعلق القبح بتناول المشتبه .

قوله سبحانه :

«ولان رأى برهان ربه» (١٢/٢٤) يجوز انه لما هم بدفعها أراه الله تعالى برهاناً على انه ان أقدم على ما هم به قتلوه او انها تفرقه بانه دعاها الى نفسه و ضربها لامتناعها منه كما قال تعالى (وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً اذا لنها فى ضلال مبين) وقال (وراودته النى هو فى بيتها عن نفسه) وقال (الان حصص الحق أناراودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين) وقال (فذلك الذى لعتنى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) وقال (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وقال (ذاك انى لم أخنه بالغيب) وقال (وقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) وقال (انه من كيد كن ان كيد كن عظيم يرسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين) أما البرهان بانه لطف ، لطف الله له به فى تلك الحال ارقبلها اختار عنده الامتناع عن المعاصى وتكون الرؤبة هيئنا بمعنى العلم ، وقالوا البرهان دلالة الله تعالى ليوسف على تحريم الفاحشة وعلى ان من فعلها استحق العقاب .

فصل

قوله تعالى : **درب السجين احب الى مما يدعوننى اليه والاتصرف عنى كيدهم** ، (١٢/٣٣) منعلقة فى ظاهر الكلام بما لا يصح فى الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً ، لان السجين انما هو الجسم والاجسام لا يجوز أن يريد ها وانما يريد الفعل فيها والمتعلق بها و السجين نفسه ليس بطاعة ولا معصية ، وانما الافعال فيه قد تكون طاعات ومعاصى بحسب الوجوه التى تقع عليها والظالم اذا اكره مؤمناً على ملازمة موضع وترك التصرف

في غيره كان فعل المكره حسناً وإن كان فعل المكره قبيحاً ، فليس في الآية ما يدل على ما يقرؤونه به عليه السلام ثم انه أراد توطئتي نفسي وتصبري لها على السجن أحب الي من مواجهة المعصية ، والسجن أخف على وأسهل كما يختار بعضنا أحد الشرين .

قوله سبحانه :

« وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء » (١٢/٥٣) انما أراد الدعاء و المنازعة والشهوة ولم يرد العزم على المعصية ، وهؤلاء يبرئ نفسه مما يعتري مثله طباع البشر ، ان هذا الكلام من كلام المرثية لا كلام يوسف وانه مسوق على الكلام المحكي عنها قوله تعالى (قالت امرأة العزيز الان حصص الحق) الى قوله (بالسوء)

قوله سبحانه :

« قال أحدهما اني أراي أعصر خمراً وقال الآخر الى أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تاكل الطير منه نباتاً بتأويله » (١٢/٣٦) فكان جوابه لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتأويله ، قال ابن جريج : انما عدل عن تأويل الرؤيا لانه كره أن يخبرهما بالتأويل لما يجري على أحدهما فيه فلم يتركانه حتى أخبرهما ، وقال أبو علي : انما قدم هذا ليعلم ما خصه الله به من النبوة وليقبلا الى الطاعة والاقراء بتوحيد الله تعالى .

قوله سبحانه :

« اذكرني عند ربك » (١٢/٤٢) سجنه اذا كان قبيحاً ومنكراً فعليه أن يتوصل الى ازالته بكل وجه وسبب فلا يمتنع على هذا أن يضم الى دعائه تعالى رغبة اليه في خلاصه من السجن ويمكن أن يكون الله تعالى اوحى اليه بذلك وأمره أن يقول للرجل ما قال له .

قوله سبحانه :

« سرادونه أباه » (١٢/٦١) المرادة هي التلطف و تكون من جهة الصدق والكذب معاً .

قوله سبحانه :

« جعل السقاية في رحل أخيه » (١٢/٧٠) الغرض في ذلك التسبب الى احتباس

أخيه عنده ، ويجوز أن يكون ذلك بأمر الله تعالى ، وروى انه أعلم أخاه بذلك ليجمعه طريقاً الى التمسك به ، ووجودها في رحله يحتمل وجوهاً كثيرة غير السرقة فلا يصرف اليها الا بدليل ، واما المنادى بأنهم سارقون فلم يكن بأمره عليه السلام وكيف يأمر بالكذب ، وقالوا المراد بانهم سارقون انهم سرقوا يوسف من أبيه عليهما السلام ، وقالوا اسقط منه الف الاستفهام أراد انكم لسارقون وهذا ضعيف .

قوله سبحانه :

« اتقوني بأخ لكم من أبيكم » (١٢/٥٩) كتمان يوسف خبره عن أبيه لانه اوحى الله تعالى اليه بان يعدل عن اطلاعه على خبره تشديداً للمحنة عليه وتكريفاً للمنزلة الرفيعة في الباوى وله تعالى ان يصيب التكليف وان يسهل ، ويجوز انه لم يتمكن من ذلك ولا قدر عليه قوله سبحانه :

« ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً » (١٢/١٠١) اي سجدوا لله تعالى من أجله ، يقول انما صايت لوصولي الى أهلي وانما صمت لشغائي من مرضي ، ويجوز أن يكون السجود لله تعالى غير انه كان الى جهة يوسف كما يقال صلى فلان الى القبلة وعلى هذا لا يخرج يوسف من التعظيم الا ترى ان القبلة معظمة وان كان السجود لله تعالى نحوها ، والسجود ليس بمجرد عبادة حتى يضمه من الافعال ما يكون عبادة فلا يمتنع أن يكونوا له على سبيل التحية ولا يكون ذلك منكراً لانه لم يقع على وجه العبادة .

قوله سبحانه :

« من بعد ان نزع الشيطان » (١٢/١٠١) النزع والقيح كان منهم اليه لانه اليهم وذلك كما يقول القائل جرى بيني وبين فلان شر وان كان من أحدهما . قوله سبحانه :

« اجعلني على خزائن الارض » (١٢/٥٥) الشمس تمكينه من خزائنها ليحكم فيها بالعدل ويتمكن من الحق والأمر بالمعروف وذلك بعدما قال الملك (ايتوني به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال (انك اليوم لدينا مكين أمين)

قوله سبحانه :

« انى حظيظ عليهم » (١٢/٥٥) وقال تعالى (فلا تزكوا أنفسكم)

فصل

قوله تعالى : في قصة أيوب عليه السلام «الذي مسنى الشيطان انصب وعذاب»
(٣٨/٤٠) انصب هو التعب و التعب المصرة التي لا يختص بالعقاب و قد يكون
على سبيل الاختيار و العذاب المضار التي لا يختص اطلاق ذكرها بجهة دون جهة و
لذلك يقال المظالم المعتدى بالظلم انه معذب وضر و انما قيل معاقب على سبيل المجاز
وان لفظة العقاب تقتضى ظاهرها الجزاء لانها من التعقيب والمعاقبة ولفظة العذاب ليست
كذلك ، و اما اضافته ذلك الى الشيطان بما ابتلاه الله به فانه لم يضيف العرض اليه
وانما اضاف وسوسته و تذكيره له العافية والنعيم ودعاه له الى التضجر ولانه كان يوسوس
الى قومه بان يستقذروه ويتجنبوه من امراضه الشنيعة المنظر وكل هذا ضرر من جهة ابليس

قوله سبحانه:

«وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث» (٣٨/٤٣) قال قتاده والضحاك انه
كان حلف على امرأته لامرأته انكره من قولها (لئن عوفى لاضربنها مائة) ف قيل له خذ
ضغثاً بعدد ما حلفت واضرب به دفعة واحدة فان الله تعالى جعل لايوب مخرجاً من حلفه
والحيل في الاحكام تجوز عندنا وعند الشافعي ما كان مباحاً يتوصل به الى مباح قوله
من فعل هذا بالهتينا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوه هم ان كانوا ينطقون و
قوله (جعل السقاية في رحل اخيه ، الاية) وقوله (فالموريات قدحاً) واخذوا بل حجرا
عداء فحلف سويد بن حنظلة انه اخى فخلوا عنه فذكر ذلك للنبي عليه السلام فقال
صدقت والمسلم اخو المسلم ورد ان النبي عليه السلام كان اذا اراد غزواً نهياً بموضع اخر
حتى لا يقف عليه الناس ، ومنه حديث على عليه السلام لعمر بن عبدود بعد ما رجع و
عصب رأسه من ضربة عمرو خدعة اتبارزنى وحدك ام معك غيرك فالتفت عمرو فضر به
على فقال النبي عليه السلام الحرب خدعة وقال ابو حنيفة الحيلة المحظورة يتوصل بها
الى المباح جائز واستدل بقوله (وسئلم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون
في السبت اذ تاتيهم حياتهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون) فكانوا يكسبون يوم السبت
ويعيدون يوم الاحد ، وقال النبي عليه السلام لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم

فباعدوها وأكلوا أثمانها .

قوله سبحانه :

«وأيوب إذا نادى ربه أنى مسنى الضر» (٢١/٨٣) هو الضر الذى قد يكون محنة وليس بمنكر أن يكون أمراض أيوب عليه السلام ومحنة فى جسمه وأهله وماله بلغت مبلغاً عظيماً لكون اللطف والمصلحة فيها وإنما ينكر الأمراض المستفجرة مثل اليرص والجذام وفيه كلام كثير، وأما الأمراض النازلة به فكانت اختباراً وتعريضاً للشواب بالصبر عليها والموض العظيم فى مقابلتها .

فصل

قوله تعالى : قصة شعيب عليه السلام «قد أنزنا على الله كذباً أن عدنا فى ملتكم

بعد أن نجينا الله منها» ويكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا» (٧/٨٧) الملة التى عناها الله تعالى إنما هى الشرعيات لقوم شعيب وهى منسوخة عندهم دون الاعتقادات فى الأصول، والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تتبع المصالح والالطاف والمعلوم من أحوال المكلفين، فكانه قال إن ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بأن الله تعالى قد نسخها إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود إليها، وتلك الأفعال التى كانوا همسكين بها مع نسخها عنهم ونهيمهم عنها وإن كانت ضللاً وكفراً، فقد يجوز فيما هو مثلها أن يكون إيماناً بل فيها أنفسهم قد كان يجوز ذلك، وليس تجرى هذه الأفعال مجرى الجهل بالله الذى لا يجوز أن يكون الاقبيحاً، وأراد أن ذلك لا يكون أبداً من شعيب إلا بمشيئة الله لما كان معلوماً أنه لا يشاء وكل أمر علق بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه كقوله (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) يقال لا أفعل ذلك حتى يبيض القار ويشيب الغراب، وقال قطرب: فى الكلام تقديم وتأخير والاستثناء من الكفار وقع لامن شعيب فكانه تعالى قال حاكياً عن الكفار (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله إن نعود فى ملتنا) ثم قال تعالى حاكياً عن شعيب: وما كان لنا أن نعود فيها على حال الهباء من فيها تعود إلى القرية لا إلى الملة لأنه قد تقدم ذكرهما، المعنى إلا أن يشاء الله أن يردكم إلى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة لأنه لما حكى عنهم أول نعود فى ملتنا كان معناه أو انكون على ملة واحدة فحسن أن يقول من بعد إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة،

المعنى الا ان يشاء الله ان يمكنكم من اكرامنا بان يغلى بينكم و بينه فنعود الى اظهار اكرامكم بهين يريد ذلك قوله (ولو كنا كارهين) المعنى الا ان يشاء الله ان يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكرام لان اظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الاحوال الى ان يتعبد الله باظهارها يقوى ذلك قوله (ولو كنا كارهين)

قوله سبحانه :

حاكياً عن شعيب «واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه» (١١/٩٢) والشىء لا يعطف على نفسه لاسيما بالحرف الذى يقتضى التراخى، ثم ان الاستغفار هو التوبة، الجواب: اجعلوا المغفرة اولاً فى الطلب والتوبة اخراً فى السبب وسأله التوفيق للمغفرة والمعونة عليها ثم توبوا لان التوفيق يكون قبلها واستغفروه قولاً ثم توبوا اليه بالنية التى بها يسقط العقاب، خاطب المشركين بالله تعالى فقال استغفروه من الشرك بمفارقة ثم توبوا الى ارجعوا اليه بأفعال الخير استغفروا ربكم ثم اقيموا على التوبة اليه تكرر اراً وتأكيدياً، كما يقال اضرب زيداً ثم اضربه وافعل هذا ثم افعله، اراد بسم الواو بمعنى استغفروا ربكم وتوبوا اليه.

قوله سبحانه :

«يا أبت استاجر» الى قوله احدى ابنتى هاتين (٢٨/٢٦) سألته ان يستاجره ومدحته بالقوة والامانة، كان كلاماً دالاً على الترغيب فيه والتقريب منه فيدل له النكاح الذى فيه غاية الاختصاص فيما فعله شعيب فى غاية المطابقة لما يقتضيه سؤالها

قوله سبحانه :

«على ان تاجرني ثمانى حجج فان اتممت عشراً فمن عندك» (٢٨/٢٧) انما جاز التخيير والتفويض فى الصداق واستفادة شعيب لنفسه، لانه يجوز ان يكون الغنم كانت لشعيب وكانت الفائدة باستيجار من يرعيها عائدة عليه الا انه اراد ان يعوض بنته من قيمة رعيها فيكون ذلك مهرألاً، واما التخيير انما كان فيما زاد على ثمانى حجج، و يجوز ان يكون من شر يخته العقد بالتراضى من غير صداق معين، ويكون قوله (على ان تاجرني) على غير وجه الصداق وهذا ضعيف، ويجوز ان يكون الغنم كانت للبنات وكان الاب المتولى لامرها وقبض الاب مهر بنته البالغ جائز، وأجمعوا على انها كانت بكرأ، حذف ذكر الصداق وذكر ما شرط لنفسه مضافاً الى الصداق لانه جائز ان يشرط الولي لنفسه ما

يخرج عن الصداق، وظاهر الآية أن أحدهما جزاء على الآخر.

قوله سبحانه :

عن صالح عليه السلام «فما تزيدوننى غير تخسير» (١١/٦٦) معناه فمات تزيدوننى غير تخسير كم وتضليلكم اى تصيرون عندى خساراً ضاللاً كقوله (يا حسرة على العباد) فيصير الحسرة عليهم اى منهم .

فصل

قوله تعالى : فى قصة موسى عليه السلام «فوكزه موسى فقضى عليه» (٢٨/١٤)

أراد أن يخلص من استغاث اليه من شيعته، فادى ذلك الى القتل من غير قصد، وكل ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير قصد فهو حسن ولا يستحق العوض به ولا فرق بين أن يدافع عن نفسه او عن غيره والشرط فيهما أن يكون الضرر غير مقصود، وأن يكون القصد الى دفع المكروه والمنع من وقوع الضرر، ثم أن الله تعالى كان قد عرف موسى استحقات القبطى القتل بكفره وندبه الى تاخير قتله الى حال التمكين، فلما رأى منه الاقدام على رجل من شيعته تعمد قتله تاركاً لما نذّب اليه من تاخير قتله، وقتله لا يخلوا أما أن يكون قتله عمداً وهو مستحق فلا يكون عاصياً، او قتله عمداً وهو غير مستحق فهذه كبيرة، وان قتله خطأ وهو مستحق او غير مستحق ففعله خارج من باب القبيح جملة وهذا رد على من قال ان قتله كان صغيره .

قوله سبحانه :

«هذا من عمل الشيطان» (٢٨/١٤) اى تزيين قتلى وتركى لما نذبت اليه من تاخيريه وتقويتى لما استحقه من الثواب من عمل الشيطان منصحاً بذلك عن خلافه لله تعالى واستحقاقه للقتل، ويحتمل أن يكون المراد بالشيطان القبطى فى اعتدائه .

قوله سبحانه :

«انك لغوى مبين» (٢٨/١٧) اى جانب فى طلب ما نذكره ثم قصد الى نصرته كما نصره بالامس على الاخر فظن انه يريد البطش به فقال (أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسك بالامس)

قوله سبحانه :

«ولهم على ذنب» (٢٦/١٣) قال مجاهد وقتاده : يعنى قتل القبطى الذى قتله

موسى حين استصرخ به واحداً من بنى اسرائيل فاحاف أن يقتلوا نبي بذلك المقتول .

قوله سبحانه :

«وَفَعَلْتَ لَعَلَّتْكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» (٢٦/١٨) لنعمتى وحق تربيته
يقويه قوله (ألم نربك فينا وليداً) وقال الحسن : (وأنت من الكافرين) بى انى الهك .

قوله سبحانه :

« بَلْ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ » (٢٦/١٩) اى الذاهبين عن أن الوكزة
تأتى على النفس اذ ان المدافعة تقضى الى القتل، وقد يسمى الذاهب عن الشيء انه ضال
عنه ويجوز أن يريد اننى ضللت عن فعل المندوب اليه من الكف عن القتل فى تلك الحال.

قوله سبحانه :

«إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» (٢٨/١٥) كقول آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا) وتوبتهما انما كانت
على وجه الخشوع والانقطاع الى الله تعالى ، وذلك دأب الصالحين عند تجديد آيات الله تعالى
قوله سبحانه :

«فَاغْفِرْ لِي» (٢٨/١٥) فأقبل منى هذه القربة والرجوع اليك ويسمى الاستغفار
والتوبة غفرانا .

قوله سبحانه :

«إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» (٩٦/١) فأجاب موسى (انى أخاف أن يكذبون
فارسل الى هارون) ليس ذلك استعفاء عن الرسالة بل كان قد أذن له فى ان يستلضم
أخيه فى الرسالة اليه قبل هذا الوقت وضمنت له الاجابة قوله (واجعل لى وزيراً من
أهلى هارون أخى) فأجابه الله تعالى (قد اوتيت سؤالك يا موسى)

قوله سبحانه :

«إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» (٩٦/١) فكانه قال فالقوا ما أنتم ملقون ان كنتم محقين و
كان فيما تفعلونه حجة ، وحذف الشرط فى الامر جائز لدلالة الكلام عليه واقتضاء الحال له،
ويجوز أن يكون دعاهم على وجه التحدى الى الالتقاء على وجه يساوونه فيه بالتحميل

ويغلبهم بالحجة من انقلاب الجماد حية على الحقيقة وقد بين الله تعالى ذلك في قوله (وجاء السحرة فرعون الى قوله صاغرين) قال الجبائي قوله (فالقوا) كفرهم وتهديد ومعناه من كان القامه منكم حجة عنده ابتداء باللقاء ، وقال قوم يجوز أن يكون ذلك أمراً على الحقيقة أمرهم باللقاء على وجه الاعتبار لا على وجه يقوى الكفر .

قوله سبحانه:

«فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى» (٢٠/٦٩) انه (يخيل) لانهم لم تكن تسعى حقيقة ، وانما تحركت لانه قيل جعل داخلها زبيق فلما حميت بالشمس طلب الزبيق الصعود فتحركت المعصى فظن انها تسعى .

قوله سبحانه:

«فأوجس في نفسه خيفة موسى» (٢٠/٧٠) انه لم يخف الا من قوة النليس وبالتخييل ما أشفق عنده من وقوع الشبهة على من لم ينعم النظر ولا يقتضى شكه في ما أتى به فامنه الله من ذلك وبين ان حجة بتضح للقوم بقوله (لا تخف انك انت الاعلى) يوافقه قول أمير المؤمنين عليه السلام لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجبال و دول الضلال .

قوله - سبحانه:

«فلما أتيتها نودى يا موسى انى أنا ربك» (٢٠/١١) انما علم موسى ان هذا النداء من قبل الله عز وجل بمعجز أظهر له الله كما قال في موضع آخر (نودى من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب) حتى قيل له (أقبل ولا تخف انك من الامنين)

قوله سبحانه:

«فاخضع اعليك» (٢٠/١٢) قال الحسن وابن جريح : ليبارك بقدمه بركة الواد المقدس وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال الباخي انه أمر بذلك على وجه الخضوع والتواضع لان التخفي في مثل ذلك أعظم تواضعاً وخضوعاً ، وقال كعب وعكرمة لانها

كانت من جلد حمار ميت، وهذا فاسد لان النبي لا يستحل الميت.

قوله سبحانه :

«عجلاً جسداً له خوار» (٢٠/٩٠) قال الحسن وأبو بكر بن الاخشيذ : انه كان معلوماً معتاداً في ذلك الوقت انه من قبض من أنر الرسول قبضة فلقاها على جماد صار حيواناً ، فعلى هذا لا يكون خرق العادة بل كان معتاداً ، وقال الجبائي المعنى انه سوت له نفسه ملاحقة له وانما جاز بحيلة جعلت فيه من خروق اذا دخلته الريح سمع له خوار.

قوله سبحانه :

«رب انى لأملك الاقصى وأخى» (٥/٢٨) مجاز لان الانسان لا يصح ان يكون مقدوراً عليه ارفى حكم المقدور عليه فى انه بصرفه تصرف المقدور كملك الانسان للمال والعبد ومعناه انه لما ملك تصرف نفسه فى طاعة الله جازان يصف نفسه بانه بما يجوز ان يملكه وقوله (أخى) لانه كان ايضاً طامعاً له فيما يامر به فكان كالقادر عليه.

قوله سبحانه :

«فدعاه به أن هؤلاء قوم مجرمون» (٤٤/٢١) وذلك انه لما ليس من قومه أن يؤمنوا به دعا الله ربه فقال ان هؤلاء قوم مجرمون، وقيل انه دعا لما يقتضى سوء أفعالهم فكانه قال اللهم عجل ما يستحقونه باجرامهم بما به يكونون انكالا لمن بعدهم ومادعاهم هذا الدعاء لابعدان اذن الله له فى الدعاء عليهم .

قوله سبحانه :

«ربنا انك اتيت فرعون و ملائه زينة و اموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك» (١٠/٨٨) اى أن لا يضلوا فحذف لا كقوله (ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى) وقوله (ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) وقوله (و القى فى الارض رواسى ان تميد بكم . قال الشاعر :

نزاتم منزل الاضياف منا فمجلنا القرى أن تشتموننا

فصل

قوله تعالى : «رب ارنى انظر اليك» (٧/١٣٩) انما سأل ربه تعالى ضرورة

بأظهار اعلام الآخرة التي تضطر عندها الى المعرفة فتزول الخواطر عنه ومنازعة الشكوك والشبهات ويستغنى عن الاستدلال فتخف المحنة عنه بذلك كما سأل ابراهيم فقال (رب ارني كيف يحيى الموتى) ويجوز انه انما سأل ذلك حالة نظره في جوازه وامتناعه فاراد ان يعرف ذلك من جهة السمع والرؤية يعرف بالعقل والسمع وحالة النظر فارق سائر الاحوال ويجوز فيه ما لا يجوز في غيره ولولا يمكن سؤاله لبعض ما قلناه لاستحق الذم كما استحق قومه فقالوا (أرنا الله جهرة) الآية .

قوله سبحانه :

« اتهمكنا بما فعل السفهاء منا » (٧/١٥٤) الهلاك ههنا بمعنى الموت كقوله (ان امرؤ هلك) ولا يكون ذلك عقوبة منه بفعل غيره .

قوله سبحانه :

« فلما افاق قال سبحانه تبث اليك » (٧/١٤٠) التوبة انما كانت على سبيل الرجوع الى الله تعالى واظهار الانقطاع والتقرب لا الذنب فيجوز ان يكون الغرض في ذلك لتعليمنا وتوفيقنا على ما نستعمله عند الشدائد وله اجوبة غير ذلك .

قوله سبحانه :

« والقي الاوايح » (٧/١٤٩) اي ان موسى عليه السلام أقبل غضبان على قومه مستعظماً لفعلهم فأخذ برأس أخيه وجره اليه كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر ، والفكر الغضبان قد بعض على يده ويقتل أصابعه ويقبض على لحيته فأجرى موسى عليه السلام أخاه هارون مجرى نفسه ، وهذه الامور تختلف أحكامها بالمعادات فيكون ما هو اكرام في بعضها استخفافاً في غيرها ويكون على ضد ذلك .

قوله سبحانه :

« ديان ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » (٢٠/٩٥) لا يدل على أنه وقع على سبيل الاستخفاف ، بل معنى كلامه لا تغضب ولا يشتد جزعك وأسفك وانه أجرا مجرى نفسه اذا غضب في القبض على لحيته كانه لم يكن متهماً عنده كما لا يتم على نفسه ، و يحتمل أن عادة ذلك الوقت ان الواحد اذا خاطبه غيره قبض على لحيته ، كما يقبض على يده في

عادتنا والعادات تختلف .

قوله سبحانه:

«انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل» (٢٠/٩٥) لا يمتنع أن يكون هارون خاف من أن يتوهم بنو اسرائيل بسوء ظنهم انه منكر عليه معاتب له ثم ابتداء يشرح قصته فقال مرة (يا بن امان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى) .

قوله سبحانه:

«ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين» (٤٣/٥١) قال الزجاج اللثغة كانت فى لسانه، وقال قتاده والسدى كانت فى لسانه آفة، وقال اكثر المفسرين كان احترق لسانه بالجمهر الذى وضعه فى فيه حين اراد أن يعتبر فرعون عقله لما لطم وجهه وأراد أن يأخذ غير النار فصرف جبرئيل يده الى النار دفعاً عنه القتل، وقال الحسن كان فى لسانه ثقل فنسبه الى ما كان عليه اولاً وأقول انه نسبه الى قلة البيان كما نسبه الى المهانة كذباً وزوراً، قال الجبائى فأنحل ما كان بلسانه منه بدلالة قوله (ولا يكاد يبين) وقال الحسن استجاب الله دعاه فحل العقدة عن لسانه وهو الصحيح لقوله (قد انيت سؤلك يا موسى) فى عقيب دعائه (رب اشرح لى صدرى)

فصل

قوله تعالى: «فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلماها من لدنا علماً» (١٨/٦٤) يمكن أن يكون الله تعالى قد أعلم هذا الغلام ماله يعلمه موسى وأرشد موسى عليه السلام اليه ليتعلم منه، وانما المنكر أن يحتاج النبي فى العلم الى بعض رعيته ويجوز أن يكون نبي أعلم من نبي وقته وما تعلمه من هذا العالم كتعلمه من الملك الذى يهبط اليه، ولا يدل ذلك على ان ذلك العالم كان أفضل من موسى فى العلم إلا انه لا يمتنع أن يزيد موسى عليه السلام فى سائر العلوم التى هى أفضل مما علمه فقد يعلم أحدنا شيئاً من المعلومات ما لا يعلمه من هو أفضل منه

قوله سبحانه:

«فلا تسألن عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً» (١٨/٦٩) وقد قال (فاستلوا أهل

الذكر ان كنتم لاتعلمون) النهى انما هو نهى عن نوع العلم الذى لم يبلغ منزلته بعد وأحدث انما هو على سؤال تفاصيل ما خفى عليه من النوع الذى هو بصدده لئلا يتولد فيه شبهة

قوله سبحانه:

«انك لن تستطيع معى صبرا» (١٨/٦٦) لو كان نفى الاستطاعة على ما ظنه الجاهل لكان العالم وهو فى ذلك سواء فلا معنى لاختصاصه بنفى الاستطاعة ، والدليل على انه نفى عنه الصبر لا استطاعته قول موسى عليه السلام فى جوابه (ستجدنى انشاء الله صابراً) ولم يقل مستطيعاً ومن حق الجواب أن يطابق الابتداء .

قوله سبحانه :

«ولا اعصى لك امراً» (١٨/٦٨) مشروط بالمشية و ليس بمطلق فكانه قال ستجدنى صابراً ولا اعصى لك امراً انشاء الله وانما قدم الشرط على الامر بن جميعاً .

قوله سبحانه :

«لقد جئت شيئاً امرأ» (١٨/٧٠) اى عجباً و منكراً اوداهية، وقالوا الامر من أمر القوم اى كثروا وجعل عبارة عن كثرة عجيبة .

قوله سبحانه :

«لقد جئت شيئاً نكراً» (١٨/٧٣) اى ان ظاهر ما اتيت به المنكر ومن يشاهده قبل أن يعرف علمه ينكره ثم انه حذف الشرط فكانه أراد ان كنت ظالماً فقد جئت شيئاً نكراً على انه أراد انك آتيت أمراً بديعاً غريباً فانهم يقولون فيما يستغربونه انه نكرو ومنكر ويمكن أن يقول قل على وجه الاستفهام دون القطع يدل عليه (أخرقتها لتغرق أهلها) و قوله (أقتلت نفساً زكية بغير نفس)

قوله سبحانه :

«واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا» (١٨/٧٩) الغلام كان مراهقاً فقتله العالم، خشى اى علمه من الله تعالى انه متى بلغ كفر أبواه ومتى قتل بقياء على ايمانهم، ولا فرق بين ان يميته الله وبين أن يأمر بقتله ، والدليل على ان خشى بمعنى علم قوله (وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً او اعراضاً) وقوله (الا أن يخافوا الا بغيرهما

حدود الله) وقوله (وان خفتهم عيله) وقالوا الغلام كان كافراً مستحقاً للقتل فخشي الخضر عليه السلام اي خاف ادخال ابويه في الكفر وتزيينه لهما ، وقالوا الخشية الكراهية يقال فرقت بين الرجلين خشية أن يقتلوا فالأويل بمعنى العلم لا يمنع أن يضاف العلم الى الله تعالى ، ثم ان موسى عليه السلام انما استقبح على البديهة قتل الغلام لانه لم يعرف الوجه الذي هو علة حسنه ولو علم ذلك لعلم حسن القتل وقبح السفينة .
قوله سبحانه:

«اما السفينة فكانت لمساكين» (١٨/٧٨) انما عني بالمسكنة عدم الناصر كما يسمى من كان كثير المال و اسم الحال مسكين و مستضعف ، وقال النبي عليه السلام : مسكين مسكين رجل لازوجة له ، ثم ان السفينة للبجري الذي لا يتعيش الا بها كالدار التي يسكنها الفقير هو وعياله ولا يجد سواها فهو مضطرا اليها فان اضاف الى ذلك ان يشاركه جماعة في السفينة حتى يكون منها الجزء اليسير كان اظهر فقراً ، ثم ان لفظة المساكين قد قرئت بالتشديد ومعناه البخلاء .
قوله سبحانه:

« لا تؤاخذني بما أنسى » (١٨/٧٢) اي بما تركت نحو قوله (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى) قال ابن عباس : لا تؤاخذني بما فعلته مما يشبه النسيان فسماه نسياناً للمشابهة كما قال المؤذن لاختوة يوسف (انكم لسارقون) ثم انه ليس النسيان بعجيب مع قصر المدة فان الانسان قد ينسى ما قرب زمانه لما يعرض له شغل القلب .

فصل

قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى » (٢٣/٦٩) ليس فيها ما قرفوه به ، و الصحيح ان بنى اسرائيل لمعات هارون قرفوه بانه قتله لانهم كانوا الى هارون أميل فبرأه الله من ذلك وأمر الملائكة بان حملت هارون ميتاً وموت به على محافل بنى اسرائيل ناطقة بموته ومبرئة لموسى عليه السلام من قتله ، وروى ان موسى نادى أخاه هارون فخرج من قبره فسأله هل قتله فقال لا ثم عاد .
قوله سبحانه:

« واذ آتيننا موسى الكتاب والفرقان لعلمكم تهتدون » (٢/٥٠) والفرقان هو

القران ولم يؤت به وانما اختص به محمد عليه السلام كتب الله كلها فرقان يفرق بين الحق و الباطل واختلاف اللفظين جائز ، قال والقي قولها كذباً وميتاً ، والكتاب عبارة عن التورية ، والفرقان انراق البحر لموسى عليه السلام ، والفرقان الفرق بين الحلال والحرام ، والفرقان بين موسى وأصحابه المؤمنين وبين فرعون وأصحابه الكافرين كالنجاة والهلاك ، والفرقان المنزل على نبينا عليه السلام والتصديق والايمان بالفرقان الذى هو القران لان موسى كان مؤمناً بمحمد وبما جاء به ، وساغ حذف القبول والايمان والتصديق و اقامة الفرقان مقامه كما ساغ فى قوله (وسئل القرية) والفرقان القرآن وتقدير الكلام واذا اتينا موسى الكتاب الذى هو التورية و اتينا محمداً القران فحذف ما حذف كما قال الشاعر علفتها تبناً و ماء بارداً ، وقال الاخر : ياليت بملك قدغدا متقلداً سيفاً ورمحاً . وقال الصادق عليه السلام القران جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به .

قوله سبحانه :

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب » (٤٢/٥٠) ثم قال (وكلم الله موسى تكليماً) المعنى والله أعلم ان الله تعالى خص موسى بكلام خلقه على هذه الصفة ما لم يخص به أحد من أنبيائه .

قوله سبحانه :

« و اذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا ان نتخذها هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » (٢/١٣) والهزواً اللعب والسخرية ، ولا يجوز أن يقع من أولياء الله تعالى فيما يؤدونه هزواً ولا لعب فظنوا به ظن سوء لجهلهم بالحكمة فقال موسى عند ذلك (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) يعنى من السفهاء الذين يرون على الله الكذب والباطل .

قوله سبحانه :

« و ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى » الآية (٢٧/١٠) انما ولى منها موسى للبشرية لانه شك فى كونها معجزة له لا تضره ، فقيل (لا تخف) نداء من الله تعالى لموسى ونهى له عن التخوف وقال له انك مرسل (ولا يخاف لدى

المرسلون) لانهم لا ينفذون قبيحاً ولا يخلون بواجب فيخافوا عقابه الا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء صورته صورة الاستثناء وهو منقطع عن الاول ، وتقديره لكن من ظلم نفسه فعل القبيح ثم بدل حسناً بعد سوء بأن يأتي بعد القبيح بالفعل الحسن فانه يغفر له ، وقال الحسن : هو اشتناء غير منقطع وأراد من فعل صغيرة من الانبياء وهذا بعيد عن الثواب لان صاحب الصغيرة لا خوف عليه ايضاً لوقوعها مكفرة والاستثناء وقع من المرسلين الذين لا يخافون .

فصل

قوله تعالى : في قصة داود عليه السلام د وهل اتيتك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب » الى قوله وأتاب (٣٨/٢٠) لاتدل على وقوع الخطاء منه ، واما الرواية المدعاة فساقطة لتضمنها خلاف ما يقتضيه الاصول مطعون في روايتها ، والخصم مصدر لا يجمع ولا يشئ ولا يؤنث فلذلك قال (اذ تسوروا المحراب) ان الخصمين كالفيليين او البنسنيين ، ثم ان في الاثنين معنى الانضمام ولهذا زعم بعضهم انه اقل الجمع ، وقيل بل كان مع مذهب الخصمين غيرهما ممن يعنيهما .

قوله سبحانه :

« ففزع منهم » (٣٨/٢١) لانه كان خالياً بالعبادة في وقت لم يدخل عليه فيه احد ولا نهاد دخلا من غير المكان المعهود

قوله سبحانه :

« قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض » الى قوله الخطاب (٣٨/٢١) قال أكثر المفسرين انه كنى بالنعاج عن تسع وتسعين امرأة وان الاخر امرأة واحدة ، وقال الحسن لم يكن له تسع وتسعون امرأة وانما هو على وجه المثل ، وقال أبو مسلم أراد النعجة بأعيانها وهو الظاهر .

قوله سبحانه :

« و داود و سليمان اذ يحكمان في الحرت اذ نفشت فيه غنم القوم و كنا احكمهم شاهدين ففهمناهما سليمان و آلا اتيانا حكما و علماً » (٢١/٧٨) قيل في معنى قوله (اذ يحكمان) انهما اذ شرعا في الحكم فيه من غير قطع به في ابتداء الشرع ، وقيل أن يكون

حكمه حكماً معلقاً بشرط لم يفعله بعد ، وقيل أن يكون معناه طلب الحرث ولم يتدبأ به بعد
ويقوى ذلك قوله (ففهمناها سليمان) والجواب الصحيح انه كان حكمهما حكماً واحداً الا
أن داود أمر سليمان بالحكم ليعرف بنى اسرائيل علم سليمان وانه وصيه من بعده

قوله سبحانه:

« اناسخروا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق » (٣٨/١٧) وقوله (وسخرونا
مع داود الجبال يسبحن والطير) معنى ذلك انها كانت تسير بأمر الله تعالى معه حيث سار بالغداة
والعشى فسمى الله تعالى ذلك لمافى ذلك من دلالة على قدرته وصفاته التى لا يشاركه فيها
غيره وقوله (والطير محشورة) اى مجموعة من كل ناحية اليه يعنى كل الطير والجبال له
اواب الى ما يريد ، وقال قتاده: اى مسخرة وعبر عن ذلك التسخير بأنه تسييح من الطير لدلالته
على ان مسخرها قادر ولا يجوز عليه العجز كما يجوز على العباد ، وقال الجبائى : اكمل الله
تعالى عقول الطير حتى فهمت ما كان من سليمان بأمرها به وبينها عنه وما يتوعدا به متى
خالفت ، وسخر له الطير بأن قوى أفهامها حتى صارت كصبياننا الذين يفهمون التخويف والترهيب

قوله سبحانه:

« لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه » (٣٨/٢٣) من غير مسألة للخصم انما
أراد به ان كان الامر كما ذكرت ، ومعنى ظلمك انتقصك كما قل (انت اكلها ولم تظلم منه
شيئاً) وقوله (وظن داود انما افتناه) اى علم وحس ايضاً .

قوله سبحانه:

« فاستغفر ربه وخر راكعاً واثاب » (٣٨/٢٣) على سبيل الانقطاع الى الله تعالى
والخضوع له .

قوله سبحانه:

« ففهمناها ذلك » (٣٨/٢٤) اى قبلنا منه وكتبنا له الثواب عليه ، و اخرج الجزاء
على لفظ المجازى عليه وأما قذفه بأمر أنه اوريا باطل ، قال امير المؤمنين عليه السلام لا اوتى
برجل يزعم أن داود تزوج بامرأة اوريا لاجل دته حداً للنسوة وحداً للإسلام ، وقال ابو مسلم
الاصفهانى لا يمتنع ان الداخلين على داود كانوا خصمين من البشر ، وانما ادتاع منهم الدخول لهما

من غير اذن وعلى غير مجرى العادة ، وليس في ظاهر التلاوة ما يقتضى أن يكونا ملكين .

فصل

قوله تعالى : في قصة سليمان عليه السلام «ووهبنا لداود سليمان» الى قوله و
الاعناق (٣٨/٢٩) ليس ظاهرها دالا على ان مشاهدة الخيل الهاء عن ذكر ربه حتى فاتته
الصلوة فعرقبها وقطع سوقها وأعناقها بل هذا مخالفة لما تقتضيه الأدلة يدل عليه ان الله
تعالى ابتدأ الآية بمدحه فقال (نعم العبدان) وأب) ولا يجوز أن يشئ عليه بهذا الثناء ثم يتبعه
من غير فصل بإضافة القبيح اليه .

قوله سبحانه :

«إلى أحببت حب الخير» (٣٨/٣١) أى أحببت حباً ثم أضاف الحب الى الخير
او أراد أحببت اتخاذ الخير لان ذات الخيل لا يحب فجعل بدل قوله اتخاذ الخيل حب الخير .
قوله سبحانه :

«حتى توارت بالحجاب» (٣٨/٣١) عايد الى الخيل دون الشمس لانه قد جرى
ذكرها في الآية ولم يجر ذكر الشمس وليس في ظاهر القرآن ان التوارى كان سبباً لغوات
صلوة النافلة .

قوله سبحانه :

«ردوها على» (٣٨/٣٢) الخيل لامحالة (فطفق مسحاً بالسوق والاعناق)
مسحها او أمر يده عليها صيانة لها واكراماً وهذا عادة الناس ، والمسح ايضاً الغسل أى غسل
قوائمها وأعناقها ، ولا تسمى العرب الضرب بالسيف والقطع به مسحاً ثم انه لم يجر للسيف
ذكر فيضاف المسح اليه ، ويقال انه عرقب الخيل لانها كانت أعز ماله وكفر عن تفریطه في
النافلة بذبحها والتصديق بلحمها على المساكين لقوله (ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)

قوله سبحانه :

«وورث سليمان داود» (٢٧/١٦) قال أصحابنا ورثه المال والعلم ، وقال
المخالفون انه ورثه العلم للخبر المروى ، نحن معاشرا لانياء لانورث ، وقوله عليه السلام

العلماء ورثة الانبياء ، حقيقة الميراث هو انتقال تركة الماضي بموته الى الباقي من ذوى قرابته وحقيقة ذلك فى الاعيان ، واذا قيل ذلك فى العلم كان معجزاً ، والخبر خبر واحد لا يجوز أن يخص به عموم القرآن ومثل ذلك قوله (واجعل لى من لدنك ولياً يرثى ويرث من آل يعقوب) وقد شرحنا ذلك فى المشاب .
قوله سبحانه :

«ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسداً» (٣٨/٣٣) النبوة لا تكون فى خاتم ولا يسلمها الجنى من النبى وان الله تعالى لا يمكن الجنى من التمثل بصورة النبى وليس فى الظاهر أكثر من أن جسداًلقى على كرسيه على سبيل الاختيار له نحو قوله تعالى (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم) قيل انه عليه السلام ذكر يوماً فى منزله لاطوفن اللبنة على مائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف فى سبيل الله القصة فان صح ذلك فلا يكون ذنباً لان محبة الدنيا على وجه المباح ليس بذنب ، وقيل كان لسليمان ولد شاب يعجب به فأماه الله فجأة اختبأ من الله تعالى لسليمان ، وقيل انه أماته فى حجره فوضعه على كرسيه من حجره وجائز أن يكون الجسد المذكور هو نفس سليمان وأن يكون ذلك لمرض امتحنه الله به ، والعرب تقول انما هو لحم على وضم وجسد بالروح تغيظاً للعلامة ومبالغة فى فرط الضعف قوله سبحانه :

«وسليمان الريح» (٢١/٨١) أى بالتسخير (يجرى بأمره) يعنى بأمر سليمان الى حيث شاء ، ويكون فيما أعطاه من التسخير بدعوه الى الخضوع ويدعوا الطالب الى الحق بالاستبصار فى ذلك وكان لافاً يجب فعله .
قوله سبحانه :

«رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لاحد من بعدى» (٣٨/٢٤) قد ثبت ان الانبياء عليهم السلام لا تسئل الا ما يؤذن لها فى مسائله لاسيما اذا كانت المسألة ظاهرة يعرفها قومهم ، وجائز أن يكون الله تعالى أعلم سليمان انه ان سأل ملكاً لا يكون لغيره كان أصلاح له فى الدين والاستكثار من الطاعات وأعلمه ان غيره لو سأل ذلك لم يجب اليه من حيث لاسلاح له فيه ، ولو ان أحداً صرح فى دعائه بهذا الشرط حتى يقول اللهم اجعلنى أسير

أهل زمانى وارزقنى مالا يساوى فيه غيرى اذا علمت ان ذلك أصاح لى وانه ادعى الى هانريده منى لكان هذا الدعاء حسناً جميلاً وهو غير منسوب الى بخل، وليس بمنع أن يسأل النبى هذه المسألة من غير اذن اذا لم يكن ذلك بحضرة قومه بعد أن يكون هذا الشرط مراداً فيها وان لم يكن منطوقاً به لكان هذا الدعاء حسناً جميلاً وهو غير منسوب الى البخل، ثم انه انما التمس أن يكون ملكه ابة لنبوته يتبين بها من غيره ممن ليس بنبى *

قوله سبحانه :

«لا ينبغي لاحد من بعدى» (٣٨/٣٤) اى لا ينبغي لاحد غيرى ممن أنا مبعوث اليه ولم يرد من بعده الى يوم القيامة من النبيين كما يقول القائل أنا اطيعك ولا اطيع أحداً بعدك اى سواك، قال المرتضى انما سأل ملك الاخرة الذى لا يناله المستحق الا بعد انقطاع التكليف وزوال المعنة، وقوله (لا ينبغي لاحد من بعدى) اى لا يستحقه بعد وصولى اليه أحد من حيث لا يصلح أن يعمل ما يستحق به لانقطاع التكليف ويقوى ذلك قوله (رب اغفر لى) وهو من أحكام الاخرة *

فصل

قوله تعالى: «علمنا منطق الطير» (٢٧/١٦) قال المبرد تسمى العرب كل ميبين عن نفسه ناطقاً ومتكلماً، وقال الرماني منطق الطير ضرت تفهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق الناس اذ هو صوت يتفهمون به معانيهم على صيغ مختلفة، ولذلك لم يفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم تفهم هى عنه لان افهامها مقصورة على تلك الامور المخصوصة ولما جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها، وقيل المراد به انه عالم ما يفهم به ما ينطق الطيور به فى أصواتها ومقاصدها بما يقع منها من صياح على سبيل المعجز لسليمان *

قوله سبحانه :

«مالى لأرى الهدهد» (٢٧/٢٠) عرفه بالالف واللام للخصوصية به وسيله سبيل غراب نوح وحمار عزيز *

قوله سبحانه :

«لا عذبته عذاباً شديداً» (٢٧/٢١) العذاب اسم للضرر وان لم يكن مستحقاً و

ليس يجرى مجرى العقاب الذي لا يكون الاجزاء ، فيكون معنى لاعدبته لا يؤلمه ويكون
الله أباحه ذلك الايلام ، كما أباحه الذبح لضرب من المصاحبة كما سخر له الطير وبصرها
في منافعه واغراضه للمعجزة ، وقد يسمى التأديب تعذيباً قوله (وليشهد عذابهما طائفة)
وقيل اراد حبسه او تنف ريشه .

قوله سبحانه :

«وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به» (٢٧/٤٠) قال يعقوب بن أكتم
على بن محمد التقى عليه السلام هل كان سليمان محتاجاً الى علم آصف ؟ فقال عليه السلام لم
يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف لكنه أحب ان يعرف امته من الجن والانس انه الحاجة
من بعده ، وذلك من علم سليمان اودعه آصف بأمر الله ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في
امامته و دلالة كما فهم الله سليمان في حياة داود لتعرف امامته ونبوته من بعد لتأكيد
الحجة على الخلق .

قوله سبحانه :

«نكروا له عرشها» (٢٧/٤١) قال قتادة كان سليمان أحب أن يملك عرشها
قبل أن تسلم فيحرم عليه أخذها لانه أعجبت صفته (ولها عرش عظيم) وقال ابن زيد اراد أن
يختبر عقلها وفطنتها بذلك قوله (تنظر انتهدى) وقال وهب اراد أن يجعل ذلك معجزة
على نبوته .

قوله سبحانه :

«فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي» (٢٧/٣٠) نكلم العلماء في كيفية
اتيانه بالعرش ، فقال ابن عباس والكلبي : خر آصف ساجداً و دعا باسم الله الاعظم فغار
عرشها تحت الارض حتى نبع عند كرسى سليمان ، وقالوا حملته الملائكة بأمر الله ، او الريح
حملته ، او خلق الله فيه حركات متوالية ، او انخرق مكانه حيث هو هناك ثم نبع بين
يدى سليمان ، او الارض طويت له ، او أعده الله في موضعه واعاده في مجلس سليمان ،
وهذا كما روت الشيعة ان تولى غسل الامام والصلاة عليه موقوفان على الامام الذي يتولى
الامر بعده ، و قال المرتضى : يراد بها الاغلب الاكثر ومع الامكان و القدرة
واستدل بوفاة موسى بن جعفر وعلى بن موسى بطوس وابناهما بالمدينة ، فمن اراد دخله
استدل بهذه الآية بقوله (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد

الاقصى) وبصعود الملائكة ونزولهم وطوفان ابليس والجن فى العالم بسرعتهم .
قوله سبحانه:

«واتبعوا ما اتوا بالشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان» (٢/٩٦)
فكانه أخبر بانهم اتبعوا ما يكذب فيه الشياطين على ملك سليمان وبضيقه اليه من السحر
فبرأه الله تعالى من قرفهم فقال (وما كفر سليمان)
قوله سبحانه:

«وما انزل على الملكين» (٢/٩٦) أراد أنهم يعلمونهم السحر الذى انزل على
الملكين وانما انزل عليهما وصف السحر وماهيته وكيفيته للاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه
الناس فيجتنبونه ويحذروا منه ، كما انه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا احوال
القبائح لنجتنبها لا لتتوقعها الا أن الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه .
قوله سبحانه:

«وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفروا فيتعلمون منهما ما
يفرقون به بين امرء وزوجه» (٢/٩٦) اى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه فى
هذا الباب وان كان المالكان ما ألقيا اليهم لذلك ولمذا قال (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم)
لانه تعلموه ليفعلوه لان يجتنبونه فصار ذلك بسوء اختيارهم ضرراً عليهم ، ثم ان التفريق
اما أن يكون من جهة الديانة او الجبر او الحكم او الحيلة و معلوم أنه لم يكن للايجاب
والجبر والحكم فلم يبق الا الحيلة او الديانة كما كانت الكفار يقولون للنبي عليه السلام انه
يفرق بين امرء وزوجه.

قوله سبحانه :

«مالى لأرى الهدى هدأ م كان من الغائبين لا عذبه عذاباً شديداً ولا ذبحه»
(٢٧/٢٠) انما جاز هذا المقال لانها أعقلت أمره ونهيه فقامت عليها الحجة من ذلك لان
الله تعالى سخر الطير له قوله (والطير سافات كل قد علم صلاته وتسميته).

قوله سبحانه:

«انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم» (٢٧/٣٠) انما قدم اسمه على
اسم الله تعالى لان اسمه كان عنوان الكتاب والعنوان أبداً مقدم على الخطاب، وقيل قدم
اسم نفسه اى ان الكتاب من سليمان وان المكتوب بسم الله الرحمن الرحيم ، وقيل لانه

كان سمع من المدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) فقدم اسمه خذراً
أن يسبوا الله ، وقيل لأنها كانت كافرة والكافر لا يخوف بالله لحماية الجاهلية قال (واذا قيل
له اتق الله أخذته العزة بالاثم) .

فصل

قوله تعالى : في قصة يونس عليه السلام «وذا النون اذ ذهب مغاضياً فظن أن
لن نقدر عليه» (٢١/٨٧) لا يجوز أن يغاضب ربه الا من كان معادياً له او جاهلاً بان الحكمة
في سائر افعاله وهذا لا يليق باتباع الانبياء فضلاً عن عصمه الله و انما كان غضبه على قومه
لمقامهم على تكذيبه و اصرارهم على الكفر فخرج من بينهم خوفاً من نزول العذاب
وهو مقيم بينهم .

قوله سبحانه:

«فظن ان لن نقدر عليه» (٢١/٨٧) اي لانضيق عابه المسلك ونشدد عليه المحنة
والتكليف وذلك يجوز أن يظنه النبي ولا شبهة ان قدرت وقدرت معناه انضيق قال تعالى
(ومن قدر عليه رزقه) وقال (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) وضيق صدر يونس عليه السلام
مما أصابه في بطن الحوت .

قوله سبحانه :

«فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانه انى كنت من الظالمين»
(٢١/٨٧) على سبيل الانقطاع الى الله تعالى ، ويجوز أن يريد بذلك اي بغت حتى يترك
النوافل ويجوز ايضاً أن يكون صدقاً اي من الجنس الذي يقع منهم الظلم .

قوله سبحانه :

«واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت» (٦٨/٤٨) اي انه لم يقو على
الصبر على تلك المحنة التي ابتلاه الله بها وعرضه بنزولها لغاية الثواب فشكا الى الله تعالى
منها وسأله الفرج والخلاص ولو صبر لكان أفضل فأراد الله تعالى لنييه عليه الصلاة والسلام
أفضل المنازل وأعلاها

فصل

قوله تعالى: في قصة عيسى عليه السلام «ان الله يبرك بكلمة» (٣/٤٠) قال ابن عباس وقتاده سماه الله كلمة لثلاثة اوجه ، أحدها انه اوجده بكلمة من غير واعد وهو قول كن كما قال (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) والثاني لان الله بشره في الكتب السالفة كما يقول الذي يخبرنا بأمر يكون قد جاء قولي وكلامي ، والثالث لان الله يهدي به كما يهدي بكلمته.

قوله سبحانه :

«انما أنا رسول ربك لا هب لك غلاماً زكياً» (١٩/١٩) فقالت مريم متعجبة (أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) على وجه الزوجية (ولم أك بغياً) قوله سبحانه :

«والتي أحصنت فرجها» (٢١/٩١) يعنى مريم ، والاحصان احراز الشىء من الفساد فمريم أحصنت فرجها بمعنى من الفساد فأثنى الله تعالى عليها . قوله سبحانه :

«نفخنا فيها من روحنا» (٢١/٩١) أجرينا فيها روح المسيح كما يجرى الهواء بالنفخ وأضاف الروح الى نفسه تعالى على وجه الملك تشریفاً لها للاختصاص بالذكر قوله سبحانه :

«انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً» (١٩/١٨) اى ان كنت تتقى عبادتى به ليقىك هو او قلت كف عنى ولا تؤذنى ان كنت تقياً فان التقى يمسك لخوفه كما يقول القائل ان كنت مؤمناً فلا تظلمنى ، ويقال التقى اسم رجل ملعون مشهور بالبطالة . قوله سبحانه :

«يا ليتنى مت قبل هذا» (١٩/٢٣) انما تمنى الموت قبل تلك الحال التى قد علمت انها من قضاء الله تعالى لكرهتها أن يعصى الله بسببها اذ كان الناس يتسرعون الى القول فيها بما يسخط الله ، وقال قوم انها قالت بطبع البشرية خوف الفضيحة ، وقال قوم المعنى فى ذلك انى لو خيرت قبل ذلك بين الفضيحة بالحمل والموت لاخترت الموت .

قوله سبحانه :

« يا اخت هارون ما كان أبوك امرء سوء » (١٩/٢٩) قال مقاتل روى عن النبي عليه السلام انه قال هارون الذي ذكروه هو هارون أخو موسى وتأويل (يا اخت هارون) يامن هي من نسل هارون ، كما يقال يا أخا بني تميم ويا أخا بني زهرة قال الله تعالى (والى عاد أخاهم هوداً ، والى ثمود أخاهم صالحاً) يعنى من نسلهم ، قال سعيد بن جبير رضى الله عنه ان هارون المذكور فيها كان رجلاً فاسقاً فلما أنكروا ما جاءت به من الولد ولم يعرفوا براءة ساحتها نسبوها اليه تشبيهاً وتقدير الكلام يا شبيه هارون فى فسقه ، و يقال ان هارون هذا كان أخاهم لا يهادون أمها وكان رجلاً معروفاً بالصلاح ، وقيل انه لم يكن أخاهم على الحقيقة بل كان رجلاً صالحاً من أهلها .

قوله سبحانه :

« أفقوا الى نذرت للرحمن صوماً » (١٩/٢٧) قال الجبائى كان الله تعالى أمرها بأن تنذر الله الصمت فاذا كلمها أحد تؤمى بأنها نذرت صوماً أى صمتاً لانه لا يجوز أن يأمرها بأنها تقول نذرت ولم تكن نذرت لأن ذلك كذب ، وقال ابن عباس والضحاك يريد بالصوم الصمت ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه أمرها بالصمت ليكفيها الكلام عنها ولدها ما يرى . من ساحتها ولا تناقض فى قوله (انى نذرت للرحمن صوماً) لانه أذن لها فى أن تقول (انى نذرت للرحمن) أو قلت انها أوهمت بذلك كما قال (فأشارت اليه)

قوله سبحانه :

« انى عبد الله آتالى الكتاب وجعلنى نبياً » (١٩/٣١) قال الحسن وأبو على معنى قوله (وجعلنى) لان الله تعالى أكمل عقله وأرسله الى عباده ولذلك كانت له تلك المعجزة ، وقال ابن الأخشيد كان ذلك ارهاصاً لنبوته ، وقالت الامامية معناه انى عبد الله سيؤتىنى الكتاب وسيجعلنى نبياً فيما بعد وكان ذلك معجزة لمريم على براءة ساحتها .

قوله سبحانه :

« ويكلم الناس فى المهد وكهلاً » (٥/١٠٩) انه يكلمهم بالوحي الذى يأتيه من قبل الله وانه تعالى أخبر ان عيسى تكلم فى المهد اعجوبة ، وخبر انه يعيش يكتمل

ويتركهم في الكهولة ولم يقل وشيخاً لأنه عاش نيفاً وثلاثين سنة على ما جاءت به الاخبار
وانه يبلغ حال الكهل في السن لكون المخبر على ما أخبر به ثم ان المراد به الرد على
النصارى بما كان منه من التقلب على الاحوال لانه مناف للصفة الاولى .

قوله سبحانه:

«وروح منه» (٤/١٦٩) جاز أن يقال المسيح روح الله لان الارواح كلها ملك
لله وانما خص المسيح بالذكر تشريفاً له بهذا الذكر ، كما خص الكعبة انها بيت الله و
ان كانت الارض كلها له تعالى .

قوله سبحانه:

«واحبي الموتى باذن الله» (٣/٤٣) على وجه المجاز اضافة الى نفسه وحقيقته
ادعوا لله باحياء الموتى فيحيون باذنه .

قوله سبحانه:

«أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير» (٣/٤٣) لم يقيد به باذن الله تعالى لان المراد
به التقدير ، ثم قال (باذن الله) لانه من فعل الله دون عيسى ، أما التصوير والنفخ ففعله
لانه مما يدخل تحت مقدور القدر ، وليس كذلك انقلاب الجماد حيواناً فانه لا يقدر عليه
أحد سواه تعالى ، وقال في موضع اخر (فينفخ فيها فتكون طيراً باذننى) اللفظ الهيئة

قوله سبحانه:

«واذ تخلق من الطين كهيئة الطير» (٥/١١٠) معنى ذلك انه صور الطين
وسماه خلقاً لانه كان بقدره ، وقوله (باذننى) اى تفعل ذلك باذننى وأمرى ، وقوله (فتنفخ
فيها فيكون طيراً باذننى) معناه انه نفخ فيها الروح لان الروح جسم يجوز ان ينفخها المسيح بأمر الله
تعالى ، كما ينفخها اسرافيل في الصور ، وكما ينفخ ملك الارحام في الصورة عند تمام
مائة وعشرين يوماً على ما جاء في الخبر ، فاذا نفخ المسيح فيها الروح قلبها الله لحمها ودمها وخلق
فيها الحياة فصارت طائر باذن الله وارادته لا بفعل المسيح فلذلك قال (فتكون طيراً باذننى
وتبرىء الاكمه والابرص باذننى) معناه انك تدعونى حتى ابريهم .

قوله سبحانه:

«واذ تخرج الموتى باذننى» (٥/١١٠) اى اذ تدعونى فاحيى الموتى عند دعائك

واخرجهم من القبور حتى يشاهدهم الناس ، وانما نسبته الى عيسى لانه كان يدعاه .

قوله سبحانه:

«واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذجتهم بالبينات» (٥/١١٠) يجوز أن يكفهم بالطفافه التي لا يقدر عليها غيره ، ويجوز أن يكون كفهم بالقهر كما منعه من أراد قتل نبيها عليه السلام ، وقيل لانه القى شبهة على غيره حتى قتلوه ونجا قوله (ولكن شبه لهم)

قوله سبحانه:

«لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم» (٥/١١٩) وعندهم هو ابن الله الجواب لانهم زعموا انه اله وهذا الاسم انما هو للاله بمنزلة ذلك كما قال الدهري ان الجسم قديم لم يزل وان لم يذكره بهذا الذكر .

قوله سبحانه:

«أأنت قلت للناس اتخذوني وأسمى الهين من دون الله» (٥/١١٦) تقرير فسي صورة الاستفهام لمن ادعى بذلك عليه من النصارى لانه تعالى كان عالماً بذلك هل كان اوله يكن ، كما يقول القائل لغيره أفعلت كذا وكذا وهو يعلم انه لم يفعله وان كان ، خارجاً مخرج الاستفهام ، ثم انه أراد بهذا القول تعريف عيسى عليه السلام ان قوماً قد اعتقدوا فيه وفي امه انهما الالهان لانه يمكن أن يكون عيسى لم يعرف ذلك الا في تلك الحال .

قوله سبحانه:

«ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً» (٣/٦٠) حجة على من زعم ان المسيح والذين آمنوا معه كانوا نصارى .

قوله سبحانه:

«ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم» (٥/١١٨) معناه تفويض الامر الى صاحبه والتبرؤ من أن يكون اليه شئ من امور قومه ، كما يقول أحدنا هذا الامر لا مدخل لي فيه ، وان شئت أن تفعله وان شئت أن تتركه مع علمه ان أحد الامرين لا يكون منهو انما حسن ذلك منه لانه أخرج كلامه مخرج التفويض ، ثم انه لا يدل على ان المسيح

أراد بذلك ان الله تعالى له أن يعاقب عبيده من غير جرم كان منهم ، لانه عليه السلام يريد بكلامه ما يدل في العقل على كونه غير جائز عليه تعالى ، ولا يحسن منه تعالى ايضاً أن يترك انكار ذلك ، فلما علمنا ان الله تعالى لا يعاقب خلقه من غير معصية سبقت منهم من حيث كان ظلماً محضاً علمنا ان عيسى عليه السلام أراد بقوله (ان تعذبهم فانهم عبادك) الجاحدون لك المتخذون معك الهأ غيرك لان ما تقدم من الكلام دل عليه فلم يحتاج أن يذكره في اللفظ .

قوله .. سبحانه :

« انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » (٢١/٩٨) وعيسى وعزير عليهم السلام عبدا فانما قال (ما تعبدون) وما لمن لا يعقل ، ثم ان آخر الآية (اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها) الآية .

قوله سبحانه :

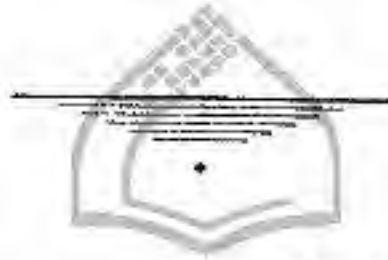
« وما قلوه وما صلوه ولكن شبه لهم » (٤/١٥٦) يصح في مقدور الله تعالى أن يلقي شبه زيد على عمرو حتى لا يفصل الناظر بينهما تغليظاً للمحنة وتشديداً للتكليف ، فيكون ذلك خارقاً للمادة معجزة لبعض اوليائه الصالحين و الائمة المعصومين ، وعند المعتزلة على أبدي الانبياء اوفى زمانهم ، لانه لا يجوز خارق المادة عندهم الاعلى أيديهم

قوله سبحانه :

« وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » (٤/١٥٧) معنى الآية الاخبار منه تعالى بانه لا يبقى احد من اليهود الا ليؤمنن به يعني بعيسى قبل موته ، واختلفوا في الهاء الى من يرجع ، فقال ابن عباس وابو مالك والحسن وقنادة وابن زيد والطبري : هي كناية عن عيسى كانه قال لا يبقى أحد من اليهود الا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى بأن ينزله الله الى الارض اذا خرج المهدي (ع) ، ثم قال الطبري والآية مخصوصة بمن يكون في ذلك الزمان ، وقد روى ان الحجاج سأل شهر بن حوشب عنها وقال اني أضرب عنق اليهودي ولا يتكلم بشيئ ، فقال شهر حدثني محمد بن علي يعني ابن الحنفية ان الله تعالى يبعث اليه ملكا يضرب رأسه وديره ويقول كذبت عيسى فيؤمن حينئذ كرها ، وقال

مجاهد والضحاك وعكرمة : الهاء كناية عن اليهودى وتقديره لا يكون من أهل الكتاب
مخرج من الدنيا الا ويؤمن بيسى عند موته اذ ازال تكليفه وتحقق الموت ولكن لا ينفعه
الايمان حينئذ.

تم الجزء الاول من كتاب متشابه القرآن ومختلفه ويتلوه الجزء الثانى و
اوله قصة نبينا (ص) و الحمد لله رب العالمين والصلوة على
خاتم النبيين وآله الطاهرين



مركز تحقيقات كتاب وعلوم اسلامی

﴿ الفهرست الكامل للمطالب بالترتيب ﴾

٤٢	الكرسى	١٠٥-٨٨-٥٧-٤٩-٤٣	التوحيد
١٧١-٤١	اللوح	٦٦-٩٢-٨٩-٨٤-٥٦	صفاته
٢١٤-١٧٠-١٥٠-٦٨-١٤	الملائكة	١٥٠-١٠٧-٨٥-٧٠	اسمائهم
٢١٠-١٦٨-١٤٦-١٣٧-١٢٣-١٨	الشياطين	١١٣	عدله
٢٠٧-١٩١-٢٤-٢٠-١٨	الجن	١٧٣-٨٤-٦٧-٥٠-٣٢	علمه
١٧٢-٣٠	الانسان	٢٠٧-١٣٩-١٣١-٦٤	مشيئته
٢٤١-١٦٢-٣٩	السحر	٥٨	هو الاول والاخر
٣٩	الكيمياء	٥٨	سمه
٣٤	الشمس والقمر	٢٤٣-٩٣	الرؤية
٢٢٠-٣٦	النجوم	٧٧	هو الباقي
٢٠١-٥٥	نظام العالم	٦٤	غناؤه
٢٤	تسبيح الموجودات	٩٨	لغائه
٨	اخذ الميثاق	١٤٢-١٢٣	الهداية
٨٢	مجيئ الرب	١٥٠-٤٨	قدرته
-١٤٧-١٤٢-١٢٠-١١٣	الجبر والاختيار	٧٨	يدالله
١٩٤-١٩٢		٩٢-١٩٠-١٣٠	النور
٢٢٣-١٧٢-١١٠-١٠٨-١٠٢-٧١	الشرك	١٠٤	التشبيه
٦٢-٤٨	الايجاد	٧٢-٤٩	هو المرجع
١٧٢-٥٠-٤٧-٢٩-٣	خلق العالم	٤٣	معرفة
٢١٥-١٨٠-٣٢-٩-٦	خلق آدم	٦٩-٦٥	قربه
١٠٦-٨٠-٦٨-٣٥-٢٨-٣	السماء والارض	٦٦-٣	استوائه
٥	المشرق والمغرب	٢٤٧-٧٤	كلامه
٦	عجائب الخلق	١٨٢-١٧٦-١٣٦-١٣٨-٦٤-٦١	ارادته
١٥١-٩	الفطرة	٩٠	هو الحي
١٦٤-٨٨	غضب الله	٨	الذر
٢٥١-١٧٤-٥٤	اختبار الله	١٧١-١٥٢-١٠	القلب
١٧٦	مكر الله	٢٥٨-٦٨-٤٢	الروح
١٨٨	استهزاء	١٢	العقل
١٨٣-٨٤-٣٠	تعذيبه واخذ	٦٦-٤	العرش

٢٩	قصة فارون	١٦٧-١٣٢-١٢٥-٥٢-١٩	الضلال
٢٤٢-١٨٧-١٦٠-٥٣	« فرعون	١٥١	طبع القلب
٢٣٩-١٦٥-٧٧	« موسى	١٥٨-١٠٠-٧٤-١٢	المعجوية
٢٤٨-١٤	« داود	٢١٩-١٩٣-١٦٨-١١٧-١١١	الجور والظلم
٢٥٠-٢٥	« سليمان	١٠٩	الايمان
٢٣٠-٤٠	« يعقوب	١٦٠-١٥٦-١١٢-١٠٥-٣٣-١٨-١٣	الكفر
٢٣٢-٢٠٤-١٧٨	« يوسف	١٨٣-	
٢٠٦	« اسباط	١٨٤-١٣٦-١٢٧-١١٠	الفسق
٢٢٧	« زكريا	١٦٣-١٥٨-١٥٣-١٢-١٠	مرض القلب
٢١٧	« ادريس	١٩٢-١٧٥-١٢٣-٤٠-٢٣-٢٠	الاستعاذة
٢٢٩-٢٢٤	« لوط	٧٨-١٥٤-٨٦-٢٦	نعم الله
٢١٠-١٥٢	« اصحاب الكهف	١٩١-١٥٨-٥٩-٣٣ ;	القرآن
٢٣٦	« ايوب	١٩٥	الفضاء
٢٥٥	« يونس	١٧٣-٢٠٠	القدر
٢٥٦-٢١٧-٢٠٣	« عيسى	١٧٩	السعادة
١٢٨	« محمد	١٨٠	الشقاوة
١٥٧-١٤	الاعجاز	١٨٢	الشفاعة
١٦٢-٢	التمثيل	٤٦-٤٤	النظروالفكر
٢٠٩-٢٠٧-١٣٧-٧٤	الوحي	١٨١-١٦١-١٧	الموت
٣٠-١٤٦	التكليف	٢١١-٢٠٣	علم الغيب
٢٣٨-١٤٣-١٣٨	التوبة	٢٠٣-١٧٩	النبوة
٢٣٨-٢٢٢	الاستغفار	٢٠٤	العصمة
١٦٤-٥٣	النسيان	٢١١	قصة آدم
١٨٩	الانم	٢١٧	« نوح
٢١٥-١٥	خليفة الله	٢١٩-١٠٨	« ابراهيم
١٩٢-١٥	العبادة	٢٤٤-٢٣٧	« شعيب
٢١٢-٢٠	الوسوسة	٢٢٩-٣٠	« هود
١٦٩-١٣٧-٢١	تزوين العمل	٤٤	« عزيز
٢٦	السجود	٣٠	« قوم عاد
٣٨	الرقيا		